Blue 22

٦٥ شاقل

العدد
الخامس والخمسون
ثرين الثاني – ١٩٨٤

الكاتب

٥٥

للثقافة الإنسانية والتقدم

- الالتفاف على منظمة التحرير هدف التحرك الجديد
- حول ما يشاع عن "تحسين مستوى المعيشة" في المناطق المحتلة.
- بعض جوانب أزمة السكن في الضفة الغربية.
- أضواء على تجربة التوجه الاشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.
- مخاطر حقيقية تهدد اشجار الحمضيات في الغور.
- الشعر الجاهلي بين مطرقتين "القرديشة والنكران".
- رسخوا حقيقة الحياة ومثل الاشتراكية السامية.
- حول الصداقة مع الاتحاد السوفييتي في ذكرى ثورة اكتوبر
- الحرية وأزمة تطور الشخصية

لقاء مع
الأستاذ بشير البرغوثي
رئيس تحرير «الطليعة»

حول

الوضع السياسي الراهن
ومهام القوى الوطنية في المناطق المحتلة

دور سياسي جديد للمناطق المحتلة

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤول
أسعد أسعد
القدس

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor -
Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

هيئة التحرير

بثام الصالحي — تيسير عاروري
جميل السلحوت — صالح زقوت
عادل الزاغة — عمر حمش
محمد البطراوي — محمود الشيخ

السكرتير الإداري: يحيى شقير

صف وتوضيب: جبير أبو عوكر

المراسلات:
الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

الاشتراكات:

بالبريد أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار
بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار
بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

Digitized by Birzeit University Library

كلمتنا

- الالتفاف على م.ت.ف. هدف التحرك الجديد ٢

سياسة

- أسعد الاسعد
- دور سياسي جديد للمناطق المحتلة ٤
- لقاء مع الاستاذ بشير البرغوثي
- الوضع السياسي الراهن ومهام القوى الوطنية في المناطق المحتلة ٩
- مراقب
- حول ما يشاع عن تحسين مستوى المعيشة في المناطق المحتلة ٤٦

دراسات وابحاث

عادل الزاغة
- بعض جوانب ازمة السكن في الضفة الغربية ٧٧
- د. سمير عبدالله
- اضواء على تجربة التوجه الاشتراكي في جمهورية اليمن الديمقراطي ٦٣
- المهندس اسماعيل دعيق
- مخاطر حقيقية تهدد اشجار الحمضيات في الغور ٨٩
- محمد مهدي الجواهري
- الشعر الجاهلي بين مطرقتين ـ الفردية والتكران ٩٥

مداخلات

- الامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي قسطنطين تشيرنكو ـ رسخوا حقيقة الحياة ومثل الاشتراكية السامية ٥٢
- بسام الصالحي ـ حول الصداقة مع الاتحاد السوفييتي ـ في ذكرى ثورة اكتوبر ٤١
- عطا القيمري ـ الحرية وأزمة تطور الشخصية ١٠٨

مع الكتب

- شاكر فريد حسن ـ قراءة في كتاب سميح القاسم "من الغضب الثورى الى النبوءة الثورية" ١١٤

قصة

- شوقية عروق ـ خيوط .. لا تـرى ١٢٠
- قاسم منصور ـ البديل ١١٧

شعر

- قاسم حداد ـ ذاكرة ذلك .. كله ١٢٣

شهريات

- رسائل وردود ١٢٤
- اصداء ثقافية ١٢٧

Digitized by Birzeit University Library

حليسا

ما من شك في ان وحدة منظمة التحرير الفلسطينية ، واجهاض المساعي لحل الخلافات القائمة ، سواء مع سوريا أو مع بعض الفصائل الفلسطينية ، بالاضافة الى الدعوة الى عقد مؤتمر دولي لحل قضايا الشرق الاوسط ، تأتي على رأس القضايا المستهدفة للتحرك المحموم لكافة عناصر الطرف المعادى لحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وحركة التحرر العربية عموما ، وفي مقدمة هذه الدوائر تأتي الادارتان الاميركية والاسرائيلية ، وحتى يتسنى لها ذلك ، كان على هذه الدوائر ،التحرك باتجاه طرح مشاريع جديدة ، واحياء القديم منها ، بعد الفشل الذريع الذى منيت به السياسة الاميركية في لبنان وسقوط الرهان على حلفاء الامبريالية الاميركية في لبنان للهيمنة وفرض السياسةالاميركية هناك ، تحركت الدوائر الامبريالية بهدف الالتفاف على منظمة التحرير ، واجهاض نفوذها في المناطق المحتلة تمهيدا لخلق قوةبديلة، يكون بمقدورها توجيه دفة الامور لصالح مخططات السياسة الاميركية ، واسقاط دور منظمة التحرير الفلسطينية .

ان الرجعية العربية واليمين الفلسطيني ،يعملان على اخراج الادارتين الاميركية والاسرائيلية من مأزق المبادرة السوفييتية ، واتفاق عدن لصالح المشاريع الوهمية التي تطرحها ادارة ريغان وحكومة اسرائيل محاولين ايهام البعض برغبتهم في ايجاد حل لقضية الاراضي العربية

Digitized by Birzeit University Library

الالتفاف على منظمة التحرير هدف التحرك الجديد

المحتلة، في وقت تؤكد المصادر العليمة، بأن مجموعة رجال الاعمال الامريكيين واليهود والعرب تعتقد بأن الحل السياسي للمناطق المحتلة، يكمن في تحويلها الى منطقة منزوعة السلاح، ووضعها تحت اشراف قوات متعددة الجنسيات، مؤلفة أساسا من الامريكيين، ثم تنضم اليها قوات بريطانية وايطالية ـ هارتس ٢٥ /١٠/١٩٨٤ـ بالاضافة الى ذلك ،فان البروفيسور ستيف كوهين رئيس مجموعة رجال الاعمال المشار اليها، صرح لجريدة معاريف يوم ٢٦/١٠/١٩٨٤ ان مجموعته لا تسعى لاقامة كيان مستقل للعرب ،الامر الذى يشير بوضوح الى الابعاد الحقيقية لهذه المجموعة وتحركاتهم، ومهما يكن من امر فان الثابت ان المنطقة العربية تتعرض لهجمة شرسة من جانب الامبريالية وحلفائها، تستهدف الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه الوطنية المشروعة، كما تستهدف منظمة التحرير والقضية الفلسطينية بأسرها، الامر الذى يتطلب الاسراع في حل القضايا المعلقة بين كافة الفصائل، حتى يتسنى لهذه القوى الوقوف في وجه هذه الهجمة الشرسة الهادفة الى تحويل قضية الشعب الفلسطيني الى قضية اقتصادية بحتة، يتم استثمارها لصالح مخططات الامبريالية والرجعية واسرائيل.

ان المهمة الملحة في هذه المرحلة، يجب ان تتركز في اعادة اللحمة الى منظمة التحرير، على اساس وطني تقدمي، معاد للامبريالية ومشاريعها الاستسلامية ،وتصعيد هذا الرد بوتائر تتناسب والهجمة المعادية.

Digitized by Birzeit University Library

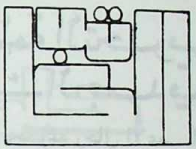

دور سياسي جديد للمناطق المحتلة

أسعد الأسعد

الزيارة التي قام بها شمعون بيرس رئيس الوزراء الاسرائيلي الى الولايات المتحدة مؤخرا، رافقها واعقبها الكثير من التحركات والتصريحات، بحيث عادت مجموعة من القضايا الاساسية لتحتل مركز الصدارة في سلم الامور الهامة في المنطقة، بعد ان تراجعت حتى كادت تحتل الدرجة الثانية او حتى الثالثة في سلم الاولويات المطروحة على الساحة الشرق اوسطية.

ولعل ترسيخ وتعزيز ما تم الاتفاق عليه استراتيجيا بين الولايات المتحدة واسرائيل في السابق، يعتبر أهم ما انجزه بيرس في زيارته هذه، فمن الجانب الاسرائيلي تم التأكيد على امكانية اعتماد الولايات المتحدة على حليفها الاستراتيجي اسرائيل، في تحقيق الاهداف المشتركة في منطقة الشرق الاوسط كما تم الاتفاق على ان تقوم اسرائيل بتقديم خدمات للجيش الامريكي خارج حدود الولايات المتحدة وفي البحر المتوسط بالذات، (الاتحاد ١٧ ت ١) – والجدير بالذكر ان خدمات كهذه كانت اسرائيل قد قدمتها خلال المناورات المشتركة التي جرت باشتراك الجيشين الامريكي والاسرائيلي، قبالة شواطيء حيفا في اواسط الصيف الماضي.

من جهة اخرى، فان زيارة واينبرغر التي اعقبت عودة بيرس من واشنطن مباشرة، تشير بوضوح، الى ان الادارتين الاميركية والاسرائيلية على وفاق تام في رؤيتهما لقضايا المنطقة المختلفة، ولمستقبل الاراضي العربية المحتلة، سواء الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان، او جنوب لبنان، والادارة الاميركية باتت تدرك اهمية اسرائيل بالنسبة لها كحليف يمكن الاعتماد عليه، فالادارة الاميركية تضغط باتجاه تحقيق مزيد من التنازلات، ومن اجل

Digitized by Birzeit University Library

تحقيق بعض ما عجزت عن تحقيقه قواتها العسكرية من خلال الضغط على حكومة اسرائيل بالبقاء في لبنان اطول مدة ممكنة ، الامر الذى اوقع رئيس الوزراء الاسرائيلي في تناقض واضح ،فقد صرح قبل سفره الى الولايات المتحدة بأنه سوف يأمر بسحب القوات الاسرائيلية من جنوب لبنان دونما حاجة الى اتفاق مع سوريا ، وبعد عودته من واشنطن ، تراجع عن موقفه هذا ، وبدأ بوضع العراقيل والشروط التي من شأنها اطالة عمر الاحتلال الاسرائيلي للجنوب اللبناني ،فيما بدا وكأنه اجراء تم الاتفاق عليه مع الادارة الاميركية ، يستهدف معاقبة اللبنانيين ،ردا على اجبار القوات الامريكية على الرحيل ، وردا على الضربات المتلاحقة التي وجهتها المقاومة اللبنانية لسفارة الولايات المتحدة من جهة ، وامعانا في ابتزاز الحكومة اللبنانية لتحقيق مزيد من التنازلات بالاضافة الى الضغط على سوريا من جهة اخرى .

في الوقت نفسه فان حكومة اسرائيل تحصل على اجر باهظ مقابل هذه الخدمات التي من خلالها تحقق ايضا اهدافها ومطامعها في المنطقة ، ففي تصريح لاحد اعضاء الحكومة الاسرائيلية البارزين ـ شارون ـ اشار الى ان لاسرائيل ديونا كبيرة على الولايات المتحدة ، وما دفعته لا يشكل الا جزءا صغيرا من التزاماتها .

ورغم ان الادارة الاميركية تلبي كافة طلبات الحكومة الاسرائيلية ، على اختلاف انواعها الا ان ذلك لا يكفي لسد العجز المتفاقم في الاقتصاد الاسرائيلي ، ويبدو ان طلبات الحكومة الاسرائيلية لا تقف عند حد ، غير ان المساعدات الامريكية ليس لها حدود ايضا ، وقد كان على رأس مهام وزير الدفاع الاميركي كاسبار واينبرغر في زيارته الاخيرة الاطلاع على حاجات الجيش الاسرائيلي من اسلحة وعتاد ،على ارضية تعزيز قدراته في وجه الجيوش العربية التي تتعاظم قوتها يوما بعد يوم على حد تعبير وزير الدفاع الاسرائيلي يتسحاق رابين .

بالاضافة الى ذلك ، فان الحديث يدور اليوم عن تعاون بين البلدين في مجال الصناعة العسكرية المتطورة ، من ذلك السماح لاسرائيل باستخدام التكنولوجيا المتطورة لانتاج طائرة "لافي" . كما تناقلت الانباء خبرا مفاده ،احتمال قيام تعاون امريكي اسرائيلي لصناعة غواصات متطورة في اسرائيل ، وقد تم تشكيل لجان مشتركة عقب انتهاء زيارة وزير الدفاع الامريكي لاسرائيل لدراسة احتياجات اسرائيل العسكرية ، كما تم في نهاية الزيارة الكشف عن شراء الولايات المتحدة لـ ٤٤٠٠ راجمة قنابل وخمسة ملايين قذيفة من اسرائيل بقيمة ٧٠٠ مليون دولار .

وفي هذه الاثناء بالذات ، عاد الحديث عن مشاريع جديدة ابتداء من مشروع ريغان ، الذى اعاد الحديث عنه عشية اعادة الاردن لعلاقاته مع مصر ، وانتهاء بالمشروع الامريكي الاخير الذى تحدث عنه ياسر عرفات في المنامة ، مشيرا الى ان هذا المشروع تم عرضه على عدد من الدول العربية من بينها الاردن ، وما رافق الحديث عن هذه المشاريع من تصريحات

Digitized by Birzeit University Library

لبعض المسؤولين الاسرائيليين عن خطة لتحسين ظروف المعيشة لسكان المناطق المحتلة، الامر الذى دفع ببعض رجال المال في الضفة الغربية للتحرك السريع والاجتماع بوزير الدفاع الامريكي اثناء زيارته الاخيرة لاسرائيل. واندفاع وسائل الاعلام الاسرائيلية الى ابراز اخر التطورات المستجدة على ساحة الضفة الغربية على ارضية مشاريع تحسين ظروف المعيشة هذه او ابراز اللقاء الذى تم بين بيرس ووالد الملكة نور في واشنطن والرغبة في الاسهام في اقامة بنك عربي في الضفة الغربية على ان يكون مرتبطا بالبنك المركزى الاسرائيلي، او الاسهاب في الحديث عن نتائج زيارة وفد من الضفة الغربية الى الولايات المتحدة لبحث مشاريع التطوير الامر الذى دفع بالبقية الباقية من الواهمين الى الركض وراء سراب ليس من مبرر لقبوله او الوقوع في حبائله، اذ ان سلسلة الاجراءات التي اتخذت ولا تزال تجيب على كل تساؤل وتقطع الشك باليقين بحيث تشير تحديدا الى وجهة السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة، ولعل نظرة الى بعض هذه الاجراءات والممارسات تدفعنا الى التأكد من صحة ما اشرنا اليه، ففي الوقت الذى كانت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن تحسين ظروف المعيشة للسكان. وفي الوقت الذى كان بعض الواهمين يجتمعون وكاسبار واينبرغر تم استدعاء العديد من الشخصيات الفلسطينية وتم تحذيرهم من مغبة القيام بأى نشاط ينعلق باحياء لجنة التوجيه الوطني من هؤلاء بشير البرغوثي، وحيد الحمدالله، اكرم هنية مأمون السيد. ابراهيم الدقاق، جريس الخورى، وآخرين.

من جهة اخرى برز في هذه الاثناء ايضا الحديث عن اعادة "تعيين" رؤساء بلديات عرب بدل الاسرائيليين المعينين، والحديث يدور عن تعيين وليس اعادة الرؤساء الذين اقالتهم السلطات، او انتخاب مجالس بلدية جديدة، الامر الذى يدفعنا الى التساؤل عن الفرق بين تعيين وتعيين اذا كان معيار التعيين رضى السلطات وحسب ؟! ولعل نفي الادارة المدنية لاحتمال عزل رئيس بلدية قلقيلية المعين اسوة بالاخرين، يؤكد ان التعيين يشمل رؤساء بلديات على شاكلة رئيس بلدية قلقيلية اهم مؤهلاتهم رضى الاحتلال عنهم.

ونحن نتساءل، لماذا تسقط السلطات اجراء انتخابات بلدية من حساباتها.

او لماذا لا تعيد المجالس البلدية المنتخبة.

ان الحديث عن تحسين مستوى المعيشة الذى يشغل اهتمام كافة الاوساط ذات المصلحة، لا يمكن فصله عن الاجراءات الهادفة الى تكريس الاحتلال للاراضي العربية، من خلال تصفية القاعدة الاقتصادية والشعبية لمنظمة التحرير الفلسطينية في المناطق المحتلة، من خلال تعزيز مكانة اصحاب رؤوس الاموال المرتبطين ارتباطا وثيقا بالاردن، وبالتالي سحب البساط من تحت اقدام القوى الوطنية، وتحجيم هذه القوى وشل قدرتها على التأثير في توجه الرأى العام المحلي، كما يحد من نفوذها وقدرتها على الفعل، ومن ثم الانتقال الى ربط مستقبل هذه المناطق باسرائيل بشكل اساسي، من خلال الالتفاف على منظمة التحرير ودفع

Digitized by Birzeit University Library

الاردن باتجاه اخذ زمام الامور بيدها من خلال تعزيز دور ومكانة رجالاتها في المناطق المحتلة ،مع التاكيد على عدم امكانية اعادة هذه الاراضي الى الاردن ، بل ان التوجه الذي يسعى اليه البعض يدور حول خلق ظروف اقتصادية تكون مدخلا لانتعاش محدود لفئة محدودة من الاسرائيليين والفلسطينيين اصحاب رؤوس الاموال ، منطلقين من انتهاز فرصة الاوضاع الاقتصادية السيئة وانتشار البطالة بشكل ملحوظ ،الامر الذي يقلل من مستوى الاجور ، وبالتالي يخلق واقعا من العمالة الرخيصة يمكن الاعتماد عليها تماما في حسابات رؤوس الاموال وخطط انتعاشها بالاضافة الى ذلك ،فان البعض يسعى الى تطوير واقع الضفة الغربية وقطاع غزة كحسر الى العالم العربي يمكن الاعتماد عليه وتطويره بحيث يخدم الاقتصاد الاسرائيلي ، ويلعب دورا في نقل الانتاج الاسرائيلي الى الاسواق العربيـــــة .

ان الوضع المذهور للاقتصاد الاسرائيلي ،لعب دورا مهما في التوجه الجديد هذا ،رغم عدم فهم بعض الاسرائيليين لفوائد هذا التوجه كما اشار مجلس المستوطنين في اوائل شهر تشرين اول الماضي ، الى " انه ينظر بخطورة بالغة للانباء التي تتحدث عن مشاريع لتحسين مستوى المعيشة للسكان في الضفة الغربية وقطاع غزة " . وأضاف المجلس " ان هذه المشاريع يجب ان تستبدل بمشاريع لزيادة الضغط على السكان العرب لدفعهم للهجرة من البلاد وليس مساعدتهم على البقـــــاء " .

ان تحسين مستوى المعيشة للفلسطينيين في المناطق المحتلة ، لا يمكن ان يتم بغير الاعتراف بحقوقهم المشروعة وعلى رأسها حقهم في تقرير المصير واقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني ، واذا كان هناك من يعتقد ان بالامكان تحسين مستوى المعيشة في ظل الاحتلال فهو واهم جدا ولعل من حقنا ان نذكر بحقيقة لا بد من التذكير بها ، ذلك ان جزءا مهما من نضال الشعوب المضطهدة لنيل حقوقها يتضمن نضالها الطبقي رغم تأخر ذلك في رحلة التحرر الوطني فرأس المال يظل الاكثر تعرضا للسقوط والركض وراء سراب الحلول الوهمية ، طمعا وحرصا على مصالحه الطبقية ، ورأسماله الشخصي ، اما الفقراء والشغيلة ، فهم الاكثر تمسكا بحقهم الشرعي والاكثر تضحية ، وهؤلاء هم غالبية الشعب ، والشعب الفلسطيني واحد من شعوب الارض ،منله في ذلك منلهم ،ولن يشذ عنهم . وعليه فاننا لانستغرب ترحيب بعض رجال المال الفلسطينيين في المناطق المحتلة بالمساعي الداعية الى فتح بنك عربي ، واقامة مصانع ...الخ ، ذلك لاننا على يقين بأن هؤلاء لم ينظروا الى الموضوع الا من زاوية آلا تهم الحاسبة ، والفرص التي تطرحها هذه الاجراءات امام مضاعفة رؤوس اموالهم ليس غيـــــــر .

من هنا فان الحديث عن تحسين مستوى المعيشة قد يكون صحيحا ، فقط لمن ليسوا بحاجة الى تحسين مستوى معيشتهم حتى بالمنظور المادي ، ولذلك فان كافة الاجراءات

Digitized by Birzeit University Library

والمشاريع المطروحة، تلتقي وخطط الادارة الاميركية لاعادة ترتيب الامور في المنطقة ، كي تصبح اكثر قدرة على التحكم بمستقبلها ، وكل الاجراءات التي تمت والتي يجرى العمل على تحقيقها ، انما هي جزء من المساعي الحثيثة لتحقيق السياسة الاميركية في المنطقة ، وربطها بسياسة كامب ديفيد او مشاريع مشابهة ، ولعل مرحلة جديدة من تطبيق هذه السياسة قد بدأت بالفعل ، حيث يقوم النظام المصرى بلعب هذا الدور ، حيث يبدئ بالاردن وقد يليه العراق ، ... الخ ، الامر الذى يهدد بتعريب كامب ديفيد ، بحيث تؤدى سلسلة التنازلات المتتالية الى وضع يصعب فيه تحقيق اية مكاسب وطنية مهما صغرت ، وعليه يجب وقف الانحدار باتجاه النظام المصرى ، كما ان المهمة العاجلة، يجب ان تكون تصعيد النضال في وجه تصعيد المؤامرات ، حتى يتسنى وقف الهيمنة على حقوقنا ، ومصادرة ارادتنا .

ان اختيار الادارة الاميركية بموافقة الحكومة الاسرائيلية للشريحة التي تعتقد انها تقبل بتنفيذ سياستها في المناطق المحتلة ، وبالتالي فانها تسعى جاهدة لدعم هذه الشريحة ، لتمكينها من القيام بدورها ، انما يعبر عن حقيقة ما يدور في خلد الادارتين الاميركية والاسرائيلية وما تحيكها لمستقبل المنطقة ، ويجب على الواهمين بمضاعفة رأسمالهم ، وتطوير مشاريعهم الخاصة ان يدركوا حقيقة كون ذلك قد يتحقق ولكن على حساب القضايا القومية والوطنية الاساسية ، وعليهم ان يدركوا ايضا انهم ان قبلوا بذلك ، فلن يقبل به بقية ابناء الشعب الفلسطيني وهم الغالبية الساحقة لهذا الشعب *.

* في العدد الماضي – ٥٤ – وقع خطأ مطبعي في بداية مقالة رئيس التحرير حيث وردت عبارة – مر عامين – والصحيح – مر عامان – كما هي في الاصل ، لذا اقتضى التنويه .

Digitized by Birzeit University Library

الوضع السياسي الراهن ومهام القوى الوطنية في المناطق المحتلة

لقاء مع الأستاذ بشير البرغوثي رئيس تحرير «الطليعة»

تتصاعد الهجمة الامبريالية الشرسة للخروج من مأزقها ، وللالتفاف على منطقة التحرير وخلق بدائل هزيلة لها في المناطق المحتلة ، محاولة من خلال هجومها هذا اعادة رسم خريطة المنطقة بشكل يناسب ومخططاتها الرامية الى تركيع الشعوب العربية والهيمنة على مقدراتها ومصادرة ارادتها الوطنية والقومية ، تمهيدا لوضع المنطقة بأسرها ضمن دائرة نفوذها ... و"الكاتب" التقى الاستاذ بشير البرغوثي رئيس تحرير جريدة الطليعة المقدسية في حوار تناول أهم القضايا الراهنة ومهام القوى الوطنية في المناطق المحتلة .

- الجذور الطبقية والسياسية لأزمة منظمة التحرير .
- الاحتمالات الممكنة في مستقبل الوضع الفلسطيني .
- الظروف الموضوعية لانعقاد المجلس الوطني
- إتفاق عدن . والدور التاريخي .
- أبعاد استئناف العلاقات الأردنية المصرية .
- " تحسين ظروف المعيشة " بين الواقع والأبعاد .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب : ما هي في رأيكم ابعاد الخطوة الاردنية باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع نظام حسني مبارك الذى لا يزال يؤكد تمسكه باتفاقات كامب ديفيد ، على الرغم من قرارات قمة بغداد ؟وكيف ترون دعوة الملك المغربي لعقد مؤتمر قمة عربي طارئ؟ وما علاقة كل ذلك بالخطوات الاميركية الموازية .... اعلان الرئيس الامريكي عن احياء مشروعه ، زيارة وايتبرغر للمنطقة بعد عودة بيرس من زيارته للولايات المتحدة مباشـــــرة ؟

لا يمكن النظر الى الخطوة الاردنية باعادة العلاقات مع نظام كامب ديفيد في مصر بمعزل عن النهج العام للسياسة الاردنية وعن الخطوات السابقة التمهيدية والتي تواصلت قبل وبعد مؤتمر القمة العربي التاسع الذى قرر مقاطعة النظام المصرى في حالة توقيعه على اتفاقات كامب ديفيد والصلح المنفرد مع اسرائيـــــل .

واذا ما رجعنا الى معالم السياسة الاردنية البارزة تجاه القضية الفلسطينية نجد انها كانت على الدوام تعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة . كان ذلك ايام الانتداب البريطاني وايام لجان التحقيق الانكلواميركية وبعدها لجنة التحقيق التابعة للامم المتحدة. كما كانت هذه السياسة تقوم على الاستعداد لتقديم التنازلات مقابل ضم ما يتبقى من فلسطين الى المملكة الاردنية الهاشمية.ومن اجل هذا قبلت الحكومة الاردنية جميع المشاريع التي قدمها الاستعمار البريطاني من مشروع عام ١٩٣٠ الى مشروع عام ٣٧ ومن ثم الكتاب الابيض وما تلاه من مشاريـــــــع .

وفي واقع الحال كانت موافقة النظام الاردني على هذه المشاريع مرتبطة وخاضعة للمخططات الاستراتيجية للامبريالية البريطانية في ذلك الحين ،وبالتحديد الموافقة على اقامة قواعد عسكرية بريطانية في الاقسام التي كان مخططا ان تضم للمملكة الاردنية من اراضي فلسطيـــــن

وفي المشروع الذى قدمه الامير عبدالله في عام ١٩٤٦ للجنة التحقيق الانكلو اميركية،

Digitized by Birzeit University Library

من وراء ظهر الجامعة العربية، قسمت فلسطين الى ثلاثة اقسام : المناطق الحليفة الوسطى، وهو ما يعرف حاليا بالضفة الغربية تضم الى شرق الاردن، والجنوب والنقب الى مصر . والمناطق الساحلية تقام فيها دولة يهودية. مع تعهد من الامير بإقامة قاعدة جوية بريطانية في المنطقة التي ستضم الى شرقي الاردن .

هذا النهج منسجم مع الاتفاق الذي جرى بين تشرتشل والامير عبدالله في عام ١٩٢١ والذي نشرته وزارة الخارجية البريطانية في الخمسينات كوثيقة من وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

في محضر ذلك الاتفاق ان تشرتشل قال للامير عبدالله انه يريد امرا عربيا يحكم شرق الاردن لمدة ستة اشهر تحت التجربة يقوم خلالها بتامين عدم التعرض للنشاط الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، ومنع تسلل الثوار الى سوريا ضد الانتداب الفرنسي، وتامين خطوط المواصلات الامبراطورية البريطانية بين فلسطين والعراق. ويثبت المحضر ان الامير عبدالله قبل هذه الشروط. وتم الاتفاق على اساسها .

من هنا يلاحظ الارتباط بين النهج الاردني الرسمي تجاه القضية الفلسطينية والمخططات الامبريالية في هذه المنطقة. ويسجل تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ان الامير عبدالله كان طرفا مع بريطانيا في معارضة مطلب الاستقلال الوطني الذي كانت تتمسك به الحركة الوطنية الفلسطينية انذاك .

وفي مذكرات غلوب الذي كان مترجما في لقاء توفيق ابو الهدى، رئيس الوزارة الاردنية في عام ١٩٤٧ وارنست بيفن، وزير الخارجية البريطانية انذاك، جاء ان رئيس الوزارة الاردنية استأذن من بيفن لدخول الجيش العربي الى فلسطين لمنع قيام دولة فلسطينية بزعامة المفتي على حد تعبيره، مشيرا لبيفن بأن "مصلحتنا المشتركة تتطلب ذلك." وقد أذن له الاخير على هذا الاساس .

هذه حقائق تاريخية. وفي تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة ما يعززها ويضيف اليها المزيد من الوقائع المماثلة. هناك ايلول عام ١٩٧٠ ، ومشروع المملكة العربية المتحدة والموافقة على مشروع ريغان، والاعتراض على اتفاقات كامب ديفيد لا من حيث انها تحرم الشعب الفلسطيني من حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة، ولكن من ناحية انها لا تحقق للنظام الاردني مطالبه في استعادة الضفة الغربية، ولا توفر الضمانات لعودة هذه الاراضي في حالة قبوله بالانضمام الى تلك الاتفاقات. والاسئلة الثلاثة عشرة التي قدمتها الحكومة الاردنية الى الحكومة الاميركية قبل ان تحدد موقفها من تلك الاتفاقات كانت تتركز على تلك الضمانات دون اية اشارة لحق تقرير المصير او اقامة الدولة المستقلة .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الموقف كان بعد عدة سنوات من قرار قمة الرباط المفترض ان تلتزم به الحكومة الاردنية والقاضي بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

Digitized by Birzeit University Library

لقد كان النظام الاردني مستعدا للخروج على ذلك القرار لو كانت اجوبة الاسئلة الثلاثة عشرة من قبل واشنطن ايجابيـــــــة !

وعندما طرح مشروع ريغان وتضمن اشارة الى قيام كيان فلسطيني مرتبط بالاردن سارعت الحكومة الاردنية الى ترجمته بعبارة " الكونفيدرالية" ولقيت للاسف ، لدى قيادة منظمة التحرير من وقع في هذا " المطب" ، وقبيل انقطاع الحوار الاردني الفلسطيني ، تحت ضغط المعارضة الواسعة ، تكشفت بوضوح الدوافع الحقيقية ، وراء الحوار ، ووراء شعار "انقاذ ما يمكن انقاذه" ووراء " الصحوة الوحدوية" لدى حكام الاردن ، والخلط الديماغوجي بين علاقات الشعبين الشقيقين الاردني والفلسطيني وبين العلاقات مع النظام الاردني الذى اشرنا الى جوانب من نهجه السياسي تجاه القضيـة الفلسطينيـــــــة

ليس هناك مجال للخلط بين هذين النوعين المتناقضين من العلاقات . فالعلاقات بين الشعبين الشقيقين هي علاقات قومية وانسانية وتاريخية تعمدت بالكفاح المشترك الطويـل للشعبين من اجل التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي ، وتتغذى ، على الدوام ، بالطموحات والمثل المشتركة من اجل الوحدة على اسس ديموقراطية وكجزء من الوحدة العربية الشاملـــــة .

هذه الطموحات والمثل المشتركة من اجل التحرر والديموقراطية والتقدم الاجتماعـي والوحدة على اسس ديمقراطية هي التي وضعت الشعبين معا في علاقة تناحرية مع النظام ، الذى عادى ويعادى هذه الطموحات والمثل المشتركة للشعبين ، وعبر عن ذلك باضطهاد ابناء الشعبين وحرمانهما من كافة الحقوق الديموقراطية ، وبالتفريط في السيادة الوطنية ، وفي رفض انتهاج سياسة معادية للامبريالية ، سياسة تتجه لتعبئة الطاقات الداخلية واشراك ممثلي الجماهير في الحكم ، والعمل من اجل اقامة تضامن عربي كفاحي ، وبناء علاقات تعاون صادق مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية ، ومقاومة المشاريع الاستسلامية ، والتخلي عن سياسة الارتباط بالامبريالية الاميركيـــــــة .

لقد تمسك النظام الاردني بسياسة الاعتماد على الامبريالية . ورغم كل الخذلان الذى لاقاه من واشنطن فقد ظل على ولائه لها ، وعلى استعداده لخدمة مخططاتها الامبريالية في المنطقة . يشهد على ذلك موافقته على اقامة لجنة عسكرية اردنية اميركية مشتركة ، واجرائه مناورات عسكرية مشتركة مع الجيش الاميركي في شمالي الاردن قريبا من الحدود السورية ، وتخصيص لواءين عسكريين من قواته لتدرب وتمول وتوجه وتستخدم من قبل الولايات المتحدة باسم قوات الانتشار السريع في منطقة الخليج . نحن نسجل الوقائع المعروفة والمخفي اعظم !

ولهذا ليس صدفة ان يكون اؤلئك الذين ايدوا اتفاقات كامب ديفيد ومشروع ريغان ، ويتعاملون مع الادارة المدنية ، وكذلك مخلفات روابط القرى ، ورؤساء البلديات المعينين ،

Digitized by Birzeit University Library

أو الذين يتهافتون على التعيين هم اصحاب اقوى الاصوات في المطالبة بتقويض النظام الاردني لتمثيل الشعب الفلسطيني بديلا لمنظمة التحرير، والذين يحاولون اسقاط العلاقات الاخوية الحميمة بين الشعبين الفلسطيني والاردني على العلاقات مع النظام الذى يضطهدهما .

انهم يتحدثون عن علاقات النسب والاخوة التي هي قائمة فعلا بين الشعبين ويعنون بها في الحقيقة، العلاقة السياسية مع النظام الاردني ليحققوا من وراء ذلك العبور الى مشاريع الاستسلام . ولو كان النظام معاديا لهذه المشاريع لبحثوا عن "أصهار" اخرين في نظام عربي اخر يوافق على تلك المشاريع .

ربما اكون قد اطلت في الاشارة الى موضوع العلاقات .ولكنني اعتقد ان هذا ضرورى لانها تستغل، في الوقت الحاضر، وبالتأكيد في المستقبل القريب، أى بعد انتخابات الرئاسة الاميركية ،لتستخدم في تبرير الدعوة لتقويض النظام الاردني بالتفاوض على اساس مشروع ريغان او ما يماثله نيابة عن الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي منظمة التحرير .

في ضوء هذا الاستعراض المحدود لتجليات النهج السياسي للنظام الاردني تجاه القضية الفلسطينية يمكن النظر الى قرار اعادة العلاقات بينه وبين النظام المصرى، ويمكن استقراء الدوافع الحقيقية لهذا القرار الكامنة وراء ستار الدخان الذى تحاول وسائل الاعلام الاردنية والمصرية اقامته لتضليل الشعوب العربية .

ان التبرير الرسمي للنظامين هو بناء التضامن العربي ادراكا منهما ان التضامن الكفاحي العربي مطلب عزيز لدى الجماهير العربية وحركاتها الوطنية والتقدمية. وهنا نجد ايضا ذلك الخلط الديماغوجي الذى تحدثنا عنه في موضوع العلاقات بين الشعبين الفلسطيني والاردني والعلاقات بينهما وبين النظام الاردني .

هذان النظامان يريدان الظهور بمظهر المبادر لاعادة بناء التضامن العربي، رغم انهما خرجا على هذا التضامن وكانا بسياساتهما الانقسامية المتخاذلة السبب في احداث الانقسام في الجبهة العربية.النظام المصرى خرج على التضامن بتوقيعه معاهدة الصلح المنفرد مع اسرائيل واتفاقات كامب ديفيد والنظام الاردني خرج على التضامن باعادته للعلاقات مع نظام كامب ديفيد في مصر منتهكا بذلك احد اركان التضامن العربي الذى اقر في القمة العربية التاسعة في بغداد .

لقد خرجا على التضامن العربي باتجاه الاستسلام وهما يطالبان العرب الان بالتضامن معهما على اساس هذا الخروج. أى مطلوب من العرب السير معهما على ذلك الطريق المشين!

انهما يطرحان مفهوما للتضامن العربي يقوم على اساس نهجهما السياسي، نهج كامب ديفيد ومشروع ريغان، نهج الارتباط بالامبريالية الاميركية بكل مظاهرة السياسية والاقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

والعسكرية. وهذا يعني ان يتضامن كل العرب مع المخططات الاستراتيجية للامبريالية الاميركية، مثلما تشهد هذا التضامن المشبوه في مواقف النظامين السياسية تجاه الحلول الامريكية، وفي المناورات العسكرية المشتركة والتفريط بالسيادة الوطنية، واقامة قوات الانتشار السريع او الردع الموجهة ضد القوى والحركات الوطنية والتقدمية في العالم العربي.

وبكلمات اخرى ان التضامن الذى يطرحه النظامان هو ذلك "التضامن" الذى كان قائما بين الدول العربية الرجعية في اواخر الاربعينات وقبل الانجازات التي حققتها حركة التحرر في العديد من البلدان العربية.

ان النظامين الاردني والمصرى يحاولان استعادة زمام المبادرة من حركة التحرر العربية، واعادة عقارب الساعة الى وراء. واضح ان هذا حلم غير قابل للتحقيق مهما كانت مظاهر الانقسام والخلافات في حركة التحرر العربية مغرية لاصحابه ليظنوا العكس.

وفي الواقع تراهم الان يحاولون استغلال الخلافات القائمة الى الحد الاقصى. ويزعمون استنادا الى وجود هذه الخلافات بين رفاق الدرب الواحد في حركة التحرر العربية ان قرارهم باعادة العلاقات بين النظامين المصرى والاردني هو "ظاهرة التضامن" الوحيدة في بحر الخلافات العربية.

ولكن لماذا الان ؟ واذا كان قرار اعادة العلاقات الكاملة بين هذين النظامين المرتبطين بالامبريالية في مصلحة العرب فلماذا وافق النظام الاردني، في الماضي، على قرار مقاطعة نظام كامب ديفيد في مصر ؟؟.

آنذاك كانت جبهة الصمود والتصدى قد اعلنت وطرحت برنامجها الكفاحي الذى نص على وجوب الاستناد الى الجماهير العربية وطاقاتها والى التضامن العربي وما يوفره من طاقات هائلة وموارد ضخمة وقوة تأثير محسوسة على توازن القوى لصالح حركة التحرر العربية، والى حلف استراتيجي مع الاتحاد السوفييتي وما يقدمه من امكانات وقدرات على مختلف الاصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية.

ولم يكن امام الانظمة العربية الاخرى التي تعارض هذا النهج الكفاحي، ولا تستطيع الوقوف في وجه القضية الجماهيرية العارمة في العالم العربي ضد اتفاقات كامب ديفيد الا ان تحني رأسها امام الموجة وان تحاول الخروج بصيغة توفيقية لا تلزمها ببرنامج جبهة الصمود والتصدى ولا تظهرها امام الجماهير العربية في وضع التواطؤ السافر مع اتفاقات كامب ديفيد والنظام الذى اقدم على توقيعها. وكانت القمة العربية التاسعة في بغداد هي صاحبة الصيغة التوفيقية والتي قبلت حينذاك كحد ادنى لوحدة العمل العربي.

وعلى الرغم من ان انظمة الرجعية العربية لم تتقيد بقرارات مقاطعة النظام المصرى، وبعضها احتفظ بعلاقاته العلنية معه كالنظام السوداني والصومالي والعماني، واحتفظ الاخر

Digitized by Birzeit University Library

كالسعودية والاردن والمغرب بعلاقات شبه علنية، على الرغم من هذا فان اخفاقات النظام المصري ومظاهر تبعيته المفضوحة للامبريالية وعجزه حتى عن استرداد طابا، وتزايد رعونة حكام اسرائيل وصلفهم وتماديهم في سياستهم العدوانية كما جرى ضد المفاعل الذرى في العراق، وضد لبنان وشعبه وضد منظمة التحرير، وزيادة القمع ومصادرة الاراضي واقامة المستوطنات الكولونيالية في الاراضي المحتلة، واتضاح حقيقة ما يسمى بالحكم الادارى الذى نصت عليه اتفاقات كامب ديفيد وقبول الولايات المتحدة للتفسير الاسرائيلي لهذا الحكم، وفشل المفاوضات التي دارت حوله بين اطراف كامب ديفيد وعجز النظام المصرى عن تحقيق أى من تبجحاته عن منافع كامب ديفيد للشعب الفلسطيني، واستمرار وحدة القوى الوطنية العربية المعارضة لنهج النظام المصرى، كل ذلك شل من قدرة انظمة الرجعية العربية على اعادة مد جسورها بصورة علنية مع النظام المصرى في ذلك الحين.

ولكن التطورات التي طرأت على الوضع العربي بعد ذلك، وفي المقدمة العدوان الاسرائيلي على لبنان وخروج حركة المقاومة الفلسطينية والخلافات بين قيادة حركة فتح وسوريا، ثم الانشقاق داخل هذه الحركة، وتزايد مظاهر الانحراف اليميني لدى قيادة هذه الحركة باتخاذ موقف غير واضح وغير معارض لمشروع ريغان ودخولها في مفاوضات مع النظام الاردني حول صيغة توفيقية بين هذا المشروع وقرارات قمة فاس الخاصة بالقضية الفلسطينية، ثم نشوب الاقتتال المأساوى بين الاخوة في البقاع وطرابلس وزيارة عرفات للقاهرة وامتداد الانقسام الى منظمة التحرير وشل موسساتها، كل ذلك كان عوامل تشجيع لاقتراب غير متحرج من نظام كامب ديفيد في مصر. فكان لقاء الملك حسين بمبارك في مؤتمر عدم الانحياز في نيودلهي، وكانت الزيارات المتبادلة بين مسؤولين مصريين واردنيين، وكان اللقاء المشترك بين حسين ومبارك وريغان في واشنطن وكانت ايضا الدعوة الاردنية لتعديل ميثاق الجامعة العربية لتؤخذ القرارات بالاغلبية، على امل التغلب على معارضة الدول العربية الوطنية لاعادة النظام المصرى الى الحظيرة العربية مثلما اتخذ قرار باعادته بالاكثرية الى عضوية المؤتمر الاسلامي.

وفي هذا يمكن الملاحظة بوضوح ان الحديث عن اعادة النظام المصرى الى الحظيرة العربية، ورفع قرار المقاطعة عنه كان مرتبطا بمستوى حالة الجزر في الوضع العربي وبالتراجعات التي رافقت ذلك، وبتزايد مظاهر الهجمة الامبريالية وتحقيقها لبعض النجاحات التي اثبتت الايام اللاحقة انها كانت مؤقتة.

وهكذا بعد ان منيت السياسة الاميركية الامبريالية باخفاق ذريع في لبنان واضطرت تحت وطأة المقاومة الوطنية اللبنانية وصمود سوريا وتصديها الشجاع لتلك السياسة والدعم السوفييتي لهذا الصمود وكونه احد مقوماته الهامة، والمعارضة الفلسطينية الحازمة لمشروع ريغان ولتفويض النظام الاردني لتمثيل الشعب الفلسطيني وخاصة في الاراضي المحتلة،

Digitized by Birzeit University Library

تظاهرت القوى الاستسلامية بالتراجع واعلن الملك حسين اثر عودته من الرحلة المشتركة مع حسني مبارك الى واشنطن بأن الولايات المتحدة لم تعد صالحة لتلعب دور "الوسيط النزيه" في الشرق الاوسـط .

لقد كانت هذه الفترة أى الفترة التي الغيت فيها اتفاقية ١٧ ايار في لبنان ، وظهرت خلالها الامبريالية الامريكية عاجزة عن قطف الثمار السياسية للغزو الاسرائيلي للبنان ، مثلما ظهرت اسرائيل عاجزة عن تحقيق اهدافها من وراء ذلك الغزو تحت ضغط المقاومة الوطنية اللبنانية ودعم سوريا وحركة المقاومة الفلسطينية ، ومساندة الاتحاد السوفييتي ، فترة تعززت فيها مصداقية النهج السياسي المعادى للامبريالية والقائم على التصدى الحازم للمشاريع الامبريالية والصهيونية والعربية الرجعية ، وتأكد الدور الطليعي الذى تلعبه سوريا في ساحة الصراع ضد الهجمة الامبريالية ومشاريعها وادواتها في المنطقة ،ومنيت بالافلاس مختلف الطروحات الانهزامية التي طرحها اليمين العربي بعد الخروج من بيروت حول عدم وجود بديل لسياسة الاعتماد على الامبريالية الامريكية ومشاريعها ، وحول التشكيك في سوريا وحركة التحرر العربية بوجه عام ، وحول التشكيك في جدوى التعاون مع الاتحاد السوفييتـي .

وانتقل الذين ايدوا اتفاق ١٧ ايار هنا في الاراضي المحتلة وفي الاردن وغيره من الدول العربية الرجعية ، في الظاهر ، الى الادعاء بأنهم كانوا يعارضون تلك الاتفاقية منذالبداية مع انهم كانوا يترقبون تنفيذها ليتفرغ ريغان ،كما وعدهم ، وكما صرح ممثلوهم هنا في الاراضي المحتلة ، لتنفيذ مشروعه الخاص بالقضية الفلسطينيـة .

لقد كانوا ينتظرون ان تصلهم "موجة" الهجمة الامبريالية ولكنها تكسرت على شواطئ لبنـان .

وبالفعل كان نهج الاعتماد على الامبريالية الاميركية ، في تلك الفترة ، يعاني من الافلاس الذريع بينما كان نهج الصمود والتصدى يؤكد عمليا مصداقيته ونجاعته في خدمة الاهداف القومية للشعوب العربيـة .

في اعتقادى ان تلك الفترة كانت ملائمة تماما لمتابعة الانتصار والبناء عليه ، واحداث تأثيرملموس على ميزان القوى في الساحة العربية لصالححركة التحرر العربية. لكنها لم تستغل بما فيه الكفاية. وفي تقديرى انه كان بالامكان في ظل هذا الانتصار الذى تحقق ضد الهجمة الامبريالية في لبنان ابداء قدر من المرونة التكتيكية لاعادة وحدة منظمةالتحرير والتغلب على الخلافات القائمة ، واعادة احياء جبهة الصمود والتصدى والتقدم عبر هذه الانجازات لتحييد قوى عربية اخرى والزامها بعدم الخروج على قرارات قمة فاس نحو المشاريع الاميركية الاستسلامية . واذا كان من الصعب الجزم بخصوص هذه النتائج فان الحاجة الماسة اليها تستحق بذل الجهد من اجلها واستلام زمام المبادرة في العمـل لتحقيقهـا .

لقد كانت جبهة القوى الرجعية العربية مفككةونهجها السياسي مفلسا ، وكان اتخاذ

Digitized by Birzeit University Library

خطوات عملية لتوحيد القوى المعادية لنهج الاستسلام من شأنه ان يحدث تأثيرا ايجابيا على مجمل الوضع العربـــــي .

لقد كانت سوريا هي القوة العربية الوحيدة القادرة على القيام بهذه المبادرة . ولا احد يستطيع اتهامها وهي في قمة انتصارها بأنها تراجعت امام هذا الطرف او ذاك حينما تفتح له باب العودة الى حظيرة القوى المكافحة ضد الهجمة الامبريالية خصوصا وان هذا الطرف قد وصل الى طريق مسدود في مراهنته على نهج الاعتماد على الامبريالية الاميركية وعلى الحلول التي يفرزهـا هـذا النهـــج .

لم يتحقق شيء من هذا للاسف . ولست بصدد تحميل احد مسؤولية ذلك بصورة كلية فلقد استمرت حملة الهجوم على سوريا . وظل التشكيك بها قائما وهي توجه الضربات الحازمة للامبريالية الاميركيـــــة .

ولكن قضية وحدة القوى المعادية للهجمة الامبريالية ولمشاريع الاستسلام لم تحرز التقدم الذي كان ممكنا . وعلى العكس من ذلك فاننا نلاحظ ظواهر مقلقة في الخلاف بيـن الجزائر وليبيا وبين الاخيرة واليمن الديمقراطي ، وفي مشروع الوحدة المغربية الليبية وانعكاساته السلبية على وحدة قوى الصمود والتصدي العربيـــــة .

والى جانب ذلك هناك ظواهر تشير الى محاولات اميركية لاستئناف دور واشنطن من جديد في المنطقة . ومساع لاستعادة دورها كوسيط في المشكلة اللبنانية وفي المشكلة الفلسطينية كذلك وتلعب اسرائيل دورا رئيسيا في هذه المحاولات باشتراطها ان تكون واشنطن وسيطا في وضع ترتيبات انسحابها من جنوب لبنان . كما دلت مشاورات واينبرغر مع الملك حسين وحسني مبارك حول الوضع في لبنان على ان هناك دورا ايضا لهذين النظامين في المخططات الاميركية الخاصة لبنان باعتبار مشكلته لا تنفصل عن المشكلة العامة ، مشكلة الشرق الاوسط كما يسمونهـــــا .

ولا جدال في ان محاولات القوى الانعزالية اللبنانية لمعارضة الاصلاحات السياسية الديموقراطية في لبنان تدخل في نطاق محاولات افشال الجهود السورية لحل المشكلة اللبنانية لصالح اعادة مشروع الحل الاميركي الاسرائيلي من النافذة بعد ان خرج مطرودا من البـــــاب

ان قوى الرجعية العربية التي حنت رأسها امام العاصفة اثر الغاء اتفاق ١٧ ايار واضطرار القوات المتعددة الجنسية الى الانسحاب من لبنان عادت لتطل برأسها من جديد ، وهناك اجراءات محددة لتوطيد محور القاهرة ـ عمان ـ بغداد . وقرار اعادة العلاقات بين النظامين الاردني والمصري ، في هذا الوقت بالذات ، يشكل اشارة لاستئناف الهجمة الامبريالية ، وللتمهيد لمحاولة تمرير مشاريع الاستسلام والهيمنة الاميركية بعد انتخابات الرئاسة فـي الولايـات المتحـــــدة .

ويبدو لي من خلال المبررات التي يطرحها المسؤولون الاردنيون ووسائل اعلامهم

Digitized by Birzeit University Library

لخطوة اعادة العلاقات مع النظام المصرى من طراز اقامة قاعدة للتضامن العربي ، والرغبة في وقف التردى . على حد تعبيرهم ، في الوضع العربي انهم يقصدون وضعهم هم ووضع اؤلئك الذين عملوا على تأييدهم في المحاولة الاولى لمعاقرة مشروع ريغـــان .

لقد كان الملك حسين يعول على تأييد السعودية ودول الخليج في سعيه للتفاوض على اساس مشروع ريغان . وكان يظن ان تأييد هذه الانظمة له سيجعله يظهر بمظهر الذى يفاوض على اساس مشروع افضل من اتفاقات كامب ديفيد باعتبار ان تلك الانظمة كانت تعارض تلك الاتفاقات . ولكن هذه الانظمة ، وان كانت تتعاطف مع محاولات الملك حسين الا انها بسبب اوضاعها الداخلية ومخاوفها من رد الفعل السورى والايراني وتأثيراته المباشرة عليها لم تستطع السير مع الملك حسين حتى نهاية الشوط بل انها تخلت عن امين الجميل الذى كان هوالاخر ومعه الولايات المتحدة ، يعول على تأييدهـــــا .

ان الملك حسين حينما كان يتحدث في معرض تبريره لخطوته امام البرلمان الاردني عن الضعف العربي وعن ان خطوته هي للخروج من هذا الضعف كان يعني ضعف السعودية ودول الخليج في تقديم الدعم له للتفاوض على اساس مشروع ريغان . وهو بأعادة علاقاته الكاملة مع النظام المصرى سيكون مستندا في الجولة التالية ، كما يعتقد بعد انتخابات الرئاسة ، الى نظام لا يشعر بالحرج ، او التردد تجاه المشاريع الاستسلامية لانه غائص فيها ، ولانه لا يتردد في الاعلان عن تمسكه باتفاقات كامب ديفيد وبالتالي فانه لن يخذل الملك حسين بل سيكون حليفه في التفاوض على اساس تلك الاتفاقات بغض النظر عن الاسم الذى سيعطى لها بقصـــد التمويـــــه .

هذا هو الواقع . وهذا ما فهمه ريغان وشمعون بيرس حينما رحبا بقرار اعادة العلاقات بين النظامين الاردني والمصرى . وهذا ما دفع كلا من شولتز ووانبرغر وبطرس غالي الى القول بأن ذلك القرار يعني تقدما بارزا لفرص احلال السلام الشامل والدائم في المنطقة ، أى سلام كامب ديفيـــــد .

بطرس غالي يتحدث الان عن استراتيجية مشتركة مع النظام الاردني ويحدد معالم هذه الاستراتيجية بكامب ديفيد او مشروع ريغان ، وبتفويض الاردن التفاوض بوفد يشترك فيه فلسطينيون وليس منظمة التحرير . والملك حسين يصرح في ترحيبه بحسني مبارك ان اهداف النظامين واحدة تجاه القضيـة الفلسطينيـــــة .

ويجب ان لا يخدع احد بتكرار المسؤولين الاردنيين لتأييدهم لعقد المؤتمر الدولي . فبطرس غالي الذى تجمعهم معه اهداف واحدة على حد تعبير الملك حسين اعلن صراحة ان المؤتمر الدولي يمكن ان يأتي في مرحلة لاحقة أى بعد الانتهاء من المفاوضات بالوساطـة الاميركية المزعومة ، مثلما كان الحال حينما اراد السادات من مؤتمر جنيف الموافقة على

Digitized by Birzeit University Library

اتفاقيات سيناء التي كان قد تفاوض عليها خارج مؤتمر جنيف وبوساطة كيسنجر .

كما لا يجب ان ننفصل عن حقيقة كون قرار اعادة العلاقات مع النظام المصرى جاء في اعقاب اجراءات اردنية موجهة للالتفاف على قرار قمة الرباط الخاص باعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. هناك قرار اعادة احياء البرلمان الاردني وتعيين ممثلين مزعومين عن بعض مناطق الضفة الغربية، وتأكيد عدد من المسؤولين الاردنيين بأن البرلمان يمثل الضفتين. وهناك توجيه سياسة اللجنة الاردنية الفلسطينية المشتركة فيما يسمى بدعم الصمود في الاراضي المحتلة باتجاه تعزيز وتوسيع القاعدة السياسية للنظام الاردني في الاراضي المحتلة، وهي قاعدة ظهرت نتائج توسعها من الوفود والعرائض التي وجهت للنظام الاردني ولعرفات مطالبة بتفويض الملك حسين، وكان العديد من اعضائها ومن الموقعين عليها يصيحون باعلى اصواتهم ،حتى قبل وقت قصير من ذلك، انهم يعتبرون منظمة التحرير هي ممثلهم الشرعي الوحيد .صحيح انهم ما زالوا يقولون ذلك ولكنهم الان يضيفون بأنها ممثلهم في تفويض الملك حسين !

وفي مقابل محاولة توسيع القاعدة السياسة للنظام الاردني في الاراضي المحتلة هناك اجراءات قمعية وابتزاز بوليسي تقوم به المخابرات ضد المسافرين الى عمان وعلى الجسور وضد الطلبة الذى يسافرون للدراسة أو يحضرون من الخارج وضد المؤسسات العمالية والطلابية في الاراضي المحتلة التي تعارض نهج الاستسلام وترفض التفويض. والهدف من هذه الاجراءات تضييق قاعدة الحركة الوطنية المتمسكة بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة والمناضلة بحزم ضد الاحتلال الاسرائيلي وممارساته، وضد المشاريع الاستسلامية. لقد بلغ هذا الابتزاز حد حرمان عدد كبير من النقابات العمالية من الدعم الضئيل الذى كان يقدم لها في الماضي ، وحد الطلب من بعض النوادى والنقابات والجمعيات مثل المقاصد الخيرية ومجلس امناء جامعة الخليل اخراج اعضاء معينين لتمسكهم بحقوق شعبهم ودفاعهم عنها كشرط لتقديم المساعدة لهذه المؤسسات .

ان من السذاجة بل من الغباء ان لا يربط الانسان بين قرار اعادة العلاقات مع نظام كامب ديفيد وكل الاجراءات التي سبقتها والتي لا تزال تطبق بمثابرة وشراسة. انها جميعا حلقات في سياسة واحدة هدفها سحب الصفة التمثيلية من منظمة التحرير والحلول مكانها، بموافقتها او بدونها ، كممثل للشعب الفلسطيني في مفاوضات على اساس المشاريع الامريكية المطروحة .

ان البيروقراطية الفلسطينية الكبيرة التي وجدت لها بعض التسهيلات في عمان صمتت تجاه هذه الخطوات او ايدتها بصورة أو بأخرى. وهناك مبررات تساق وتقع جميعها ضمن التسهيلات المقدمة لهذه البيروقراطية، وهنا يبرز التعارض بين الاعتبار البيروقراطي والاعتبار السياسي في التعامل مع القرار الاردني باعادة العلاقات مع النظام المصرى ومع الاجراءات

Digitized by Birzeit University Library

الاخرى التي ذكرتها .

لا جدال في ان الاولوية يجب ان تكون للاعتبار السياسي لاعتبار المصلحة الوطنية، مصلحة بقاء منظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني. اذ ما فائدة كل التسهيلات البيروقراطية حينما يكون ثمنها السكوت على عمليات الحفرلتقويض الاسس التي ترتكز اليها تلك المؤسسات ؟

رغم كل هذا فان النظامين الاردني والمصرى لم يلاقيا التجاوب الذى كانا يتوقعانه عندما اقدما على فعلتهما . لم يحصلا على التأييد ، ومحاولة الحسن الذى كان وما زال عراب كل محاولة استسلام للتغطية على تلك الفعلة وامتصاص رد الفعل العربي المستنكر لها بالدعوة الى قمة استثنائية ، كما سماها باءت بالفشل الذريع .

ولكن السؤال المهم هو هل تحالف النظام الاردني مع نظام كامب ديفيد في مصر سيحقق له حلا كان عاجزا عن الحصول عليه لو بقي متمسكا بقرار المقاطعة اولو اتجه للتضامن نحو سوريا وقوى الصمود والتصدى العربية ؟

لقد وقع النظام المصرى اتفاقات كامب ديفيد وهو يعلن تمسكه بها ومع ذلك لم يستطع تحقيق ما لم تكن اسرائيل راغبة في تقديمه له. وقد اخذ اقل بكثير مما كان معروضا على عبد الناصر ورفضه.وهو ما زال عاجزاعن استرداد طابا . ولم يحرر سيناء كما يدعي بل تحول وضعها من اراض محتلة بصورة مباشرة من قبل اسرائيل الى احتلال اسرائيلي غيرمباشر والى احتلال من قبل قوات متعددة الجنسية تابعه لحلف الاطلسي وبالذات للقوات الاميركية السريعة الانتشار . واضيف ايضا لهذا الاحتلال احتلال قاعدة راس بناس المصرية فضلا عن تفريطه في السيادة المصرية من خلال السماح بمرابطة طائرات الاواكس الاميركية في مصر وتقديم اراضي مصر مسرحا لمناورات القوات المسلحة الاميركية .

وقد صرح شولتز مؤخرا ان مشروع ريغان هو مدخل للتفاوض وليس نتيجة له . ومعنى هذا ان الاطراف التي توافق عليه ستوافق فقط على التفاوض مع اسرائيل دون ان تكون لها القدرة على زحزحتها عن مواقفها المعلنة مثلما كانت مصر السادات ومبارك ولا تزال عاجزة عن ذلك تجاه قضية طابا وتجاه مفاوضات الادارة الذاتية. فلاحزب العمل الاسرائيلي ولا الليكود مستعدان لاعادة الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان . واقصى ما يعلن حزب العمل عن استعداده لاعادته هو اجزاء من الضفة الغربية . واميركا التي يعتمدون عليها تعلن هي الاخرى انها غير مستعدة لممارسة اى ضغط على اسرائيل . واكثر من ذلك يزداد اتفاقهما الاستراتيجي توثقا واتساعا . وهذا ما يجعل خطوة النظام الاردني الاخيرة مجرد تعزيز لنهج كامب ديفيد وتعميق الانقسام في الصف العربي ، وبالتالي تقديم المزيد من الحوافز لاسرائيل للاستمرار في احتلال الاراضي العربية .

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب : قامت سلطات الاحتلال مؤخرا باستدعائك وعدد من الشخصيات الفلسطينية في المناطق المحتلة محذرة من اي نشاط باتجاه احياء لجنة التوجيه الوطني ، في وقت يدور فيه لغط كثير حول تحسين الظروف المعيشة للسكان في الضفة الغربية وقطاع غزة. كيف تنظرون الى هذه الخطوة ؟ وما هي في رأيكم ابعاد هذه الاجراءات ؟

علينا ان نذكر ان التحذير من اعادة احياء لجنة التوجيه الوطني جاء شفهيا على لسان منسق شؤون المناطق المحتلة قبل وقت من توجيه التحذير الخطي. وفي حينه اعطت وسائل الاعلام الاسرائيلية اهتماما خاصا بذلك التحذير واخذت تنسج قصصا وروايات حول ما يجرى في المناطق كما يسمونها. ثم تمخض كل ذلك عن تبرير غريب لذلك التحذير الذى بدا انذاك مفاجئا وهو تواجد عدد من الشخصيات الوطنية في حفل تخريج بجامعة بيرزيت .لم تكن هذه اول مرة تتواجد فيها هذه الشخصيات في الجامعة في مناسبة او اخرى. ولكن استخدام هذه الذريعة وهي أخذ الناس بالشبهات او حتى بالتخيلات بمثل تصعيدا مكارثيا لسياسة ما يسمى بالقبضة الحديدية .والنتيجة البديهية لمثل هذا الموقف من جانب سلطات الاحتلال هي ان تعتبر اى لقاء عابر او اية زيارة او اية مناسبة اجتماعية يتواجد فيها بعض او كل من تشتبه بأنهم كانوا اعضاء في لجنة التوجيه الوطني محاولة لاعادة تشكيلها ومبررا لايقاع العقوبة بتلك الشخصيات .

غير انه يجب ان لا ننسى ان التحذير الذى وجهه منسق شؤون المناطق المحتلة جاء غداة اقامة النقاط الاستيطانية الجديدة داخل مدينة الخليل وعشية مصادرة جزء من منطقة امتياز دائرة كهربا نابلس وربطه بشركة الكهرباء الاسرائيلية ،وكان ذلك اشارة واضحة الى ان التنسيق بين الذراع الاستيطاني والذراع القمعي للسلطة المحتلة قد ازداد تطورا وتوثقا. وهذه حقيقة اكدتها الوثائق اللاحقة بعد قيام حكومة الائتلاف بين الليكود وحزب العمل فقد تم تبني مطالب المستوطنين فيما يتعلق بكيفية اضطهاد العرب في الاراضي المحتلة. وتسيير دوريات خاصة بالمستوطنين الى جانب دوريات الجيش في مخيم الدهيشة ، والسماح لكهانا الفاشي بزيارة استفزازية لذلك المخيم اثناء فرض منع التجول عليه ، واللقاءات الدورية بين رابين،وزير الدفاع الاسرائيلي وممثلي المستوطنين ، وسماحه باقامة احتفال تضامني في قلب مدينة الخليل مع التنظيم الارهابي السرى اليهودى ومشاركة شارون ونواب كنيست في ذلك الاحتفال،كلها مجرد شواهد وامثلة على تلاصق الاذرع الرسمية وغير الرسمية لقمع العرب في الاراضي المحتلة. وقد كشف النقاب مؤخرا عن ان مجلس المستوطنات كان يتباحث مع منسق شؤون المناطق المحتلة في قضية تعيين رؤساء بلديات لبعض المدن في

Digitized by Birzeit University Library

الضفة وان المنسق كان قد وعدهم بأن شيئا من هذا لن يحدث وستظل البلديات برئاسة موظفين اسرائيليين. وهذا المثل يشير الى ان "شروط الحياة" وهو التعبير الذى استخدمه شولتز وتلقفه اخرون يشارك المستوطنون ايضا في بحثها وفي تقرير نوعيتها . اما تشيد تحولا في علاقة المستوطنين بالسلطة الاحتلالية فبعد ان كانوا اداة لها باتوا الان شركاء فيها وفي اتخاذ قراراتهـــــا .

واذا ما اخذنا في الاعتبار الطبيعة العنصرية الفاشية للمستوطنين ،وكونهم في اقصى اليمين الاشد تطرفا وعدوانية في داخل اسرائيل فمن الممكن تقدير الاتجاه الذى تسير فيه السياسة الاحتلالية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة بعد ان بات هؤلاء عنصرا فعالا في تقريرها وتطبيقهـــــا .

وبامكاننا ايضا ان نستنتج ماذا يعني الحديث الدائر على السنة بعض المسؤولين الاميركيين والاسرائيليين عما يسمى "تحسين شروط الحياة" في الاراضي المحتلة . وبكون واقعيا طرح السؤال الثاني شروط حياة من التي يقصدها المسؤولون الاسرائيليون ؟ وبكون واقعيا كذلك الاجابة بأن المقصود هم المستوطنـــــون !

ورغم ذلك ، وربما بالارتباط مع ذلك فهناك حديث عن تأسيس بنك عربي في نابلس، وعن تعيين رؤساء عرب لبلديات نابلس ورام الله والبيرة والخليل ، وعن استثمارات امريكية يهودية عربية مشتركة يراد توظيفها في الاراضي المحتلة ، الا ان شمعون بيرس اخذ يتحدث حتى قبل ان يتحقق شيء من هذا عن " سياسة ليبرالية" يقوم بتنفيذها في الاراضـــي المحتلـــــــة !!

نحن نعرف ان استهلال هذه السياسة كان تسيير دوريات المستوطنين في مخيم الدهيشة، اضافة لكل ما يجرى من الممارسات المعروفة في ذلك المخيم وفي مواقع اخرى كثيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة،وكان ايضا السماح باحتفالات التضامن مع التنظيم الارهابي السري اليهودي في مدينة الخليل . وكانت الانذارات المكتوبة لعدد من الشخصيات الوطنيـــة .

وحتى لو تحقق فعلا ما يعنونه بالسياسة الليبرالية او بما يسمى "تحسين شروط الحياة" في الاراضي المحتلة ، وتعيين رؤساء بلديات واستثمارات مالية وانشاء بنك في نابلس فهل يمكن اعتبار ذلك تحسينا لشروط الحيـــــاة ؟!

اننا نرى في ذلك محاولة لتحسين وضع الاحتلال نفسه. فهناك رؤساء بلديات عرب في قلقيلية ودورا ودير دبوان وهم في واقع الامر مجرد موظفين لدى سلطات الاحتلال ، وكونهم عربا لا يغير من حقيقة كون السياسة التي ينفذونها هي سياسة السلطة المحتلة. والبنك الذى يجرى الحديث عنه ليس الا اداة لمزيد من ربط اقتصاد الاراضي المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ووسيلة لامتداد العلاقات المصرفية الاسرائيلية الى البلاد العربية عبر هذا البنك

Digitized by Birzeit University Library

طالما انه سيكون خاضعا لاشراف البنك المركزي الاسرائيلي مثل باقي البنوك الاسرائيليـــة .

ان الحديث عن "تحسين شروط الحياة" في الاراضي المحتلة بهذا الفهم وضمن هذا الاطار يمثل استهتارا صارخا بوعي شعبنا ،ويعكس نظرة فوقية عنصرية لا نرى في شعبنا سوى بطن يمكن ملاءه بالفتـــات !

اننا لا نرى سوى شرط واحد لتحسين حياتنا وهو الخلاص من الاحتلال واقامة دولتنـــا المستقلة. وفي غياب هذا الشرط تكون كل محاولة يطلق عليها تحسين شروط الحياة تعنـــي تحسين شروط حياة الاحتلال نفسه ، تمكينه من توطيد نفســـــه .

وهذا لا يعني ،بطبيعة الحال ، انني اعارض الدعم الاقتصادي للارض المحتلة ولكنني اميز بين دعم اقتصادي يستهدف التخفيف من معاناة الجماهير الكادحة ، ويعين المؤسسات الجماهيرية ،ويمول الجمعيات التعاونية الزراعية والصناعية ويزيد من تشبث الناس بالارض والوطن ،ويوسع ، بالتالي ، موضوعيا القاعدة الاجتماعية للحركة الوطنية ويفعلها وبين دعم اقتصادي يستهدف تعزيز نفوذ القوى الاستسلامية وتمكينها بالرشوة والافساد من توسيع دائرة نفوذها او بوجه عام ، شاء اصحاب الدعم ام ابوا ، الى جعل المستفيدين منه اكثر عرضة وتأثرا بضغوط سلطات الاحتلال ، واكثر استعدادا بسبب المصالح التي باتت لهم لتقديم التنازلات للمحتلين من اجل المحافظة عليهـــــا !

هناك وقائع عديدة معروفة للكثيرين منا ، فباسم اقامة مستشفى جرى كسر مقاطعة الادارة المدنية بعد اقالة رؤساء البلديات بأيام . وبنفس الذريعة ،ذريعة الحصول على الرخص لاقامة مشاريع وعلى ادونات السفر والاستيراد والتصدير تمت تنازلات لسلطات الاحتلال. هذه امور معروفة للجميـــــع .

وفوق ذلك فان كل الدعم الذي قدم باسم الصمود في الاراضي المحتلة لم يساعد على بناء قاعدة اقتصادية فيها ،وظل سيل الهجرة متواصلا الى خارج الضفة حتى تقلصت فرص العمل في السعودية ومنطقة الخليج ، بالاضافة الى الاجراءات الادارية الاردنية التي لم تمنع في واقع الحال ، الهجرة ولكنها حددت مدة الاقامة في خارج البلاد فقـــط .

ان دعم الصمود ظل يسير على نفس السياسة التي رسمتها الدوائر الاردنية الرسمية منذ كانت تحكم الضفة الغربية. وهي تجنب قيام مؤسسات ومشاريع ، اقتصادية ذات وزن ، وابقاء الضفة الغربية محطة ترانزيت للخبرات واليد العاملة في الخـــــارج .

ومع ذلك فان الحديث الذي يجرى الان عن مشاريع "لتحسين شروط الحياة" في المناطق المحتلة ، كما يقولون ، يعكس نمطا من التفكير يختلف عن السياسة الاسرائيلية المتبعة حتى الان ولهذا فمن المشكوك فيه ان ينفذ استثمار واسع في الاراضي المحتلة كما يتوقع الذين سال لعابهم بمجرد سماع هذا الحديـــث .

Digitized by Birzeit University Library

لقد مرت السياسة الاسرائيلية فيما يتعلق بوسائل تعزيز سيطرتها على الاراضي المحتلة بعدة اطوار كانت جميعها تخدم نفس الهدف. ففي البداية، استغلت سلطات الاحتلال ضعف البنية الاقتصادية التي خلفها الحكم الاردني لتضرب اكثر من عصفور بحجر واحد. كانت بحاجة الى قوة العمل الرخيصة المتوفرة بكثرة في الاراضي المحتلة والتي لا سوق لها، بسبب ضعف البنية الاقتصادية المحلية، الا في اسرائيل نفسها. واستطاعت من وراء ذلك ممارسة استغلال كولونيالي متعدد الجوانب على العمال العرب وتحقيق ارباح طائلة من وراء ذلك وفي نفس الوقت سعت الى احداث الانطباع امام الرأى العام العالمي بأنها سلطة "محسنة" الى الذين تستغلهم في الواقع، والى محاولة جذب قاعدة اجتماعية تعتمد عليها وتستفيد من بقائها، وتحقق، في الوقت ذاته تفريغ الارض من الفلاحين، الذين تحول قسم كبير منهم الى سوق العمل المأجور والتمهيد لمصادرتها او ضمها على الرغم من الدعاية السياسية التي رافقت ذلك. كانت السلطات الاسرائيلية تأمل في ان يؤدى اكتساب العمال العرب للخبرات اثناء عملهم في داخل اسرائيل الى حفزهم للهجرة خارج البلاد اما بسبب تقلص فرص العمل في داخل اسرائيل أو بسبب ارتفاع الاجر المقابل لهذه الخبرات في بعض البلدان العربية وخاصة في السعودية ودول الخليج وفي وقت ما في الاردن نفسه.

ولهذا كانت السلطات الاسرائيلية تقاوم اية محاولة لبناء قاعدة اقتصادية خاصة بالاراضي المحتلة، واتخذت كافة التدابير ليكون اقتصاد الضفة الغربية مجرد معبر لليد العاملة بين اسرائيل والبلدان العربية.

وعلينا ان نذكر بأن السلطات الاسرائيلية لم تغير كثيرا في السياسة الاقتصادية التي كانت تسير عليها السلطات الاردنية في الضفة الغربية. فقد كانت سياسة الاخيرة الابقاء على الضفة الغربية كمعبر لليد العاملة بينها وبين البلاد العربية. ولم يكن خلال فترة الحكم الاردني في الضفة الغربية سوى اربع مؤسسات تشغل الواحدة منها خمسين عاملا من اصل ٤٩ مؤسسة في الضفتين. وبقي عدد سكان الضفة على حاله في عام ١٩٦٧ قبيل الاحتلال الاسرائيلي كما كان في عام ١٩٤٩، اما الزيادة الطبيعية خلال كل تلك السنوات فقد كانت تعويض عن الهجرة الى خارج الضفة.

ولكن هذه السياسة لم تحقق الاهداف المقصودة من ورائها. وبقيت الطبقة العاملة في الاراضي المحتلة، رغم اعتماد عدد كبير من ابنائها على سوق العمل الاسرائيلي، القوة الرئيسية في مناهضة الاحتلال وظل التمسك بالارض قويا مثلما ظل الصمود فعالا.

وبعد انتخابات البلديات في عام ١٩٧٦ لم تعترض السلطات الاسرائيلية على احضار الاموال من الخارج لفترة من الزمن خصوصا قبل التوقيع على اتفاقات كامب ديفيد وبروز قوة المعارضة الشعبية في المناطق المحتلة لتلك الاتفاقات. وكانت السلطات الاسرائيلية تنبي آمالها على قيام فئة اجتماعية تتطلب مصالحها الاقتصادية الناشئة في ظل الاحتلال

Digitized by Birzeit University Library

الاسرائيلي موقفا سياسيا توفيقيا من الاحتلال ومشاريعه الخاصة بمستقبل الاراضي المحتلة، بحيث تكون الجسر السياسي لحل مع الاردن وفق واحد من المشاريع المطروحة اميركيا واسرائيليا بخصوص الضفة الغربية وقطاع غـــــزة .

غير ان السلطات الاسرائيلية بعد توقيع معاهدة الصلح المنفرد مع مصر اخذت تتصرف وكأن موافقتها على اعادة سيناء الى مصر هي صفقة مقايضة بالضفة الغربية وقطاع غزة. وقد اعلن مناحيم بيغن ،رئيس الوزارة الاسرائيلية انذاك ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي ينص على وجوب الانسحاب الاسرائيلي من اراض محتلة ،كما قال، قد جرى تطبيقه بالانسحاب من سيناء ، لان القرار على حد قوله، لا يعني الانسحاب من مختلف الجبهـات .

واتجهت السلطات الاسرائيلية بالاستيطان وبتعديل القوانين وبمحاولة تطبيق مشروع الادارة المدنية وبالقبضة الحديدية وكل التدابير المرافقة لها والمعبرة عنها ، وباقامة روابط القرى ومحاولة فرضها كممثل للفلسطينيين ، وبأقالة رؤساء البلديات المنتخبين ، ثم بالغزو الاسرائيلي للبنان ومحاولة القضاء على منظمة التحرير ، اتجهت بكل هذا الى فرض ما سمي بالضم الزاحف للاراضي العربية المحتلة. وفي نطاق هذه السياسة فرضت قيوداً على استفادة بعض البلديات والمؤسسات من الدعم الخارجي ، وجرى تخفيض المبالغ التي يستطيع الافراد احضارها معهم من الخارج .وفي نفس الوقت اقيم ما سمي صندوق التطوير الذي يفرض بموجبه تحويل نسبة ٣٠ بالمئة من اية مبالغ توافق سلطات الادارة المدنية على ادخالها من الخارج الى هذا الصندوق لتصرفه الادارة المدنية الاسرائيلية بمعرفتها ووفق اغراضها .وكان السماح للبعض باحضار مثل هذه المبالغ ولا يزال للان مرهونا بشروط سياسية معينة ومقصورا على الجهات التي تنال رضى السلطات الاسرائيلية. ورغم ذلك فان اللجنة الفلسطينية الاردنية المشتركة ظلت تتعامل مع هذا الواقع الجديد دون اعتبار لمغزاه السياسي ، فجرى الاغداق المالي على البلديات التي كسرت مقاطعة الادارة المدنية او عين رؤساءها من قبل هذه الادارة وامثلة بلديات بيت لحم واريحا وبيت جالا وبيت ساحور شواهد على ذلك ، بينما ظل موظفو بلدية رام الله الذين امتنعوا عن العمل مع رئيس البلدية الاسرائيلية المعين بدون رواتب حتـــى الان !

ولكن قيام حكومة الائتلاف بين الليكود وحزب العمل وتجدد المحاولات للعودة الى مشروع ريغان وادخال النظام الاردني في مفاوضات على اساس ذلك المشروع او على اساس برنامج حزب العمل الاسرائيلي الذي اصبح رئيسه رئيسا للوزارة الاسرائيلية بات يفترض وجود "ممثلين" عن الفلسطينيين غير منظمة التحرير ويتطلب توسيع قاعدة الفئات التي تؤيد ذلك المشروع وترتبط سياسيا واقتصاديا بالنظام الاردني وتتمتع بالرضى الاسرائيلي والاميركي في نفس الوقـــت .

في هذا الاطار يمكن فهم المقصود بالحديث عن تحسين شروط الحياة في الاراضي المحتلة

Digitized by Birzeit University Library

الذى اطلقه شولتز واخذ يردده شمعون بيرس ويرقص على انغامه مؤيدو مشروع ريغان واتفاقات كامب ديفيد. ان المقصود به ليس تخفيف اجراءات القمع ولا مصادرة الاراضي ولا وقف التدخل في شؤون الجامعات والبلديات والمؤسسات الوطنية او ماشابه ذلك، ولكنه تحسين شروط معيشة اولئك الذين يوافقون على المشاريع الاميركية ويعارضون قيام دولة فلسطينية مستقلة، ويوافقون على تقديم التنازلات الاقليمية ويقبلون بالاملاءات الاسرائيلية.

ولهذا لم تكن صدفة ان تكون وزارة الخارجية الامريكية هي المبادر الى تشكيل طاقم تحسين شروط المعيشة من يهود وعرب اميركيين بينهم صهر الملك حسين والرئيس السابق لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية في اميركا سكوادرون.

من هنا يمكننا الجزم بأن الذين يتحدثون عن تحسين شروط المعيشة في الاراضي المحتلة انما يعنون تحسين فرص الحل الاستسلامي، ويرمون الى تشديد القمع ضد من يعارضون هذا الحل لصالح تسهيل ظروف معيشته، وتحسين حركة من يقبلون ويستعدون للمشاركة في اقراره! ويؤكد هذا الاستنتاج ما ذكرته وسائل الانباء مؤخرا عن وجود اتفاق سري بين كل من الولايات المتحدةوالاردن واسرائيل حول هذا الموضوع.

غير ان الاتفاق شيء والتنفيذ شيء آخر. فالحكومة الاسرائيلية القائمة حكومة الليكود والمعراخ ذات برنامجين في واقع الامر. والليكود ما زال متمسكا بسياسته الرامية الى تفريغ وضم الاراضي المحتلة وهو بالتالي يعارض الخطة الاميركية الخاصة بما يسمى"بتحسين شروط المعيشة"في الاراضي المحتلة، بينما يعتبر الطرف الاخر في الحكومة الاسرائيلية، المعراخ، ان هذه الخطة تخدم برنامجه لتصفية القضية الفلسطينية على قاعدة مايسمى بالحل الاقليمي بين الاردن واسرائيل. وقد اعلن اكثر من وزير ليكودي وخاصة شامير وشارون معارضتهما للخطة الاميركية الامر الذى يجعل تنفيذها امرا صعبا ولا يبرر الاستقبال الارعن الذى استقبلت به من قبل العناصر المؤيدة لمشروع ريغان في الاراضي المحتلة.

الكاتب: تمر م ت ف بأزمة خطيرة، بعض مظاهرها حالة الانقسام والتفسخ وحتى الصراع الدموى. ما هي في رأيكم الجذور الطبقية والسياسية لهذه الازمة؟

لا شك ان الازمة الراهنة في منظمة التحرير ذات ابعاد وجذور تتجاوز الخروج من بيروت الى ما قبل ذلك بكثير. والخروج من بيروت عمق هذه الازمة وفجر الصراع الذى كان موجودا قبل ذلك بين التيارات المختلفة داخل حركة فتح بشكل خاص. واذا كان المجال، وربما العديد من الاعتبارات، لا يسمح بمراجعة تاريخية لمسيرة منظمةالتحرير والظروف والملابسات التي احاطت بهذه المسيرة، فان هناك علامات بارزة في تلك المسيرة كان لها تأثيرها ومردودها على الوضع الذى تمر به منظمة التحرير الان.

Digitized by Birzeit University Library

لقد كانت مجازر ايلول عام ١٩٧٠ التي نظمها النظام الاردني ثم ردة السادات وخروج مصر، اكبر دولة عربية، من جبهة النضال لاسترداد الاراضي العربية المحتلة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني تأثيرهما السلبي على منظمة التحرير. وفي الواقع كانت ردة السادات ذات تأثير سلبي على مجموع حركة التحرر العربية وعلى ميزان القوى في المنطقة. وألحقت ضررا كبيرا بفعالية التضامن العربي ووجدت منظمة التحرير نفسها بين عدة محاور عربية، وأمام ضغوط سياسية وعسكرية عليها من اطراف متعددة، ثم كانت المحاصرة والانتقال الى حالة الدفاع عن النفس، من الناحية الاستراتيجية، في جنوب لبنان وبيروت، وما ترتب على ذلك من النمو العمودي تنظيما وتسليحا. الامر الذي زاد من الحاجة الى المال والى الاعتماد على مصادره التي هي يمينية رجعية في معظمها، والى نمو البيروقراطية وزيادة نفوذها وقوتها مع مرور الزمن، ومن ثم الى انعكاس ذلك على النهج السياسي لمنظمة التحرير وعلى علاقاتها بالدول العربية والقوى العربية الاخـــــرى.

وخلال ذلك بدأت تظهر الاعتبارات البيروقراطية كموجه لعلاقات قيادة منظمة التحرير بالدول العربية والحركات الوطنية والتقدمية في تلك الدول. وقد ادى هذا الى اضعاف علاقة المنظمة بالجماهير العربية لصالح العلاقة مع الانظمة التي تضطهدها. وعلى الصعيد الفلسطيني تحالف هذا التيار مع تلك الشرائح من البرجوازية الفلسطينية الكبيرة المرتبطة اقتصاديا بالانظمة العربية الرجعية وخاصة في السعودية ودول الخليج او في الولايات المتحـدة نفسهـــــا

وقد مارس ممثلو هذه الشرائح نفوذا قويا على قيادة منظمة التحرير، وازداد دورها بعد الخروج من بيروت، حيث برز كمسوق للدور الاميركـــــي.

وفي السنوات الاخيرة اخذ ممثلو هذه الشرائح في تنظيم انفسهم تحت اسماء مختلفـة اكاديمية واقتصادية واعلامية واستشارية الى غير ذلك من التسميات. وبرز دور هذه الاسماء والمؤسسات كحلقة وصل سياسية، اعتبرت غير رسمية، بين الولايات المتحدة وقيادة منظمة التحريـــــــر.

ان هذه الشرائح من البرجوازية الفلسطينية الكبيرة هي القاعدة الاجتماعية في الساحـة الفلسطينية للحل الاميركي. وهي وان كانت موزعة في انتماءاتها الاقتصادية وبالتالي السياسية بين السعودية والكويت ودول الخليج الاخرى والاردن والضفة الغربية وقطاع غزة، الا انها تستظل بنفس المظلة الاستراتيجية المشتركة لانظمة تلك البلدان وهي مظلة الارتباط والاعتماد على الامبريالية الاميركيـــــة.

وهي لهذا السبب كانت ذات دور محدد قبل وبعد الاعلان عن مشروع ريغان في كافة الاتصالات والنشاطات الدعائية. وتركز دورها في الترويج للاعتماد على السياسة الاميركية، وفي ضرورة الارتباط بالنظام الاردني على حساب الدولة الفلسطينية المستقلة، وفي التشكيك

Digitized by Birzeit University Library

بجدوى التحالف مع سوريا والاتحاد السوفييتي. وكانت نشطة في الدعوة الى اعتماد مبدأ الاكثرية في اتخاذ القرارات في المجلس الوطني الفلسطيني والتخلي عن مبدأ الاجماع الذي كان سائدا طوال السنين الماضية. والى الموافقة على المطالب الاردنية في الحوار الذي جرى بين النظام الاردني وقيادة منظمة التحرير ومنها اعتماد مشروع ريغان وقبول تفويض النظام الاردني للتفاوض على اساسه باسم الشعب الفلسطيني والتخلي عن مطلب الدولة المستقلة لصالح الترجمة الاردنية لمشروع ريغان وهي الكيان الفلسطيني المرتبط بالاردن.

ولكن اذا كانت هذه الشرائح من البرجوازية الفلسطينية بما لديها من قوة مالية ووسائل اتصالات وارتباطات بالمصارف والشركات الاميركية والاوروبية الغربية الكبرى، وبما يوجد تحت تصرفها من "منظرين" ووسائل اعلام ومؤسسات اكاديمية، ترتبط بالانظمة الرجعية العربية وبنهجها السياسي المعتمد، اساسا، على الامبريالية الاميركية، فان هناك شرائح اخرى من البرجوازية الفلسطينية حتى من الكبيرة، نسبيا، منها في الاراضي المحتلة الى جانب البرجوازية المتوسطة والصغيرة الفلسطينية الموزعة في العالم العربي تعارض هذا النهج وتتمسك بمطلب الدولة الفلسطينية المستقلة لانها تعتبر الفرصة الوحيدة لامنها وتطورها تتوفر في ظل الدولة المستقلة. وان كانت الاقسام العليا منها تتردد تجاه شكل العلاقات المستقبلية مع الاردن وتميل الى نوع من الارتباط الذي يضمن قيام هذه الدولة على اسس رأسمالية.

وفي ظل هذا الوضع وكما اكدت الوقائع تبرز الطبقة العاملة الفلسطينية وممثلوها السياسيون القوة الاجتماعية والسياسية الاكثر حزما وتمسكا بهدف الاستقلال الوطني على اساس قيام دولة فلسطينية مستقلة. ويتجلى ذلك في معارضة ممثليها السياسيين الحازمة و القوية لكافة المشاريع التي تنتقص من حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة، وفي التمسك بوحدة منظمة التحرير حفاظا على وحدانية تمثيل الشعب الفلسطيني وعلى المكاسب السياسية المتحققة من اعتراف بالهوية الوطنية الفلسطينية والى تجسيد لهذه الهوية في اطار منظمة التحرير.

ان الطبقة العاملة الفلسطينية ومنها فئات الكادحين الفلسطينية من لاجئين ومقيمين تمتاز بوحدة مصلحتها في اقامة الدولة المستقلة رغم توزعها في العديد من البلدان. فهي ليست ذات مصالح انانية مرتبطة بأي نظام عربي، وهي مضطهدة ومستغلة ومهددة ايضا في كل اماكن تجمعها الحالية، وهي بالتالي الاشد حاجة الى وطن خاص بالشعب الفلسطيني، الى دولة مستقلة كشرط اولي لتأمين الحماية ولمتابعة النضال من اجل تحقيق طموحاتها الوطنية والطبقية.

على هذه الارضية الطبقية يمكن فهم المواقف المتباينة للفصائل الفلسطينية المختلفة

Digitized by Birzeit University Library

من الازمة الراهنة في منظمة التحرير ومن اسلوب معالجتها والخروج منهـــا .

لقد جرى تبسيط شديد بعد الخروج من بيروت في تقديم الاجوبة على الوضع الناشيء في الحركة الوطنية الفلسطينية بعد الغزو الاسرائيلي للبنان وخروج قوات المقاومة الفلسطينية من بيروت . فمن محاولات التهرب من مواجهة القضايا الجدية المطروحة والتركيز على جانب واحد ، لا نقلل من اهميته ، وهو الصمود البطولي وروح التضحية ،وفشل الغزو الاسرائيلي في تصفية منظمة التحرير الى تقديم اجوبة لا تعدو كونها مجرد ردود فعل سريعة وجزئية . ويمكن القول ان غالبية الفصائل الفلسطينية ،وبالذات تلك التي تشارك في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لم تقم بمراجعة نقدية شاملة للمسيرة السابقة ، وان كان بعضها قد تناول بعض الجوانب بالمراجعة وبصورة عابرة اطلتها بعض المناسبات .وبالامكان تقديم تفسير جزئي لذلك وهو التطورات السريعة التي حدثت داخل منظمة التحرير وخاصة الانقسامات والانشغال بمحاولة حلهـــا .

معروف انه كانت هناك تيارات مختلفة داخل منظمةالتحرير وداخل حركة فتح بالذات منذ البداية ، وقبل الخروج من بيروت بوقت طويل . وكان امرها معروفا ورموزها معروفين . كما كانت هناك صراعات وخلافات تتعلق بالاتجاه السياسي وبالعلاقات مع الدول العربية وبالمواقف من المشاريع الاميركية وغير ذلـــك .

ولكن الخروج من بيروت وما رافق وتلا ذلك من صعوبات ومشاكل وما اعطاه من اجوبة قاسية واليمة على بعض الطروحات والممارسات والتصورات ، وما احدثه من ضغوط جعل مختلف هذه التيارات وكذلك جعل ايضا ممثلي مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية داخل الحركة الوطنية الفلسطينية امام اسئلة في غاية الخطورة والجدية ، وهي تحديدا ماذا بعد بيروت ؟ ما هي خطة العمل المقبلة ، وما هو الموقف الذي يجب ان تتخذه منظمة التحرير تجاه المشاريع السياسية المطروحة ، وكيف ستكون العلاقات والتحالفات على الصعيدين العربي والدولي في ظروف توزع قوات حركة المقاومة الفلسطينية ، ومحاولات احتواء منظمة التحرير ، ومخاطر استغلال وضعها لاقامة قيادة بديلة للتعامل مع مشروع ريغان أو شقها للقيام بهذا الدور وكيف ستكون الاولويات في تحديد اشكال النضـــال .

لقد اطلق على عملية الخروج من بيروت الزلزال من قبل كثير من المسؤولين في منظمة التحرير وخارجها ، ولقد كان هذا الوصف يعكس الى حد بعيد واقع الحال في منظمة التحرير بصفة خاصة . وكان من الطبيعي في ظل هذا الزلزال ، كما هو عادة في كل المنعطفات الصعبة التي تمر بها اية حركة وطنية تقوم على اساس جبهوي ان تقدم مختلف الفئات السياسية احويتها المختلفة ، وان تتعرف بصورة اقل تسترا على اصولها ومصالحها الطبقيـــة .

وبالفعل كان جواب ممثلي شرائح البرجوازية الكبيرة المرتبطة بالانظمة العربية الرجعية والمصالح الامبريالية الاميركية واضحا وهو التعامل مع مشروع ريغان ،والاصرار على ان لاوجود

Digitized by Birzeit University Library

لافاق اخرى للنضال الفلسطيني بعد بيروت. وقد عبر هذا الجواب عن نفسه في كلمات صريحة على لسان كثيرين من ممثلي هذه الشرائح داخل حركة فتح وخارجهـــــا .

وبالمقابل فان ممثلي شرائح هامة من الفئات الصغرى والوسطى من البرجوازية الفلسطينية وقفت الى جانب ممثلي الطبقة العاملة والكادحة في المخيمات والريف واوساط المثقفين ضد ذلك الجواب وما يتضمنه من توجه استسلامي واضح. لكن جوابها عليه كان متباينا وفقا لاصولها الطبقية ولعوامل اخرى مرتبطة باماكن تواجد وطبيعة النظام القائم في تلك الاماكن وموقفه من القضية الفلسطينيـــــــة .

كان هناك جواب المعارضة في حركة فتح وهو جواب يغلب عليه التشنج ولا يستند الى معطيات واقعية لا من مجمل تجربة المسيرة الوطنية الفلسطينية، ولا من الواقع الذاتي للحركة الوطنية الفلسطينية وعلاقاتها العربية والدولية، ولا من معطيات واقع الصراع القائم. انه مجرد عودة الى البدايات دون اخذ في الاعتبار للتطورات والمعطيات المرتبطة بالقضية الفلسطينية. وفي واقع الحال فان هذا الجواب لم يجد التجاوب الذى كان يعتقد اصحابه بأنهم سيحصلون عليه. فالجماهير الفلسطينية باغلبيتها الساحقة ظلت تؤيد قرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني وما تضمنه من الموافقة على قيام دولـــة فلسطينية مستقلة في حدود عام ١٩٦٧ وعودة اللاجئين الفلسطينيين بموجب قرارات الامم المتحدة بهذا الخصوص. وجميع الدول العربية، باستثناء ليبيا ،ليست مع هذا الجواب، بل ان اغلبها وهو مجموعة الدول العربية الرجعية واليمينية يسعى لدفع منظمة التحرير للقبول بما هو اقل بكثير من قرارات الدورة السادسة عشرة. وحتى ليبيا بعد اتفاقها "الوحدوى" مع المغرب يمكن ان يكون لها رأى آخـــــــر .

اما الدول العربية الوطنية التقدمية فتؤيد قرارات الدورة السادسة عشرة، وهي من المشاركين في اتخاذ قرارات قمة فاس الخاصة بالقضية الفلسطينية. ومن بين هذه الدول سوريا. ومن الممكن الافتراض استنادا الى ذلك الى البيان السوفييتي السورى المشترك الذى صدر اثر زيارة الرئيس الاسد الى موسكو، والى تصريحات ومواقف سورية رسمية ان سوريا لا تؤيد حركة المعارضة وحلفاءها أى التحالف الوطني ، في طروحاتهم السياسية تجاه القضية الفلسطينية. فسوريا تؤيد قرارات قمة فاس وتؤيد المبادرة السوفييتية والمؤتمر الدولي بينما يعارض التحالف الوطني كل ذلـــك .

ومن الواضح في هذا الجواب وكذلك في الجواب البرجوازى الاخر جواب الميل نحو الاستسلام واليأس ان كلا الطرفين لا يعير اهتماما لقضية وجوب تحديد موقع وتحالفات الحركة الوطنية الفلسطينية في جبهة الصراع وينظر بلا مبالاة، من الناحية العملية، لأبعاد الصراع الدائر في المنطقة الدولية منها والعربيـــــــة .

لقد حملت تجربة حركة التحرر العربية ومنها ايضا الحركة الوطنية الفلسطينية، مثلما

Digitized by Birzeit University Library

حملت ذلك مختلف حركات التحرر الوطني في العالم الكثير من الدروس والعبر التي لا يجوز القفز عنها او اهمالها .وفي مقدمة ذلك ضرورة تعميق الصلة بالجماهير والاستناد اليها والى وعيها وطاقاتها ، وضرورة اقامة اوسع ما يمكن من التحالفات على مختلف الاصعدة المحلية والاقليمية والدولية وكسب عطف الرأى العام العالمي وتوثيق الصلة بالقوى الثورية العالمية واقامة اقوى علاقات التحالف والتفاهم المشترك مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية ومختلف القوى المعادية للامبريالية. وكل ذلك يجب ان يتم من موقع الثبات في خندق المواجهة والتصدى للامبريالية العالمية وليس بالتنقل بين خطوط الصراع ولا بالتحليق فوقهـــا .

ان الحركة الوطنية الفلسطينية مثل كل الحركات الوطنية في العالم جزء لا يتجزأ من جبهة الصراع العالمي ضد الامبريالية العالمية ، ونفوذها وانجازاتها وقوتها ومستقبل نجاحها مرهون بتوفر عناصر اساسية منها هذا العنصر الاساسي وهو انتماؤها الثابت الى هذه الجبهة.

وفيما تتحدث مختلف اطراف الخلاف في الحركة الوطنية الفلسطينية بالموافقة على ذلك الا انه من الصعب التوفيق بين ما يقال وبين معارضة المبادرة السوفييتية والمؤتمر الدولي او الحديث عنهما بالموافقة وبنفس الوقت اقامة الصلات مع النظامين الاردني والمصرى ، ومحاولة البحث عن مبادرات اميركية جديدة او نمساوية او فرنسية مصرية الـــخ ...

ان هذين التيارين في الحركة الوطنية الفلسطينية باتجاه احدهما نحو التطرف القومي واتجاه الاخر نحو المشاريع الاميركية والعربية الرجعية يتضمنان نزعة مغامرة. وكلاهما لا تتوفر له افاق واقعية لتحقيق اهدافه .وكلاهما ينقل نزعة المغامرة هذه الى المستوى التنظيمي من خلال طريقة تعامله مع متطلبات وحدة منظمة التحرير بغض النظر عن الاسلوب والتفاوت في حدة تلك النزعـــة .

وبالمقابل فان التحالف الديمقراطي الذى يعكس مصالح الطبقة العاملة وجماهير الكادحين في المدينة والريف والمخيمات والمثقفين الثوريين والشرائح الثورية من البرجوازية الصغيرة اتخذ موقفا واقعيا ومسؤولا تجاه الازمة في منظمة التحرير. ان زلزال بيروت كما يسمى لم يفقده صوابه فبقي متمسكا بموقع منظمة التحرير في جبهة الصراع المعادى للامبريالية ومعادى بثبات لكل المشاريع الاستسلامية ، ومدافعا مثابرا عن وحدة منظمة التحرير ، وساعيا صبورا لحل الخلافات وتوفير القاسم المشترك بين مختلف الفصائل والاجنحة فيها . ومن هذا المنطلق كان بيان عدن ثم اتفاق عدن الجزائـــر .

ان هذا الاتفاق ، اتفاق عدن الجزائر يجيب على كل القضايا والمهمات التي تواجه منظمة التحرير ويستند الى قرارات اجماعية متخذة في الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني . وبالتالي فانه يشكل قاسما مشتركا وارضية مناسبة للوحدة. فضلا عن انه بالموقف

Digitized by Birzeit University Library

السياسي الذى يحدده فيمايتعلق بحل القضية الوطنية يلتقي مع مجموع حركة التحرر العربية ومع موقف الاتحاد السوفييتي والقوى الثورية في العالم ،وبالتالي يؤكد وجود الحركة الوطنية الفلسطينية في الجبهة العالمية المعادية للامبريالية .

وهكذا نستطيع القول بأن الجواب الذى قدمه التحالف الديمقراطي هو الجواب الملائم لتطويق الازمة الراهنة في منظمة التحرير والحيلولة دون تعميق الانقسام الراهن . ولكن ، في واقع الامر لا يقضي على الاسباب البعيدة للازمة ،أو يقدم مخرجا نهائيا منها . ولا يجب ان ينظر الى ذلك كتقصير. فمعالجة تلك الاسباب تتطلب الوحدة اولا ثم التعاون بين مختلف الاطراف وفي ظل الاطارات التي تحددت في اتفاق عدن الجزائر وعبر صراع داخلي في اطار الوحدة ضد المعوقات والمصاعب الذاتية والموضوعية .

لقد حاولت ان اتناول من زاوية التحليل الطبقي مواقف الفئات والقوى المختلفة التي تقف في ساحةالنضال الوطني الفلسطيني ، والتي على تصرفاتها وتعاملها مع المعطيات الراهنة فيهذه الساحة يتوقف الى حد كبير حل الازمة الراهنة او زيادتها تفاقما وعمقا .

وقناعتي ان التحليل الطبقيالذىكان غائبا الا بصورة مجتزأة وانتقائية فيتحليلات عدد كبير من القوى الفلسطينية والعربية عند تناول قضايا ومشاكل منظمة التحرير ساهم الى حد ما في تذبذب المواقف والتنقلات المفاجئة في الاحكام تجاه قيادة هذه المنظمة وممارساتها ، وما زال حتى الان ، يطبع طريقة تعامل التحالف الوطني وحلفائه مع الازمة الراهنة فيمنظمة التحرير .

لقد كان الحديث عن الطبقات وازمة الانظمة البرجوازية الصغيرة وازمة البديل والى غير ذلكمن التسميات معمما على العالمالعربي باستثناء منظمة التحرير التي كانت لدى هؤلاء مسورة لا يجوز ان يقتحم اسوارها التحليل الطبقي. وكان هؤلاء يعيبون علينا اصرارنا على عدم استثناء منظمة التحرير. لقد تغيرت النظرة الان عندالبعض.وهذا امر يسرنا وقد اخذنا نقرأ لدىهذا البعض عن خطأ الفصل بين الوطني والطبقي وعنحقيقة ان مختلف القوى في تعاملها مع القضية القومية تصدر عن منطلقات طبقية . وان النضال الوطني له مضمونه الطبقي . هذا ما كنا نقوله ونؤكده حينما كان هؤلاء الذين يقولونة الان يقولون غير ذلك ، والاخطر انهم يتصرفون عكس ذلك .

بهذا المنظار الطبقي نظرنا وننظر الىالاشخاص والقوى. وموقفنا منها محكوم بمقدار عطائها في النضال الوطني العام . وبسبب تمسكنا بهذهالنظرة الطبقية لم نقف مذهولين امام التذبذبات في موقف عرفات وخاصة بعد الخروج من بيروت . ولا قبل ذلك . فنحن نرد ذلك الى طبيعة الطبقة الاجتماعية التي يمثلها والتياظهرت وتظهر في مختلف تجارب حركات التحرر الوطني في العالم كله ازدواجية تتراوح بين

Digitized by Birzeit University Library

الثورية المفرطة والميل الى المهادنة تحت ضغط المصاعب وفي المنعطفات الخطيرة، او عند تعاظم نفوذ وقوة الفئات التي تقف على يسارهـــــا .

وبهذا الفهم كنا نتعرض وسنظل نتعرض على اى انحراف، ولكننا في الوقت نفسه، لا نتشنج ونحتفظ بنفس النظرة العلمية الموضوعية الى هذه الظاهرة، ولا يغيب عن بالنا لحظة واحدة ان المرحلة النضالية التي نمر بها تتطلب استقطاب اوسع القوى والفئات الاجتماعية على اساس جبهوى وهذا ما تجسده منظمة التحرير. وعلى هذا الاساس لم نعتبر ولا نعتبر وجود ياسر عرفات على رأس منظمة التحرير هو القضية الرئيسية، بل نربط ذلك بمقدار ما يؤثر هذا الموقف او ذاك على قضية التحالف مع تلك الشرائح الاجتماعية التي يمثلها ياسر عرفات . ولا نرى اية فائدة للنضال الوطني في شق منظمة التحرير، او في استبعاد حركة فتح وما تمثله من قوى اجتماعية من التحالف الجبهوى في اطار منظمة التحرير. بل نرى في ذلك ضررا كبيرا ولا مسؤولية تجاه ضرورات النضال الوطنـــــي .

ولهذا فأنني لا أرى في المواقف التي تعترض عليها سواء كانت زيارة عرفات للقاهرة، او موقف الصمت من قرار اعادة العلاقات بين النظامين الاردني والمصري أو القضايا المتعلقـــة بالممارسات الفردية، موقفا شخصيا لعرفات يمكن التخلص منها بمجرد اقصاء الشخص نفسه عن قيادة منظمة لتحرير، انها مواقف لها اصولها في مصالح وايديولوجية فئات اجتماعية لا يمكن اقصاؤها عن الخارطة الاجتماعية الفلسطينية . ولا يمكن في مرحلة التحرر الوطنـي اعتبارها خارج الصف الوطني بجرة قلم وبتجاهل كامل لوزنها السياسي بين الجماهيـــر.

نحن لسنا اول من واجه وضعا تميل فيه فئات من البرجوازية الوطنية الى مواقع المهادنة او التراخي في متابعة الهدف الوطني. وأمر معروف كون الفئات والطبقات الاجتماعية الوطنية ليست ذات طاقة واحدة ،وقدرة على المثابرة متساوية . وفي خلال مسيرة النضال تتغير مواقعها وادوارها في الاطار الجبهوى، الذى هو في حالتنا منظمة التحرير، طبقا لنقصان او زيادة عطائها في النضال الوطني، غير ان عملية التغيير هذه لا تتم بطريقة انقلابية ولا بأوامر او مراسيم ولا بتحطيم الاطار الجبهوى والانفصال. انها عملية تتم في اطار الرابطة الجدلية بين الوحدة والصراع، في مجرى الممارسة العملية ومن خلال قناعة الجماهير وتجربتها وتأثير ذلك على علاقات القوى تعديلا لصالح هذا الطرف او ذاك . وفي يقينـي ان اتفاق عدن الجزائر يعكس عملية التغيير الجارية في اتجاه تقدمـــــي .

الكاتب : شكل اتفاق عدن مخرجا واقعيا ومناسبا للخروج من
من هذه الازمة عند توقيعه ،هل ترون انه لا يزال كذلك ؟

هذا صحيح اتفاق عدن الجزائر شكل مخرجا واقعيا ومناسبا للخروج من الازمة او على الاصح تطويقها باعادة الوحدة الى المنظمة كشرط اولي لمعالجة اسباب الازمة . ولكن علينا ان

Digitized by Birzeit University Library

لا نفترض بأن مجرد توقيع اتفاق عدن الجزائر يعني دخوله الى حيز التنفيذ ، فالمشاكل القائمة لم تكن بسبب عدم وجود مقترحات او صيغ سابقة على اتفاق عدن الجزائر لحل الخلاف واعادة الوحدة . واتفاق عدن الجزائر ، في واقع الحال يعيد بلورة الموقف السياسي المقرر في دورة الجزائر للمجلس الوطني الفلسطيني وبضع الشروحات والضوابط التي تؤمن التنفيذ بذلك الموقف في مجرى الممارسة. ويضيف الى ذلك ضوابط تنظيمية تعمق الممارسة الديمقراطية في منظمة التحرير وتجعل المسؤولية وسلطة التنفيذ بيد المؤسسات لا بيد الافراد. وهذا كله يعتبر انجازا كبيرا في حد ذاته. ولكن اهميته الاساسية تكمن في كونه اتفاقا بين خمسة اطراف اساسية في الحركة الوطنية الفلسطينية لها ثقلها الكبير على المستوى الجماهيري، ووزنها الادبي على الصعيدين العربي والدولي . وقد تم بمشاركة دولتين عربيتين هما اليمن الديمقراطية والجزائر لهما ايضا مصداقيتهما الكبيرة لدى الجماهير الفلسطينية والعربية وعلى مستوى الحركة الثورية العالمية. هذه ميزات ضخمة لاتفاق عدن الجزائر لا تتوفر لاية صيغة او اقتراح اخر طرح بخصوص اعادة الوحدة الى منظمة التحرير. فوراء كلمات وصيغ اتفاق عدن الجزائر توجد قوة ادبية ضخمة تتمثل في وزن القوى التي شاركت في اعداده وفي التوقيع عليه، وفي التأييد الواسع الذي لاقاه لدى الجماهير الفلسطينية وفي الاوساط الثورية العربية والدولية .

ولهذا فان رفضه مسؤولية كبيرة ويلحق ضررا بالذين يرفضونه لانه يضعهم في تعارض مع قوى عديدة يفترض ان يكونوا في تحالف معها ، ولا غنى لهم عن هذا التحالف اذا ما ارادوا عدم الوقوع في اسر الانعزالية السياسية. ومثل ذلك يكون ضرر الخروج عليه والتناقض مع روحه ونصوصه من قبل اى طرف من الاطراف الموقعة عليه .

يضاف الى هذا واقعية الاتفاق التي توفر له فرصة واقعية للتطبيق وللحصول على موافقة واسعة نأمل ان تكون شاملة. فهو برنامج يمثل القاسم المشترك ويقدم ، بسبب ذلك الاساس لتحالف جبهوي على مستوى الحركة الوطنية الفلسطينية .

وهو بهذه الميزات يشكل اساسا صالحا لخدمة النضال من اجل اعادة وحدة منظمة التحرير . اذ لا ينبغي تصور ان الاتفاق بمجرد التوقيع عليه سينفذ تلقائيا وستوافق عليه جميع الاطراف على الفور، ان الخلافات القائمة ليست شكلية ولا عابرة. وقد اجبت سؤالك السابق عن بعض جذور هذه الخلافات في مصالح وعلاقات ومسالك القوى الطبقية المختلفة تجاه المعطيات الجديدة الناشئة بعد الخروج من بيروت على الوضع الفلسطيني والتي كان لها امتدادات سابقة على تلك الفترة .

لقد توفرت مجموعة عوامل حتى صار بالامكان التوصل الى اتفاق عدن الجزائر. ان قيام التحالف الديمقراطي كقوة مستقلة تتعامل بموضوعية واستقلالية مع الصراع واطرافه كان عاملا هاما واساسيا ، واعطى الامكانية لقيام اليمن الديمقراطية والجزائر للقيام بوساطتهما بالارتكاز

Digitized by Birzeit University Library

الى وجود طرف فلسطيني له وزنه المؤثر وليس متورطا الى جانب اي من طرفي الخلاف . هذا عامل هام وهناك عامل آخر في غاية الاهمية وهو ان ايا من طرفي الخلاف لم يستطع حسم الخلاف لصالحه مع الابقاء على وحدة منظمة التحرير والشرعية . وصار الخيار واضحا وهو اما متابعة الخلاف وتعميقه وشق منظمة التحرير او حل الخلاف واعادة اللحمة الى المنظمة . وكان واضحا ان ايا من طرفي الخلاف ليس مستعدا لتحمل مسؤولية شق المنظمة امام الجماهير الفلسطينية وحلفائها . وهذا كان عاملا مساعدا على القبول بمبدأ الحوار . والى جانب ذلك فان وصول كافة المراهنات على المشاريع الاميركية وعلى مساعي حكام الاردن ومصر والمغرب في هذا الاتجاه الى طريق مسدود ، ساعد هو الاخر على توجه اللجنة المركزية لحركة فتح نحو الحوار مع التحالف الديمقراطي والتوصل معه الى اتفاق عدن الجزائـــــر .

لكن لا ينبغي الافتراض ان التوصل الى الاتفاق قد انهى الخلافات او وحد النظرة للتطورات المستجدة . لقد كانت هناك ضغوط عربية وفلسطينية من اجل عدم الاتفاق في عدن واستمرت هذه الضغوط بعد الاتفاق ، ومن الممكن تصور نوع هذه الضغوط حينما نتذكر ان اتفاق عدن الجزائر يرفع مصداقية اليسار الفلسطيني ويعترف بدور ومكانة الحزب الشيوعي الفلسطيني في الحركة الوطنية الفلسطينية وفي مؤسسات منظمة التحرير . من المؤكد ان هذا لا يرضي الحكام الرجعيين العرب ولا اليمين العربي بوجه عام . حتى ان بعض الدول العربية التي توافق ، في الاساس ، على الاتجاه السياسي العام لاتفاق عدن الجزائر لا يروقها تعميق الديمقراطية في منظمة التحرير ، ولا جدال في ان اوساطا فلسطينية من ممثلي البرجوازية الكبيرة لا يروقهم الامر كذلك على المستويين السياسي والتنظيمـــــي .

ومن المؤكد ان هذه الضغوط تتخذ اشكالا مختلفة وتجد تعبيرها ، في عدد من الحالات في تصريحات ومواقف تتعارض مع اتفاق عدن الجزائر . ولا بد ان اصحابها يتوقعون ردود فعل من شأنها لو حصلت ان تعمق شقة الخلاف وتهدد بابطال الاتفـــــاق .

ان الاتفاق يتعرض لمقاومة من جهات متعددة ليست موحدة المنطلقات . واذا كنا نفهم لماذا تعارضه الدول والاوساط الرجعية العربية التي تسعى للمرور الى الحل الاستسلامي على جثة منظمة التحرير ، فان من الصعب ادراك موقف تلك القوى والاوساط المعادية للحلول الاستسلامية المعارض لاتفاق عدن والساعي ، في حقيقة الامر ، الى افشاله . خصوصا وان ليس لديهم بديل له يضمن وحدة منظمـة التحريـــــر .

وفي رأيي ان موافقة سوريا والتحالف الوطني على الاتفاق ستؤمن وضعا يجعل من الصعب على اية جهة ممارسة الضغوط لافشاله ويكبح اية محاولة للتهرب من الالتزام به مثلما يتبدى الان بموقف السكوت الذي تتخذه اللجنة المركزية لحركة فتح من قرار اعادة العلاقات الكاملة بين النظامين الاردني والمصـــــرى .

ولكن في جميع الاحوال تبقى الفرص مهيأة لتطبيق اتفاق عدن الجزائر لانه يستجيب

Digitized by Birzeit University Library

للمهام الواقعية المباشرة لمنظمة التحرير. وفي تقديري ان التحالف الديمقراطي سيظل متمسكا باتفاق عدن الجزائر رغم المعوقات والعراقيل التي تواجهه. ومهما كانت ردود الفعل الاخرى تجاهه فان العمل من اجل تطبيقه مهمة نضالية تتجاوز الاطراف المؤيدة له ،الى الجماهير الفلسطينية نفسها. وبقدر ما تساهم هذه الجماهير في هذا النضال ، وبقدر ما تعمل القوى الملتزمة بالاتفاق من اجل تعبئة هذه الجماهير وتنشيط دورها في الدفاع عن الاتفاق وفي المطالبة بضرورة وضعه موضع التطبيق بقدر ما يتزايد توفر الفرص للالتزام جميع الاطراف به كاساس لحوار وطني شامل يؤدي الى الوحدة الوطنية الشاملة في اطار منظمة التحرير .

الكاتب : ما هي الظروف والشروط التي ترون ضرورة توفرها قبل الذهاب الى المجلس الوطني الفلسطيني .

لا جدال في ان الحاجة ماسة لعقد المجلس الوطني الفلسطيني من اجل تطبيق اتفاق عدن الجزائر بشقيه السياسي والتنظيمي وفتح صفحة جديدة امام منظمة التحرير تتميز بالوحدة والوضوح السياسي والحزم في معارضة المشاريع الاستسلامية ، وفي العمل من اجل تعميق صلاتها بالجماهير الفلسطينية وبالقوى الثورية العربية والعالمية المناصرة والداعمة لقضية الشعب الفلسطيني العادلة .

وما من شك في ان عقد الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني ستعزز مكانة منظمة التحرير وتساعد في سد الطريق على المراهنات الجارية من قبل القوى المعادية لاقامة بديل لها . ويمكن القول ان الكثير من الاجراءات التي اتخذت في هذا الاتجاه سواء منها اعادة احياء البرلمان الاردني ، او اعادة العلاقات مع النظام المصري ، او مشروع ما يسمى بتحسين شروط الحياة في الضفة الغربية وقطاع غزة كلها ظهرت في فترة الانقسامات القائمة ، وزادت شراسة بسبب هذه الانقسامات .

اذن الحاجة ماسة لعقد المجلس الوطني الفلسطيني . واتفاق عدن الجزائر حدد فترة معينة لاجراء الحوار مع سوريا والتحالف الوطني ، واعلن التزام اطرافه بعقد المجلس في نهاية الفترة حتى لو لم يتحقق الحوار الشامل .

هذا الموقف كان يعكس موازنة دقيقة ومسؤولة بين الحاجة الماسة لعقد المجلس الوطني وبين الحاجة الى اشراك جميع الاطراف وتأمين الوحدة الشاملة. ولا جدال في ان هاتين الحاجتين تتمتعان بقدر كبير من الاهمية . ولذلك فان الموعد المحدد لعقد المجلس الوطني جرى التغاضي عنه لصالح استمرار جهود الوساطة الجزائرية اليمنية الديمقراطية ، ولصالح الحوار بين التحالفين الوطني والديمقراطي ولصالح استمرار جهود دولية صديقة اخرى . وهذا الموقف المرن والمسؤول تجاه تحديد مهلة انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني يدلل على جدية السعي لاجراء الحوار الشامل والتوصل الى قاعدة مشتركة للوحدة الوطنية الفلسطينية في

Digitized by Birzeit University Library

اطار منظمة التحرير. وبالفعل استمرت الجهود وتأجل اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني عدة مرات غير ان اطراف التحالف الوطني لم تواجه هذه المرونة وذلك الحرص على جمع مختلف الاطراف بمرونة وحرص ممائلين. واستمرت في التمسك بطروحاتها الاساسية في محاولة لفرضها على الاخرين ضاربة عرض الحائط بقرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، وبالاسس الديمقراطية التي يجب ان تقوم عليها الشرعية الفلسطينية ،والتي يجب ان تكون الحكم في الخلافات حول الاشخاص ومراكزهم وما اذا كانوا مؤهلين لاشغالها.

وازاء هذا الوضع من الواضح ان ترك موضوع انعقاد المجلس الوطني الى اجل غير مسمى من شأنه ان يجعل منظمة التحرير تخسر الوحدة وتخسر الدور والمكانة في نفس الوقت. ولا شك ان الوحدة هي الاساس الذى يقوم عليه الدور والمكانة. وبقدر ما تكون هذه الوحدة واسعة بقدر ما يكون الدور والمكانة اكبر. وهذا الاعتبار كان وراء كل قرارات التأجيل ووراء القرار الاخير بالتأجيل حتى نهاية شهر تشرين الثاني.

وهناك اعتبار اخر هام وهو ضرورة الانسجام مع جهود الوساطة واعطاء المشاركين فيها فرصتهم الكاملة لا سيما وان الجزائر واليمن الديموقراطية شاهدان على اتفاق عدن الجزائر ،ومعنيان بتنفيذ اتفاق عدن الجزائر ويتحملان مسؤولية ادبية عنه وعن الالتزام به. وتنسيق الخطى معهما ضرورة لتعزيز التحالف معهما.

وقد كان كل ذلك مهما حتى يعطى للجماهير الفلسطينية والعربية واصدقاء الشعب الفلسطيني الفرصة الكاملة ليحكموا على المواقف ويتبينوا دقائقها. وهذا ما تحقق بالفعل في ضوء التأييد الواسع لاتفاق عدن الجزائر بين كل تلك الاوساط.

ان الموعد المحدد لانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الذى تم الاتفاق عليه في الجزائر اخذ يقترب، ولا توجد ظواهر جدية لتغييرات ملموسة في موقف التحالف الوطني. ومع ذلك فهناك تطورات تشهدها المنطقة من طراز التحركات الاميركية الاخيرة لاستئناف الدور الاميركي في لبنان، ولاحياء مشروع ريغان، وما يقابلها ويخدمها من تحركات يمينية عربية استسلامية من طراز اعادة العلاقات بين الاردن ونظام كامب ديفيد في مصر، والاعلان عن وضع استراتيجية مشتركة بين النظامين لتصفية القضية الفلسطينية وفقا لاتفاقات كامب ديفيد او ما يماثلها وهناك مشاريع ما يسمى بتحسين شروط المعيشة في الضفة والقطاع بهدف معلن وهو اضعاف نفوذ منظمة التحرير وتقوية نفوذ النظام الاردني، وكل هذه التحركات والمشاريع موجهة في الاساس ،وكمدخل للوصول الى الحل الاستسلامي، ضد الصفة التمثيلية لمنظمة التحرير. وهذا التوجه تزداد خطورته اذا ما استمرت منظمة التحرير مشلولة وغير قادرة على الاضطلاع بدورها وسط الانقسامات والخلافات الراهنة.

ومن هنا يبرز عامل جديد الى مقدمة الاهتمامات امام مختلف فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية وهو كيفية سد الطريق امام محاولات انتزاع الصفة التمثلية لمنظمة التحرير

Digitized by Birzeit University Library

واحباط محاولة اقامة القيادة البديلة او مساعي النظام الاردني للقيام بهذا الـــــدور .

يجب روٴية هذا التوجه الخطير من قبل الجميع واستخلاص الاستنتاجات الملائمة بصدده ، ان الخلافات القائمة الان حول السياسة والاشخاص والاصلاحات يجب ان ينظر اليها بالارتباط مع هذا التوجه الذي تتفاقم مظاهره كل يوم . ونحن في الاراضي المحتلة نشهد مظاهر ذلك ونعيشها ونواجهها . ولنذكر على سبيل المثال تعيين روٴساء بلديات بدل الروٴساء المنتخبين الذين اقيلوا . ان رابين ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، لم يتردد في الاعلان صراحة بأنه يريد تعيين روٴساء موالين للاردن . والكل يعلم ان المرشحين حصلوا على موافقة عمان ، كذلك الوفود المطالبة بالتفويض والعرائض التي جمعوها لهذا الغرض هي ايضا اشارة الى الجهود المبذولة لتجاوز منظمة التحرير . ونفس الشيء تلك الاتصالات التي تدور بواسطة عناصر من الضفة الغربية وقطاع غزة بين مسوٴولين في عمان ومسوٴولين في حزب العمل الاسرائيلي ، وكذلك الوفود التي تسافر الى الولايات المتحدة وبعضها يجرى محادثات مع شولتز وغيره من المسوٴولين الاميركيين .

هذه امثلة تتطلب من جميع الفصائل الفلسطينية ان لا تدع المياه تسيل من تحتها . ان بقاء حالة الانقسام يزيد من تفاقم هذه التحركات المشبوهة ويطرح السوٴال حول جدوى استمرار الخلافات القائمة حول وضع البيت الفلسطيني ونوعية شاغليه اذا كانت تشغل المنغمسين فيها عن روٴية وصد الذين يحفرون تحت اساساته بهدف تقويضـــــه ؟!

ان هذا التوجه من المفترض والضروري ان تدفع روٴيته والحاجة الى صده بقضية الوحدة الـى امـــــام .

ولا ينفصل هذا التوجه لانتزاع الصفة التمثيلية لمنظمة التحرير عن مجموع ظواهر اشتداد الهجمة الامبريالية الاخرى والتي تستدعي ايضا من كل الاطراف العربية المستهدفة بها ، وهي كل فصائل حركة التحرر العربية اقامة الوحدة فيما بينهـــــا .

اعود للقول بأن هذه التطورات تفترض ان تأخذها كل الاطراف الفلسطينية والعربية المستهدفة بالهجمة الامبريالية بعين الاعتبار عند تحديد مواقفها النهائية من متطلبات اعادة الوحدة لمنظمة التحرير . وفي تقديري ان مواجهة هذه التطورات وصدها تستدعي الموافقة على اتفاق عدن الجزائر وقبول كل الاطراف الفلسطينية المعنية المشاركة في الدورة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني على اســـاسه .

ولكن اذا حدث ما لا نرغب فيه . وبقيت المواقف على ما هي عليه فلا يصح الابقاء على الوضع كما هو عليه الان . ويصبح من الضروري اختيار اهون الشرين وهو انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني بمشاركة الاطراف الموقعة على اتفاق عدن الجزائر وحدها . هذا التزام وقعت تلك الاطراف جميعهـــا عليـــــه .

ولكن هناك شروط واجراءات يجب ان تتوفر قبل عقد الدورة الجديدة . وفي المقدمة

Digitized by Birzeit University Library

بلورة مشاريع قرارات منسجمة مع اتفاق عدن الجزائر يجرى التوقيع عليها وتعلن سلفا ويشهد على ذلك نفس الشهود على اتفاق عدن الجزائر. وهذه القرارات يجب ان تتناول مختلف الجوانب السياسية والتنظيمية بالتفصيل والتحديد .وحسب ما ارى من الضرورى الاتفاق سلفا على ان مشاريع القرارات سيوافق المجلس عليها دون اى تعديل او اضافـــة .

ان توفير الضمانات مسألة ضرورية وشرط لا غنى عنه.ان الالتزام باتفاق عدن الجزائر يجب ان يكون التزاما شاملا ، ولا يجوز انتقاء نص منه والتمسك به وهو نص عقد المجلس الوطني الفلسطيني وترك باقي الاتفاق. وفي هذا المجال لا بد من القول ان الاعتراض على اعادة النظام الاردني لعلاقاته الكاملة مع نظام كامب ديفيد في مصر واجب يمليه اتفاق عدن الجزائر ومعيار لصدق الالتزام بذلك الاتفـــــاق .

والى جانب كل هذا من الضرورى التأكيد على ان اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني يجب ان لا يكون مظاهرة معادية لسوريا ، بل تأكيد على ضرورة التحالف معها متلما نص على ذلك الاتفاق الذى سينعقد المجلس الوطني على اساسه. كما لا يجب ان يكون انعقاد المجلس اقفالا لابواب الحوار مع التحالف الوطني . يجب ان تترك له مقاعده في كافة مؤسسات منظمة التحرير وان يؤكد على ضرورة استمرار الحوار وجهود الوساطة لتحقيق الوحدة الوطنية الشاملة في اطار منظمة التحرير ولاعادة وتعميق التحالف مع سوريـــــا .

الكاتب : الوضع الفلسطيني و م.ت.ف. ومستقبلها امام مفترق طرق ، فما هي في تصوركم الاحتمالات الممكنة ؟ وكيف يمكن درء الخطر المحدق ؟

اني متفائل بالمستقبل ، ولكن هذا التفاؤل لا يحجب عني رؤية الاخطار الكامنة في الوضع الراهن سواء كان ذلك على صعيد الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها ، او على صعيد الوضع العربي بوجه عام . ولا اريد ان اكرر ما قلته جوابا عن الاسئلة السابقة. ولكن استمرار وضع الانقسام الراهن داخل منظمة التحرير يحدث تأثيره السلبي والضار على مصداقيتها ودورها ومكانتها . ويشجع القوى المعادية على استثمار وضعها الحالي للعمل على استبعادها واقامة بديل عنها لتمثيل الشعب الفلسطيني. وهناك ظواهر تحدثت عنها قبل ذلك ، تشير الى تفاقم الهجمة الامبريالية وبالتالي تفاقم التآمر على منظمة التحرير وباقي فصائل حركة التحرر العربيـــــة .

وليس بمعزل عن هذه الاوضاع الصعبة التي تمر بها منظمة التحرير بات حكام النظامين الاردني والمصرى يتحدثون عن استراتيجية مشتركة بينهما لحل القضية الفلسطينية بالتوجه

Digitized by Birzeit University Library

الى واشنطن بعد اجراء انتخابات الرئاسة الامريكية. نعم ليس بمعزل عن هذه الاوضاع بعد ان كان حكام الاردن يتحدثون عن رغبتهم في تحرك مشترك مع منظمة التحرير .

لقد بات الان واضحا ان الانشقاق في منظمة التحرير سيصبح حقيقة واقعة اذا ما استمرت المواقف ، وخاصة موقف التحالف الوطني على ما هو عليه الان . ومن الممكن ان تظهر الى الوجود منظمتا تحرير بدلا من واحدة وبكل ما يترتب على ذلك من اخطار على المكاسب السياسية الفلسطينية ومن انقسام في اوساط الجماهير الفلسطينية ومن ثغرات تتذرع بها اوساط فلسطينية وغير فلسطينية للتحلل من التزاماتها تجاه منظمة التحرير .

ولكن ، كما قلت في السابق ،ان انعقاد المجلس الوطني على اساس الالتزام باتفاق عدن الجزائر وبتأييد الجماهير الفلسطينية وحلفائها على الصعيدين العربي والدولي ، وتطبيق اتفاق عدن الجزائر في ميدان الممارسة اليومية من قبل كافة اجهزة منظمة التحرير ، سيعزز مصداقية المنظمة ويوفر اساسا قويا لاستعادتها لمكانتها ودورها ولاقناع من لم يشارك في اجتماع المجلس بجدوى العودة الى المنظمة والانضواء في اطار منظمة التحرير .

وعلينا ان لا ننسى ان وجود منظمة التحرير حاجة موضوعية تظل قائمة وملحة طالما ظل الشعب الفلسطيني محروما من حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ، وقد ظنت كافة القوى المعادية لهذا الحق ان الشعب الفلسطيني لن تقوم له حركة وطنية بعد تشرده . وقد خاب ظنهم ، كما هو معروف ، وفيما بعد جرت عدة محاولات لتصفية منظمة التحرير وباءت كل تلك المحاولات بالفشل . وفي هذا دلالة واضحة وبرهان ساطع على ان المصاعب والاخفاقات والانقسامات تحدث اضرارا بالغة وتعرقل حركة الشعب الفلسطيني وتدخله في معاناة وعذابات هو في غنى عنها ولكنها لا تفقده الحرص والاصرار على استعادة حقوقه المشروعة ، ولا بالاداة التي توحد قواه وتقود نضاله لاستعادة هذه الحقوق .

غير انه اذا كانت هناك اسس موضوعية لوجود منظمة التحرير وبقائها فان ذلك لا يقلل من اهمية الحاجة الى الدور الذاتي في صفاتها وتعزيز دورها ومكانتها . ولقد وضع اتفاق عدن الجزائر عدة مبادئ لتحسين وتطوير هذا الدور . وفي ضوء التجربة صار من الضروري بالاضافة الى ذلك ، تعميق وتفعيل الصلات بالجماهير على اساس التعبئة المحددة الاهداف السياسية ، وضمان قيام صلات تفاعل حي ومتبادل مع هذه الجماهير ومؤسساتها الشعبية في مختلف اماكن التواجد الفلسطيني بحيث تكون هذه الصلات هي الدرع الذي يقي منظمة التحرير مختلف الضغوط ومحاولات الابتزاز ، ويضعف تأثير البيروقراطية ونفوذها ، ويجعل تحركها غير مرهون بموافقة هذا النظام او ذاك وانما بقناعة الشعب بدورها وممارساتها . ويقلل نفقاتها المالية واعتمادها بالتالي على تمويل الدول الرجعية .

Digitized by Birzeit University Library

حول الصداقة مع الاتحاد السوفيتي في ذكرى ثورة أكتوبر

بقلم : بسام الصالحي

انقضى سبعة وستون عاما على ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، وبات من الواضح الان ان الكثير من المعطيات على صعيد العالم قد خضعت لتغييرات جوهرية بتأثير ما حققته اول ممارسة ثورية للاشتراكية ، فقد تحقق بصورة جلية ما توقعه لينين في معرض عرضه للاهمية العالمية للثورة الروسية حيث اشار الى انها " تحتل قيمتها العالمية او الحتمية التاريخية لتكرار ما جرى (عندنا) على النطاق العالمي" . وليس باصدق اليوم على صحة هذا التوقع العلمي من حقيقة خفقان رايات الاشتراكية على مساحة تعادل ثلث العالم ، ومن حقيقة عيشنا في عصر سمته المميزة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ومنذ اليوم الاول الذى اقتحمت فيه الحقائق التي كشفتها السلطة السوفييتية عن اتفاقية سايكس بيكو التآمرية لتقسيم العالم العربي ـ اسوار الانغلاق الرسمي العربي وجماهيرنا العربية ترنو الى بلد الاشتراكية الاول ورغم كل فنون التضليل والتزييف الدعائي الذى تمتلئ به الصحف والاذاعات الرسمية ، لتشويه الوجه المشرق لثورة اكتوبر وللاشتراكية .

ولم يكن بد من ان تفرض حاجة التحرر للشعوب العربية ، وانطلاق حركة تحررها الوطني اثر الحرب العالمية الثانية ، من علاقات محددة مع الاتحاد السوفياتي وبلدان المنظومة الاشتراكية التي وضعت بسرعة وجها آخر للعالم مقابل الفاشية والحرب ، وتراوحت هذه العلاقة بين الصداقة الوطيدة التي تحققت في ظلها انجازات اقتصادية وسياسية ضخمة كما جرى في مصر مثلا ، وبين التشويه وقطع العلاقات وحتى عدم الاعتراف رسميا بالاتحاد السوفييتي كما هو الحال لدى بعض انظمة البترودولار .

Digitized by Birzeit University Library

وبدون انكار لمظاهر الاخلاص التي ميزت الدعاية البارزة للصداقة مع السوفييت من جانب بعض الانظمة العربية في مراحل معينة، الا أن المنطلقات الايديولوجية التي كانت تعرض من خلالها هذه المظاهر، او الشكل الذى عرضت فيه في مراحل اخرى كانت لا تخلو من مرتكزات تسمح لاحقا لهذه الانظمة بالانقضاض على هذه الصداقة وتشويهها، واظهار الاتحادالسوفييتي امام الجماهير العربية "كصاحب مصلحة انانية في المنطقة" او انه "وجه آخر ولكن الطف للولايات المتحدة" واخيرا انه "نفس الاستعمار ويجب مقاومته بالاستعانة بأمريكا"، الامر الذى اقتضى ان ينبرى عشرات الكتاب والاقتصاديين والسياسيين في بلد كمصر، شكل ساحة مركزية لانجازات رائعة تحققت في عهد عبد الناصر ولمستها بوضوح الجماهير المصرية، للدفاع عن هذه الانجازات امام هجوم نظام رجعي يفترض ان يكون هو المكشوف والمعرى ازاء تفريطه بالصداقة مع السوفييت.

ان مسألة العلاقة والتحالف مع الاتحاد السوفييتي، تخضع مثلما هو الامر بالنسبة لمختلف القضايا التي يطرحها الواقع، لفرق واضح في الفهم والمنطلق، بين الاوساط الطبقية والايديولوجية المختلفة، وينبغي وفاء لمضمون التحالف والصداقة الحقيقية مع الاتحاد السوفييتي ان يجهد الماركسيون على الدوام لعرض المضمون الحقيقي لهذه العلاقة ولكشف اوجه الخطأ والتضليل في دعاية الفئات الطبقية الاخرى، ان ذلك ضرورى بوجه خاص في هذه الفترة التي تحضر فيها الامبريالية لهجوم جديد في منطقة الشرق الاوسط ولتفريغ ما تحقق من انتكاسات لسياستها على الساحة اللبنانية، وكذلك في وجه تاكتيك بعض الانظمة وادعائها الرغبة بالاعتماد على الاتحاد السوفياتي في ميدان التسليح لان امريكا "فقدت مصداقيتها" في المنطقة !!!

لقد احتاجت احدى الحقائق البارزة في المرحلة الراهنة، وهي التدويل الواسع لكافة القضايا في عصرنا، الى تجارب عديدة وسنوات طويلة كي تصبح حقيقة معترفا بها في الواقع العربي، لقد حشرت القضايا المباشرة التي تعيشها المنطقة وحجم التكثيف الدولي المعقد فيها، المواطن العربي بين مطرقة السعي المكشوف والمحموم للامبريالية في تعاملها مع منطقة الشرق الاوسط كموقع في استراتيجيتها العالمية معتمدة على اسرائيل التي بات من المعروف امتلاكها السلاح نووى، والسعي للاستفادة من موقع المنطقة الجغرافي في تهديد امن الاتحاد السوفياتي، وحقيقة ما تشكله المنطقة من بؤرة تهديد للسلام العالمي، بين هذه المطرقة وبين سندان القناعة التي رسخها الاعلام الرسمي والديني التقليدى من انه "لا شرقية ولا غربية"، فهل يمكن التوفيق بين شعار الحياد "اللا شرقي واللا غربي" وقادة هذا الشعار على المستوى الرسمي هم الذين ملأوا المنطقة بتدخلات الامبريالية وطوروا قوتها وتواجدها في بلداننا. وذلك في الوقت الذى يتضح فيه بجلاء عجزهم حتى عن توفير مقومات حماية شكلية لبلداننا، من خطر التوسع الصهيوني الدائم.

Digitized by Birzeit University Library

لقد دحضت التجربة المرة شعار التضليل الرسمي" بلا شرقية ولا غربية" ، كما دحضته في الواقع الحقائق في ان مختلف جوانب التناقض الاساسي بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي والتي تشمل العالم باسره ربطت كافة القضايا في سلسلة عالمية واحدة لا يمكن علاج اى منها بمعزل عن ارتباطاتها وامتداداتها المختلفة ، وبات واضحا حتى للمواطن العادى ، والذى تشده كل يوم من خلال وسائل الاعلام السريعة واسعة الانتشار حقائق التشابكات في مختلف القضايا التي تبرز من مقدمة الاخبار كل يوم ، ولا يحتاج الى كبير عناء ان يقف المواطن العادى متسائلا عن حاجة الولايات المتحدة في عزو جزيرة غرينادا التي لا يتعدى عدد سكانها ١٠٠ الف مواطن ، ولا البحث عن اصابع الاستخبارات الامريكية في الاحداث الطائفية الدامية في البنجاب ، ولا رؤية التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا بمعزل عن ارتباطاتها الامبريالية ، ان الولايات المتحدة لم تعد في ذهنه مرتبطة بدعم اسرائيل فحسب ، بل ان اصابعها خلف مختلف القضايا في العالم ، من اصغرها وحتى تهديد محمل الحياة على كوكبنا بتسعير سياسة التسلح النووى .

انه الان لم يعد ممكنا تمرير شعار " لا شرقية ولا غربية" بتلك البساطة السابقة ، كما اصبحت واضحة تلك الاثار الضارة التي سببها الاعتماد على الولايات المتحدة ، ورغم كل الضجة التي افتعلها النظام المصرى على سبيل المثال لتبرير سياسته الانتقامية ، فان الارقام التي تفضح الافلاس والازمات الاقتصادية والتي بلغ فيها حجم الدين الخارجي ١٩ مليار دولار بهذا العام ، تشير بوضوح الى نتائج طريق الاعتماد على الولايات المتحدة المزيد من الفقر للجماهير او فقدان الاستقلالية ، والتحول الى عدد في لوحة حسابات الامبريالية .

ان كلتا الحقيقتين اللتين يجرى استخلاصهما كل يوم ، تطرحان في المقابل طرقا آخر هو حاجة وضرورة امام الجماهير العربية .

فكون المنطقة طرفا في المخططات الاستراتيجية للامبريالية يفرض في المقابل التعامل مع الطرف الاخر لعملية الصراع ، لتجنب المنطقة ويلات الاستعمار الجديد والقواعد العسكرية والتهديد الدائم من جانب اسرائيل . ونموذج الاعتماد على الولايات المتحدة وما خلّفه يقابله نموذج علاقات الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي وما يقدمه من فوائد اقتصادية هامة لتدعيم الاستقلال الوطني وبناء القاعدة المادية للاستقلال الاقتصادى ، ويبدو لاى مقارن عادى حجم الفارق النوعي الهائل بين المشاريع المنفذة وخطط المشاريع المستقبلية في اليمن الديمقراطي حيث ارتفع حجم الاستثمار من ٢٥ مليون دينار عام ٧١ الى (٥٠٨) مليون دينار في الخطة الخمسية الثانية ، لاعوام (٨١ – ٨٥) (على ناصر النهج العدد "٣" ص١٤٢) . وبين حالة الفقر والاملاق الشديد في اكبر البلدان العربية ، وبين اضطرار بلد كالسودان يمكن ان يصبح "سلة غذاء للعالم" كما يصفونه الى مستورد للقمح .

Digitized by Birzeit University Library

ان هذا الطريق الاخر وهو توطيد العلاقة مع الاتحاد السوفييتي وبناء التحالفات الواسعة معه ومع باقي بلدان المنظومة الاشتراكية الذى تستلهمه الجماهير العربية بتجربتها . ولم يغب عن مشاريع الانظمة الرجعية العربيةمن اجل ايقاف بعض التقدم الذى رافق اندحار مخططات الولايات المتحدة فيلبنان وازدياد دور وتأثير سوريا على صعيد المنطقة ، ولذلك فهي تبحث عن اشكال مختلفة لامتصاص ذلك من خلال ازالة الفوارق بين طابع العلاقات بين الاتحاد السوفييتي وانظمتها عنه بالانظمة التقدمية ، وتتضح مجددا بمظاهر التضليل والتشويه في المنطلقات الدعائية والفكرية للانظمة العربية ، والحركات البرجوازية حول التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفياتـــــــي .

ان النجاح فيمجابهة التضليل علىاختلافمنابعة الطبقية والايديولوجية لمفهوم العلاقات مع الاتحاد السوفييتي تقتضي بالاساس الدفاع عن مفهوم هذه العلاقات من منظار مصلحة الطبقة العاملة والكادحين ،اى من خلال بعدها الطبقي وخدمتها لاوسع قطاعات الجماهير العربية . واذا ما كانت المرحلة التاريخية السابقة في نضال حركة التحرر العربية وبتأثير القوى الطبقية التي قادتها قد قللت من الدفاع من منطلقات الطبقة العاملة عن مضمون العلاقات مع الدول الاشتراكية بما في ذلك فضح دور وتقصيرات الانظمة العربية بما فيها التقدمية في فهم والتجاوب مع هذه العلاقة ، فان المرحلة الراهنة في كفاح حركـــة التحرر العربية والتي تدفع باتجاه انتقال قوى طبقية جديدة في مقدمتها الطبقة العاملة الى مواقع متقدمة في قيادتها تفترض المزيد من الشرح والدعاية بروح المنطلقات الطبقية الثورية لمضمون العلاقة معالاتحاد السوفييتي ، والاشارة الى ان معظم الاشكال السابقة للصداقة لم تخرج عن حدود الاستفادة منها بغرض تنفيذ مهمات محدودة في نطاق الثورة الوطنيـــة الديموقراطية وليس من اجل انجاز كافة مهمات هذه المرحلة ولذلك فقد تضاءل مردودهـــا استنادا الى التقصيرات العديدة من جانب الاوساط الحاكمة فيهذه البلدان والتي عمدت الى القاء المسؤولية لاحقا على الاتحاد السوفياتي كمقدمة لتبرير تراجعاتها في مختلـــف الميادي ـــــــــن .

وبهذا المعنى فان من الضرورى التأكيد على ان الصداقة مع الاتحادالسوفييتي ليست مجرد تقديم مساعدات عسكرية واقتصادية ، محددة لهذا البلد او ذاك ، او لهذه الحركة اوتلك ، بل هي علاقة متكاملة ذات مضمون سياسي وكفاحي ، مرتبط من زاوية البلدان الاشتراكية بمصالح الكفاحالعام لقوى العملية الثورية ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ، الامر الذى يتطلب مهمات ايضا من جانب الطرف الاخر في هذه العلاقة سواء اكان نظاما او حركة تحررية ، الانسجام مع ابعاد هذه العلاقة وخطها العام المعادى للامبريالية ، والاستعمار وهنا بالضبط تكمن الحاجة لفضح اية مظاهر للتراجعات او التساهل في النضال ضد الامبريالية

Digitized by Birzeit University Library

من جانب هذا البلد او ذاك ، والذى يعني عمليا الاستعداد للتفريط بعلاقات الصداقة مع الاتحاد السوفييتي .

وفي هذ المجال ينبغي التمييز بدقة بين العلاقات الدبلوماسية العادية بين الاتحاد السوفييتي واى من بلدان العالم ، بما فيها الولايات المتحدة ، وبين طابع علاقات الصداقة والتحالف وعدم خلط الاولى بالثانية .

ان الانظمة الرجعية تسعى الان باتجاه هذا الخلط مثلما اعلن عنه الملك حسين ، او في زيارة وزير الخارجية الكويتي للاتحاد السوفييتي، ولجأت بعض الصحافة المحلية في المناطق المحتلة لاستخدام اعادة تبادل السفراء بين مصر والاتحاد السوفييتي كتبرير لتأييدها القرار الاردني باعادة العلاقة مع مصر، متجاهلة الفوارق النوعية بين الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى امام النظام المصرى نفسه بقطع علاقاته معها بالاضافة الى ابتعادها عن ان تكون طرفا في مخطط التصفية للشعب الفلسطيني بل مدافعا ايضا عن حقوقه ، وبين النظام الاردني الذى خالف قرارا رسميا عربيا شارك في صنعه كما افردت له مهمات محددة في عملية كامب ديفيد التي قوطع النظام المصرى بسببها .

واذا ما كانت الانظمة الرجعية تعنى في علاقاتها مع الاتحاد السوفييتي استخدامه كمصدر للضغط على الولايات المتحدة ولاستيراد بعض الاسلحة المتطورة واستخدام هذه العلاقة بهدف تضليل الجماهير والقاء تبعات ضعفها لاحقا على السلاح السوفييتي وعلى الصداقة معه ، فان هذه المعاني مستمدة في الواقع من طابع مصالحها الطبقية الخاصة ولا ينبغي توقع شيء آخر منها ولذلك فهي مفهومة .

اما الخلط الذى يجرى في النوع الاخر من العلاقات وهي علاقات التحالف والصداقة والذى تشارك فيه احيانا بعض الحركات والقوى الوطنية فان اضراره اكبر بكثير ليس فقط على الجماهير وانما على ثورية الحركة نفسها ويمكن ملاحظة هذا الخلط والذى يستند الى مرتكزات فكرية متباينة في مظهره العام عبر الاستخفاف او عدم الاعتراف بالاهمية والضرورة اللازمة للانسجام بين برنامج القوى الثورية المحلية وبين قوى الثورة العالمية وبشكل خاص المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي .

Digitized by Birzeit University Library

حول ما يشاع عن "تحسين مستوى المعيشة" في المناطق المحتلة

بقلم : مراقـــــــب

بعد عودته من الولايات المتحدة مباشرة أخذت الصحافة تتحدث عن نوايا رئيس وزراء اسرائيل الجديد شمعون بيرس اتخاذ خطوات "لتحسين مستوى المعيشة" في المناطق المحتلة. واهم ما تسرب عن هذه النوايا، التخطيط للسماح باقامة نظام مصرفي "ذى استقلال ذاتي"، والسماح بفتح سوق المناطق المحتلة للاستثمارات الاجنبية. وكذلك ازالة العوائق التي فرضتها حكومة الليكود السابقة حول دخول الاموال والمساعدات من الخارج وحتى من "جهات غير مرغوب فيها" ـ وتم فعلا مضاعفة حجم المبلغ المسموح للمواطنين ادخاله عن طريق الجسر وهناك نية لمضاعفته من جديـــــد .

ورافق هذا اثارة ضجة عن اهتمام امريكي على المستوى الرسمي وعلى مستوى رجـــال الاعمال ومن بينهم صهر الملك حسين نجيب الحلبي بفتح استثمارات "لتنشيط" الحيـــاة الاقتصادية في المناطق المحتلة ، كما أن هذا الاهتمام المشترك الامريكي الاسرائيلي جاء وكأنه اعلان عن الموافقة على مطلب النظام المصرى" بخلق جو من الثقة" مع مواطني المناطق المحتلة" وتحسين شروط حياتهم " كشرط لموافقته على اعادة عملية تطبيع العلاقات الى تسارعهـا الســـابـــق .

اما اوساط كبار رجال الاعمال والمال في المناطق المحتلة، فقد قابلت نوايا بيرس والاهتمام الامريكي والمصرى باقتصاد المناطق المحتلة بترحيب حار. وشرعت في بلورة مقترحات محددة وقوائم مساهمين وربما ذهبت الى ابعد من ذلك . ولا نريد ان نتسرع في الحكم على دوافع هذا الموقف طالما ان الامور ما زالت محصورة في نوايا ومخططات لم يجر

Digitized by Birzeit University Library

تأكيدها رسميا،ولم يكشف النقاب عن تفاصيلها . وبهمنا في هذه العجالة مناقشة الدوافع الرئيسية لبيرس وشركاه وما يخططون له تجاه المناطق المحتلة. ومن اجل ذلك لا بد من توضيح مكانة ودور اقتصاد المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي من جهة،والظروف المحيطة بمشروع "تحسين شروط الحياة" المتعدد الجنسيات فيهـــا .

بالنسبة لمكانة ودور اقتصاد المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلـي يمكن تلخيصـه بأربع نقاط رئيسيـــــة :

١) مصدر رئيسي لقوة العمل الرخيص ،اذ ان اجر العامل العربي لا يزيد عن ٤١ر٤ ٪ من اجر العامل الاسرائيلي في المتوسط خلال الفترة من ١٩٦٨ – ١٩٨٢ (راجع الكاتب عدد ٥٤ تيسير العارورى) . وعلى الرغم من ذلك فان طاقة سوق العمل الاسرائيلي على استيعاب العمالة العربية، هبطت بشكل ملحوظ في السنتين الاخيرتين. وادى هذا الى ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض الاجور الحقيقية الناجم عن نسب التضخم القياسية .

ان هذا الوضع في عرض قوة العمل العربية من الممكن ان يحفز على فتح استثمارات اجنبية (لاستغلال قوة العمل الرخيصة) ، ولكن من المستبعد ان يكون هذا دافعا رئيسيا. فقوة العمل الرخيص منتشرة في شتى بقاع العالم الثالث وبشروط اكثر ملائمة من حيث درجة الاستغلال ومن حيث الحجم عما هو الوضع في المناطق المحتلـــــة .

٢) تشكل المناطق المحتلة اكبر مستورد للمنتجات الاسرائيلية. ومن المعروف ان المناطق المحتلة تدفع ثمن معظم مستوردا تها من اسرائيل بالعملة الصعبة، اذ لا تشكل المداخيل الاتيـة من الاستخدام في اسرائيل الا جزءا ثانويا من دخل مواطنـي المناطق المحتلة .

٣) تعتبر المناطق المحتلة جسرا لعبور المنتوجات الاسرائيلية للاسواق العربية. اذ ان جزءا متفاوتا في الكبر من القيمة المضافة لأى بضاعة تعبر الجسر الى السوق الاردني تنتج في اسرائيل ،فحبة البرتقال الريحاوى او الغزاوى تنمو بمساعدة الاسمدة الاسرائيلية. والحجر الخليلي او النابلسي يقص بواسطة منشار مستورد من اسرائيل وبواسطة كهرباء الشركة القطرية الاسرائيلية ، واذا كانت القيمة المضافة في الاقتصاد الاسرائيلي لهـذه البضائع ،لا تشكل الا جزءا ضئيلا،فانها تكبر في المنتوجات الاخرى التي تستخدم المواد الخام ذات المصدر الاسرائيلي ،وتشكل الجزء الاكبر من القيمة المضافة للمصنوعات التي توضع عليها اللمسات الاخيرة في المناطق المحتلة ،لاعطائها هوية العبور على جسور الاردن . هذا مع العلم ان هناك منتوجات اسرائيلية صرفة يجرى تسريبها بواسطة الوسطاء العـــــرب .

٤) تشكل المناطق المحتلة جسر عبور للعملة الصعبة وذلك من تحويلات العامليـــــن الفلسطينيين في الخارج الى اقاربهم .ومن المساعدات التي تقدمها جهات مختلفة للمؤسسات والافراد في المناطق المحتلة. واذا كانت حكومة الليكود ارتأت تقليص هذه التحويلات ،وفرضت قيودا مشددة على دخولها . هادفة الى تشديد الضغوط الاقتصادية على مواطني المناطق المحتلة ، لحملهم على الهجرة للخارج، غير آبهة لما يحمله هذا

Digitized by Birzeit University Library

من اضرار على ميزان المدفوعات الاسرائيلي ،فان الحكومة الجديدة على ما يبدو ترى ضرورة اعادة النظر في سياسة حكومة الليكود . وفي هذا اعلان غير مباشر عن فشل الضغوط الاقتصادية في تهجير الفلسطينيين عن ارضهم ،في حين ان هذه السياسة اسهمت في زيادة عجز ميزان المدفوعات الاسرائيلي وتفاقم الازمة الاقتصادية فيها .

اما بالنسبة للظروف المحيطة بمشروع " تحسين شروط المعيشة" فيمكن تلخيصها في نقطتين رئيسيتين الاولى تتعلق بالازمة الاقتصادية الحادة في اسرائيل والثانية عملية التقارب الاردني- المصرى ، على أرضية تمسك مصر باتفاقيات كامب ديفيد ، ولهاث النظام الاردني نحو مشروع ريغان ، في ظل التفتت الوطني الفلسطيني ، وعدم الوحدة في جبهة اعداء الامبريالية في العالم العربي .

فالازمة الاقتصادية الحادة في اسرائيل اوصلت اقتصادها الى اكبر حالة تدهور اقتصادى تشهده منذ قيامها . اذ تبلغ معدلات التضخم ارقاما قياسية بلغت معدل سنوى (٤٠٠ ٪) خلال النصف الاول من هذا العام . ومن المتوقع ان يزداد هذا المعدل خلال النصف الثاني ليصل (١٠٠٠ ٪) .وتعاني اسرائيل الان من عجز تام عن تسديد ديونها . مما حدا بالحكومة الامريكية اعطائها فترة اعفاء حتى بداية العام القادم . كماهبط احتياطيها من العملة الصعبة الى ١ر٧ مليار دولار في بداية اكتوبر ١٩٨٤ . وهذا لا يكفي لتغطية استيرادها لاكثر من ٤٠ يوما ، ويقل عن الخط الاحمر للاحتياطي بـ ٣ر١ مليار دولار .

ان واقع الازمة الاقتصادية الحاد هذا يجعلنا نعتقد ان مخطط الحكومة الاسرائيلية الجديدة تجاه اقتصاد المناطق المحتلة ، الذى اوضحنا مكانته ودوره في الاقتصاد الاسرائيلي، لا يمكن ان يتجاوز الضرورات العملية لانقاذ الاقتصاد الاسرائيلي .واذا برزت هذه المرة مقترحات غير عادية من حكام اسرائيل ، فلاءنهم سيعملون على الاستفادة القصوى مما يمكن ان تقدمه هذه المناطق لاخراج الاقتصاد الاسرائيلي من ازمته .

اما التقارب الاردني ـ المصرى على الارضية المذكورة ، والذى جرت مباركته من الدوائر الاميركية والاسرائيلية ،فيحتاج الى تمهيد الاوضاع في المناطق المحتلة لانجاح مساعي اصحابه الشريرة تجاه الشعب الفلسطيني . وذلك بتوسيع القاعدة الاجتماعية المنسجمة مع هذا التقارب . وذلك تحت شعار " خلق الثقة مع مواطني المناطق المحتلة" و"تحسين شروط الحياة " فيها وغيرها .

ان ما اوضحناه حول دور ومكانة المناطق المحتلة وواقع الازمة الاقتصادية الحادة في اسرائيل والتقارب المصرى الاردني ،يسهل علينا توضيح الدوافع الرئيسية التي جعلت الامبركيين والاسرائيليين وحكام مصر والاردن يعزفون لحنا واحداوهو " تحسين شروط الحياة" في المناطق المحتلة .

Digitized by Birzeit University Library

فالاسرائيليون معنيون بتفعيل دور المناطق المحتلة في المساعدة للخروج من الازمة الاقتصادية التي يعانون منها . سواء كان بزيادة صادراتهم لها او صادراتهم للاردن عبرها ، او مضاعفة حجم التحويلات من الخارج من العملة الصعبة من خلالها .اما حكام مصر والاردن فهم مستعدون لانتهاز هذه الفرصة لتوسيع دائرة تحركهم ونفوذهم وذلك بالنفاذ من خلال كونهم طرف في كافة جوانب المشروع الاسرائيلي تجاه المناطق المحتلة. فهم مستوردون من المناطق المحتلة ، ومصدر تقديم المساعدات وطريق لها . ودوائر واشنطن ، بصفتها صاحبة المشروع الاستراتيجي لتطبيع علاقات اسرائيل بجيرانها من خلال المشاريع المختلفة من كامب ديفيد حتى مشروع ريغان ، مستعدة للمساهمة بسخاء في المخطط الجديـــــــد .

ان ما هو جديد في مشروع "تحسين شروط الحياة" المتعدد الجنسيات في المناطق المحتلة ،انه يعطي الاولوية للاقتصاد هذه المرة بالشروع بالتطبيع الاقتصادي ليتبعه التطبيع السياسي . ولعل حكاية النظام المصرفي (ذى الاستقلال الذاتي) يلقي ضوءا علـى ذلـــــــك

من المعروف ان النظام المصرفي (ذى الاستقلال الذاتي) موجود اصلا في المناطق المحتلة ، وقد نشأ بشكل عشوائي تحت ضغط ظروف الاحتلال. ويتكون من العديد من محلات الصرافة وشركات التأمين وبعض شركات الافراد. اذ تقوم هذه المؤسسات الصغيرة بالاعمال المصرفية بدرجات متفاوتة. وهناك العديد من هذه المؤسسات التي تقوم بخصم وتحصيل الاوراق المالية والتجارية والتحويلات وفتح الحسابات الجارية وحسابات التأمين واعمـــال الاقراض وغيرها. وبعض هذه المؤسسات على علاقات وثيقة بالبنوك الاسرائيلية وعلى علاقات وثيقة بالبنوك العربية في الاردن بوجه خاص ـ وتقوم هذه المؤسسات باعمال تدوير النقد فهي تضخ الدولار في السوق الاسرائيلي وعبرها يجرى ضخ الشيكل في سوق المناطق المحتلة، كما تقوم باعادة الدينار الاردني الى الاردن مقابل حصولها على الدولار الذى تضخه في السوق الاسرائيلـــــــي .

ان النظام المصرفي (السري) هذا قد قام بتسيير النقد لخدمة عملية المبادلات بين السوق الاسرائيلي والمناطق المحتلة ؛ وبين المناطق المحتلة والاسواق العربية عبر الاردن وبحكم كونه جزء من اقتصاد المناطق المحتلة فقد ظل مسيرا من دوائر المال الاسرائيلية وتابعا لها . واذا كان هذا النظام المصرفي (الكاريكاتورى) قد قام بواجبه خير قيام ضمن السياسة الاقتصادية المسيطرة ـ وهي طبعا السياسة الاقتصادية الاسرائيلية ـ التي حددت دور ومكانة المناطق المحتلة في الاقتصاد الاسرائيلي ، فما المقصود اذن بنظام مصرفي علني معترف به و (ذو استقلال ذاتـــــي) ؟

للاجابة على هذا السؤال فاننا نثير بعض التساؤلات الهامة .

اولا : ما هو مستوى رقابة البنك المركزى الاسرائيلي على هذا المصرف ؟ وهل من المعقول ان

Digitized by Birzeit University Library

يسمح الاسرائيليون باستبعاد هذا المصرف من الرقابة الصارمة ؟ وهل يصدق من يعتقد ان هذا المصرف سيشكل رافعة للتنمية في المناطق المحتلة ؟ وهل تعتقد رأسمالية الوطنية ؟ ان الاسرائيليين سيسمحون لهم بتقوية مواقعهم التنافسية مع الرأسمالية الاسرائيلية ؟

ثانيا : ما هو موقف البنوك العربية في الاردن والبلدان العربية الاخرى من هذا المصرف (او النظام المصرفي) ؟ وهل يمكن ان ينشأ هذا بدون مباركة هذه المصارف واعترافها واستعدادها لاقامة علاقات وثيقة معه ؟ وان لم تقم هذه العلاقة الوثيقة فما جدوى قيام هذا المصرف ؟ وما هو الفرق بينه وبين فروع البنوك الاسرائيلية الاخرى المنتشرة في كافة مدن المناطق المحتلة؟ وهل سيغير من الامر شيئا اذا سمح لهذا المصرف التعامل بالدينار الاردني او غيره من العملات العربية او الاجنبية ؟

ثالثا : ما هو مستوى ثقة المواطنين ورجال الاعمال بمصرف خاضع لرقابة البنك المركزي الاسرائيلي؟ على الرغم من ان هذا المصرف سيسهل عليهم ، الكثير من الاعباء المحاسبيه ، واعباء التعامل بالنقد السائل ، وما يرافق ذلك من مخاطرة في ظل انتشار السطو المسلح والسرقات ، وهل صحيح ان رجال الاعمال مستعدون لكشف صفقاتهم التجارية للبنك المركزي الاسرائيلي الذي سيوظف معرفته لخدمة سلطة الضرائب التي تلاحقهم بصحبة رجال الشرطة والمباحث ؟

رابعا : اذا تبنى المصرف المنشود سياسة اقراض واسعة بهدف توسيع الاستثمارات ، فأين يمكن للمستثمرين ان يجدوا اسواقا لتصريف منتجاتهم . خاصة وأن السوق الاسرائيلي مغلق امامهم اصلا ، واسواق المناطق المحتلة بالاضافة لحجمها المحدود فهي مغرقة بالبضائع الاسرائيلية. لذا فان مثل هذه الاستثمارات لا بد وأن تقوم بضمان اسرائيلي او ضمان اردني ومصري بموافقة الجانب الاسرائيلي ، لايجاد اسواق تصريف هذه المنتجات .

ولكن الاسرائيليين غير قادرين (حتى لو ارادوا) على تقديم مثل هذه الضمانات؛ لسبب انهم انفسهم عاجزون عن زيادة صادراتهم في الاسواق العالمية . كما انهم لن يقبلوا بقيام استثمارات تضيق سوق المناطق المحتلة امام منتجاتهم .

اما قيام استثمارات بضمانات عربية فهي تواجه مشكلة من نوع آخر، ويتوقف هذا على نوع الاستثمارات التي ستوافق عليها سلطات الاحتلال اذ من المعروف ان هذه السلطات منذ نشأتها المشؤومة في عام ١٩٦٧ وحتى الان ، عملت على عرقلة كافة اشكال الاستثمار الانتاجية منها والخدماتية . وسجلها حافل في تعطيل الكثير من المشاريع الهامة والحيوية بالنسبة لمواطني المناطق المحتلة. وذلك انطلاقا من استراتيجيتهم الثابتة، والتي تشك انهم سيغيرونها ، في منع تطور القاعدة الاقتصادية للمناطق المحتلة على اعتبار ان تطور هذه القاعدة ستقوى من عوامل صمود الشعب الفلسطيني على ارضه . واذا كانوا قد فسحوا

Digitized by Birzeit University Library

المجال امام تطور بعض الصناعات والمؤسسات . فقد كان ذلك ضمن الحد الادنى الذى بدونه لا يمكن للمناطق المحتلة أن تقوم بالدور الاقتصادى في اطار الاقتصاد الاسرائيلي الذى سبق وأوضحناه . وتؤكد وجهة النظر هذه التصريحات التي اطلقها وزراء ومسؤولون في الحكومة الاسرائيلية الجديدة حول الموضوع . فهم يتحدثون عن اقامة مصرف ، ومصنع ، ومستشفى . ويظهر أن الامر يتعلق بثلاث طلبات ترخيص موجوده في ادراج دوائر الحكم العسكرى منذ فتـــــــرة .

ان الاجابة على التساؤلات المطروحة ،تقودنا للاعتقاد ان اصحاب مشروع " تحسين شروط الحياه" في المناطق المحتلة من امريكيين واسرائيليين وانظمةعربية رجعية ،يهدفون الى تمهيد الارض للحلول الاستسلامية للقضية الفلسطينية عبر عملية تطبيع اقتصادى مالـي سيعود بالفائدة على حكام اسرائيل بالدرجة الاولى . وستساعدهم فيالتخفيف من حدة الازمة الاقتصادية الحادة التيبعيشها اقتصادهم . اما مواطنو المناطق المحتلة فمن المستبعد ان يكونتصيبهم الا الفتات . واذا حملمشروع "تحسين شروط الحياة" انعاشا لبضع عشرات من اصحاب رؤوس الاموال في المناطق المحتلة ، فان هذا لا يعني " تحسين شروط الحياة" الا لمن هم ليسوا في حاجة الى هذا التحسين . ان "تحسين شروط حياة" مواطني المناطق المحتلة مرهون بزوال الاحتلال البغيض ، واذا اعتقدالمطبلون لهذا المشروع ان شروط الحياة عبارة عن رزمة دولارات ،فان مفهومهم هذا لشروط الحياة لا ينطبق على مفهوم الجماهير الواسعة التي تعتقد ان الوطن والدولة المستقلة هما الحد الادنى لشروط الحياة الحقـــة .

Digitized by Birzeit University Library

رسّخوا حقيقة الحياة ومُثل الاشتراكية السامية

الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي قسطنطين تشيرننكو

النصّ الكامل لخطاب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي قسطنطين تشيرننكو في الاجتماع الكامل اليوبيلي لمجلس إدارة إتحاد الأدباء السوفييت المنعقد في ٢٥ ايلول ١٩٨٤

أيها الرفاق الاعـــزاء .

ان اجتماعكم الكامل مكرس للذكرى الخمسين لحدث جليل في تاريخ الثقافة السوفييتية لمؤتمر اتحاد الادباء السوفييت الاول في عموم الاتحاد السوفييتي. واننا نتطلع اليوم

Digitized by Birzeit University Library

بفخار الى الطريق الذى اجتازه الادب السوفييتي وليد اكتوبر العظيم ، الادب الذى تجسدت فيه بشكل ساطع التحولات الثورية للقرن العشريـــــــــن .

أنه ادب يحيا حياة واحدة مع الشعب والحزب والبلاد .وتنبثق على صفحاته بكامـــــل قامتها الشخصيات العظيمة للينين ورفاقه وابطال الحرب الاهلية والخططالخمسيةالاولـــى والمقاتلين الخالدين في الحرب الوطنية العظمى . انه ادب يقع في مركزه الانسان الكادح والانسان خلال كدحه ، الانسان المتطلع للمعرفة والباحث والحيوى وباني الاشتراكيةالنشيط . انه الادب القادر على فهم معاصره وتصويره في كل تعقدات عالمه الداخلي وابحاثهالاخلاقية المعنوية ، في مسراته وقلقه ، في سعيه نحو الحقيقـة والعدالـــــة .

ان القضية التي بدأها بشكل رائع غوركي وماياكوفسكي وفاديف وشولوخوف يواصلهـــــا اليوم الكتاب والشعراء العاملون بنشاط وبصورة مثمرة في ادبنا المتعدد القوميات . وانني وهذا الشيء مفهوم لن اذكر هنا اسما ومؤلفات معينة . ولكنياشير الى ناحية واحدة ، الى ان ذلك الشيء الجديد والموهوب والعميق الذى ظهر في الادب خلال السنوات الاخيرة والذى يثيـر اهتمام القارئ السوفييتي ويجعله يفكر ويناقش ، هو أصدق دليل على ان التراث الكلاسيكي السوفييتي . بل العالمي ايضا تدخله على مرأى منا مؤلفات تتجاوز عصرها وستتحدث عنه الى خلفنا بصـــــدق .

ولعلي لن اخطيء اذا ما قلت ان ادق معيار لنجاحات الادب والفن على العموم هو تلك الدرجة الفعلية من التأثير الذى يمارسانه على تكوين سيماء الشعب الفكرية والاخلاقية المعنوية . ولا يعرف الادب السوفييتي في الواقع مثيلا له بهذا المعنى . انه يجسد الثروة الروحية للحضارة الاشتراكية الجديدة . ولهذا السبب بالذات يحترم الحزب والشعب العمل النبيل للادبا ولجميع اساتـذة الفـــــن

ايها الـرفاق . ان ذكرى مؤتمر الادباء الاول تستميلنا نحو الحديث الصريح والمفصل لا عن واقع الامور في الادب فحسب ، بل كذلك عن قضايا الابداع الفني على العموم ، وعن مكانة الفن في حياتنا واعتقد بأن الحاجة الى مثل هذا الحديث قائمة لديكم يا رجال الفـن السوفييتي وانا على ثقة بان عشرات الملايين ايضا من قرائكم ومشاهدكم ومستمعيكم . وباختصار كل مجتمعنا مهتمون به . ولا اخفي انني انا ايضا اود الاشتراك في هذا الحديث ومن الطبيعي ان لا انوى عند الحديث عن قضايا الابداع الفني ان اعطيكموصفات بكيفيـــة حلها انني اود التحدث بالدرجة الاولى عن الجوانب السياسية لهذه القضايا ومشاطرتكم اهتماماتي والحديث عن المهمات الجذرية لسياسة الحزب اليوم ، وعن فهمنا لها وعـــن عملنـــــا .

ان قضايا الابداع الفني لا وجود لها خارج السياسة . وهذه حقيقة واضحةبالنسبة البنا . بيد انها لم تشق طريقها كما هو معروف ، بسهولة ومن المستبعد ان نتمكن من تقدير القسط

Digitized by Birzeit University Library

الذى اسهم به موتمر الادباء الاول في ترسيخها حق قـــــدره .

لقد دار الحديث فيه عن رسالة الادب في المجتمع الاشتراكي ، وعن دوره في تربية الانسان الجديدة . وعن واجب الاديب الوطني" وقد تناول الكسي غوركي هذه المسائل بشكل واسع وعلى الطريقة اللبنينية. وانكم تذكرون طبعا فكرته الرئيسية القائلة ان على الكاتب ان يتعلم كيف يستخدم بنشاط الحق العظيم الذى منحته اياه الاشتراكية. الحق في الاشتراك المباشر في بناء الحياة الجديدة وفي ان يكون حكما صارما على كل ما هو جامد وعتيق ، وفي ترسيخ الانسانية الحقة ومثل الاشتراكية السامية بفنه ، وهذا هو من حيث الاساس المغزى السياسي للواقعية الاشتراكية . المنهج الفني الاساسي في ادبنا وفننـــــا .

لقد اضحى الموتمر الاول مرحلة انعطاف في مجرى تكون ادب الاتجاه الاشتراكي الجديد وقد بدأ كما يقال ، لا من ورقة فارغة . بل نما على قاعدة الادب الروسي الطليعي والثقافة الديمقراطية لجميع شعوب روسيا والتراث الكلاسيكي العالمـــــي .

وقدر غوركي الموتمر عند اجماله نتائجه بمثابة انتصار للبلشفية . وكان مصيبا دون شك . فان ادخال مبدأ الحزبية الشيوعية والتنظيم الى مجال الادب ساعده على ان يصبح ، كما تنبأ لينين ، حرا فعلا ومرتبطا بالانسان الكادح بشكل مكشوف . وقد تزود اساتذة الفنون الاخرى ، بالشكل التنظيمي لتوحيد الادباء الذى تم ايجاده بعد ابحاث طويلة . والذى ثبت في الموتمر وصمد لامتحان الزمـــــان .

لكن اهمية الموتمر الاول تجاوزت حدود الحياة الفنية . فقد اضحى علامة ايضا في تاريخ تكون الانتلجنسيا السوفييتية . وتذكرون ان ثلثي مندوبي الموتمر كانوا عمالا وفلاحين من حيث المنشأ . وبكلمة اخرى كانوا مثقفين في الجيل الاول . ودلت هذه الواقعة افضل من اى كلام على ان الانتلجنسيا الجديدة ولدت واحتلت مكانة لائقة في مجتمعنـــــا .

لقد وطد موتمر الادباء اتحاد العمل مع الثقافة الذى نشأ بعد اكتوبر ويستحيل بنـــاء الاشتراكية الناجح من دون هذا الاتحاد من دون تحالف العمال والفلاحين والانتلجنسيا الذى كانت الطبقة العاملة ولا تزال قوته المتينة . وكان ذلك صائبا قبل نصف قرن . وهو صائب لا سيما اليوم حينما لم تعد الانتلجنسيا فئة ضيقة من الناس المثقفين ، بل شريحة عظيمة من الشعب الكادح ، وحينما يزداد باستمرار قسطها في قضيتنا المشتركة ، تكميل الاشتراكية المبنية في الاتحاد السوفييتـــــي .

من الواضح ان هذه القضية معقدة . وهي لا تتحمل موقفا مبسطا . ويخطر بالبال هنا مباشرة المثل القائل : ابسط ذكاءك اينما اتجهت . اجل و ان القضية لعلى هذا النحو بالذات . فنحن اليوم نطلب حتى من الماكنات ان تكون ذكية . وعلى الرغم من ان هذه مجرد استعارة تؤكد بشكل صائب الخاصية المميزة لمجرى الانتاج المعاصر ، الا وهي تشبعه

Digitized by Birzeit University Library

الذهني المتنامي . وليس من قبيل الصدفة اننا نربط زيادة فعالية الاقتصاد الوطني وتكثيف الانتاج ربطا وثيقا جدا ، بالاستيعاب السريع لاكتشافات العلم وانجازات الفكر الهندسي ، وباعادة بناء الفكر الاقتصادي ذاته طبعـــــا .

على العموم ايها الرفاق اننا لا نستطيع التقدم بنجاح في اي مجال اخذناه سواء مجال العمل الحزبي او الحكومي او الاقتصادي ، من دون الاعتماد على المعارف العميقة وعلى وعي جميع الكادحين العالي وثقافتهم ، وعلى الذخر الروحي الابداعي الهائل الذي اكتسبته احيال المواطنين السوفييت ، وترمي في الحقيقة قرارات المؤتمر السادس والعشرين للحزب والاجتماعات الكاملة للجنة المركزية في الاونة الاخيرة الى تعبئة هذا الذخر تعبئة كاملة ونحن على ثقة من ان هذا قادر على اعطاء تطورنا كله تسريعا قويـــــا .

لقد اجتمع في القاعة هنا ممثلو تلك المهن التي ثبتت بها ، حسب التقليد تسمية الانتلجنسيا المبدعة ولكن اعتقد بانكم ستؤيدونني اذا ما قلت ان طابع العمل الابداعي وموقف المرء الابداعي من عمله يجب ان يكونا اليوم السمة المميزة لكل مثقف ، سواء كان عالما او مهندسا ، معلما او طبيبا ولكل عامل طبعا وكل كولخوزي ، لكل من يكدح بشرف ونزاهة من اجل ازدهار وطننا العظيم . وان مثل هؤلاء الناس عندنا يعدون بالملايـــــين .

لعلكم لاحظتم ، ايها الرفاق ، انني اريد ان اتوصل الى هذه الفكرة . ان طابع المهمات القائمة امام مجتمعنا تكشف بحد ذاته عن مجال لا نهاية له حقا لاستخدام الطاقات والقوى الابداعية لجميع فصائل الانتلجنسيا السوفييتية ، وتتنوع اشكال واتجاهات نشاطها بشكل خارق . لكن هناك شيئا مشتركا يوحدها . واقصد بذلك التأثير الكبير الذي تمارسه الانتلجنسيا على الوعي الاجتماعي وعلى حياة المجتمع الروحية . وينبغي دائما اخذ هذا بالحسبان في سياسة الحزب وفي عمله الايديولوجي والتنظيمي ، كما علمنا لينين . ولكن هذا مهم بصفة خاصة في الفترات التي يواجه فيها المجتمع مهمات جديدة نوعيا يتطلب حلها ، بطبيعة الحال مستوى جديدا من الوعي الاجتماعـــــي

وهكذا بالذات تمثل القضية في ايامنا ايضا . لقد زودنا فكر الحزب النظري بنظرية الاشتراكية المتطورة وتكمن قوة هذه النظرية في انها تساعد على التحديد الدقيق للدرجة التي بلغناها من النضوج الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع الجديد ، وفي ان نتصور بشكل ادق اهدافنا القريبة والبعيدة . وقد يبدو هذا اللوهلة الاولى امرا مجديا بعض الشيء ، ولكن اذا امعنا التفكيـــر واذا طالعنا الوثائق الحزبية بتمحص فلا يجوز الانلاحظ ان المقصود اشياء حياتية معينة جدا ، وكذلك ضرورة تقدير خصائص الفترة التي نعيشها بصورة متزنة وواقعية دون التقليل من اهمية انجازاتنا العظيمة والاكيدة ودون تزيين الواقع ودون صبغ النواقص بصبغة مأساوية . ان المقصود اهمية البحث الخلاق عن سبل جديدة لحل المهمات القائمة تستجيب لهذه الخصائـــص .

Digitized by Birzeit University Library

ويعتبر تأييد الجماهير لسياسة الحزب الشيوعي السوفييتي اهم شرط لتحقيقها بشكل فعال . ويضمن هذا التأييد الحديث الصريح مع الناس وان النزاهة والاخلاص في السياسة قانون لا بد منه للحزب. وقد كتب فلاديمير لينين يقول " ان الاخلاص في السياسة اى في ذلك المجال من العلاقات الانسانية الذى يمس لا الافراد المعدودين، بل الملايين، ان الاخلاص في السياسة هو التطابق القابل تماما للاختبار بين القول والعمل ". اذا، ايها الرفاق يكمن في نظرية الاشتراكية المتطورة ايضا، الى جانب المضمون العلمي ، مغزى اخلاقي معنوى وسياسي هائل .

ان المطالبة بالادراك الواقي للواقع لا يعني بتاتا اننا منغلقون على مجرى الامور اليومية على حد الزعم اذ يتطلع الحزب الى الامام . وهو يعير اهمية اولى لتلك القضايا التي يتوقف على حلها مستقبل البلاد والشعب والى حد كبير كذلك واقع الامور على الصعيد العالمي.

يقترب المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي .ويلعب كل مؤتمر دورا كبيرا في حياة الحزب والشعب .ولكن مما لا شك فيه الان ان اهميةالمؤتمر التالي سيعنيها كون ان برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي بنسخته المنقحة التي سيقدر لنا العمل على اساسها خلال عشرات السنين سيقر فيه .

لقد تسنى لي ان اقول في لجنة البرنامج لدى اللجنة المركزية ان علينا ان ننطلق من الوقائع القائمة مع مراعاة كل الاشياء الجديدة في جوهرها التي ظهرت في الممارسة الاجتماعية والنظرية خلال ربع القرن الاخير تقريبا، مع حسبان الخبرة التي اكتسبتها الجماهير . وقد بينت هذه الخبرة ان من الضرورى قبل حل المهمات المرتبطة مباشرة ببناء الشيوعية اجتياز مرحلة طويلة تاريخيا من الاشتراكية المتطورة التي بلدنا في مطلعها .

يبين تحليل رسائل الكادحين واصداء الاوساط الاجتماعية ان طرح المسألة بهذا الشكل يلقى تأييدا اكيدا ،ويواجه المرء في الوقت نفسه عند التحدث مع الناس ومطالعة الرسائل في بعض الاحيان السؤال : الا تبعد بذلك الافاق الشيوعية ؟ ان الجواب عنه بسيط ولا مواربة فيه . كلا ، طبعا . بالعكس ، نحن نفعل كل شيء كي نقرب هذه الافاق ولا يمكن تقريبها الا بطريق واحد ، هو حل كل طائفة القضايا الكبيرة والمعقدة المتعلقة بهذه الدرجات او تلك من الطور الاول للتكوين الشيوعي . ويطابق هذا بقدر كامل تصور لينين عن ان الشيوعية هي اعلى درجات الاشتراكية المتطورة". واود ان اؤكد بصفة خاصة، ايها الرفاق ان طول مرحلة الاشتراكية المتطورة لا يعني بتاتا ان في وسعنا الا نحرص على زيادة الوتائر باستمرار وان نضع بعض الامور الناضجة على الرف . اننا نوجه اليوم كل طاقات الشعب الخلاقة ومبادرته العملية نحو تسريع تطورنا الى الحد الاقصى. اذ لا يجوز استخدام صيغة "الاشتراكية المتطورة" كشهادة فقط تثبت ،كما يقال،

Digitized by Birzeit University Library

نجاحاتنا السابقة نحو شي آخر، نحو جعل جميع جوانب حياة المجتمع السوفييتي متطابقة مع ارفع التصورات عن الاشتراكية واكثرها صرامة والمعللة علميا طبعـــــا .

من الواضح ان هذا يتطلب جهودا اقتصادية وتنظيمية نشيطة. ومن الضروري في الوقت نفسه ايضا عمل دؤوب لزيادة وعي الجماهير ولاعادة توجيه الوعي الاجتماعي توجيها معينا اذا شئتم كي يستوعب بشكل اسرع الافكار الجديدة التي يطرحها الحزب وينخلص بصورة اكثر حسما من الاراء العتيقة والمتخلفة . واننا نعول في هذا العمل الفكري السياسي الهام ايضا على المساعدة النشيطة من الانتلجنسيا في بلادنـــــــا .

انني واثق بالاهمية الطهمة الكبيرة لهذه المهمة بالنسبة لرجالات الادب والفن عندنا . وهم مدعوون لان يرسخوا بوسائلهم ذلك الموقف من الحياة ومن قضاياها الذى يدعو اليه الحزب ويناضل من اجله وبالمناسبة اذا ما دعت الحاجة الى تحديد جوهر هذا الموقـف باختصار فمن الممكن ،على ما اعتقد استخدام الكلمتين المعروفتين لكم جيدا : الواقعيـة الاشتراكيـــــــــة .

كثيرا ما يتناول الادب والسينما والمسرح الان ظواهر معقدة ومتناقضة . وليس ثمة ما يدعو الى الاستغراب في ذلك . فالتناقضات طبيعية وحتمية في مجرى تطور المجتمع الاشتراكي وهي طبعا تؤثر دائما بهذا الشكل او ذاك على مصائر الناس، وتغدو مصدرا للصدامات الاخلاقية المعنوية . ولا سيما ان تجاوز هذه التناقضات ، على الرغم في انها لا تحمل عندنا طابعا تناحريا ، تتطلب جهودا ليست بالقليلة وجرأة وطنية كبيرة، ومبدئيـــــة .

ان هذا اغنى غذاء لتأملات الكاتب من اجل تنفيذ رسالة الادب الابدية : حث المجتمع وكل انسان على النظر الى نفسه نظرة اكثر انتباها وصرامة ، من اجل مساعدته على ان يتخذ دائما وفي كل مكان الموقف النشيط للمناضل الصامد في سبيل قضيتنا المشتركـــة .

ان ادبنا وفننا اللذين يساعدان الحزب على تربية الناس بروح الشيوعية وتكوين الطبع وخلق شخصيات صادقة وحية للناس المخلصين اخلاصا متفانيا للشعب والاشتراكية والذين يجسدون بطولة بناء العالم الجديد . ونحن جميعا ندرك ان فعل هذا ونقل هؤلاء الناس من الحياة الى العمل الفني ليس بالامر البسيط . ولهذا لعل المناقشات في اوساط المبدعين حول كيف يجب ان يكون فيها واود ان ادلي بفكرة واحدة فقـــط .

اعتقد بان المناقشات بخصوص كيفية " تعيين كمية" الصفات الايجابية والسلبية للبطل ، مثلا، هي قليلة الثمار .فمن المهم ايها الرفاق ، ان تكون للبحث الابداعي للفنان ، اذا صح التعبير، نقطة انطلاق واحدة ــ الاخلاص لحقيقة الحياة وللمثل الاشتراكية . ان هذا شرط ضروري لحزبية الفن وشعبيتـــــــه .

ومن البديهي ان القارئ او المشاهد ، ولا سيما الشاب ، يرغب في ان يلتقي في اغلب

Digitized by Birzeit University Library

الاحيان، سواء في الكتاب او على الشاشة ، مع معاصره الذى يستطيع ان يثق به ويحبه ويرغب في تقليده . انني اكرر ما سبق ان قلته في الاجتماع الكامل للجنة المركزية في حزيران (يونيو) ،وذلك لانني واثق من ان لا شيء يمكن ان يحل محل الادب والفن في تربية اخلاق وعادات ومشاعر الناس الاجتماعية ، وفي قدرة تأثيرهما على العقول وعلى القلوب .

كما اود ان اقول بهذه المناسبة ان تثقيف الانسان بالثقافة الفنية وتربيته الجمالية يعطيان نتائج ثابتة ، حينما يبدآن منذ الصغر . ويعتبر فضل مدرستنا الذى لا جدال فيه عدم وجود الطفيليين في مجتمعنا تقريبا . ولكننا لا نزال نرى ، مع الاسف اناسا جهلة من الناحية الانفعالية ـ النفسانية . فمن الضرورى ، على ما يبدو ، استخدام برنامج الاصلاح المدرسي لتقوية تأثير الادب والفن على تكوين الشخصية. وانا واثق من ضرورة ان نعير اليوم اهتماما للتطوير الفكرى والاخلاقي للاجيال الناشئة وتربية ثقافة المشاعر ، لا يقل عنه لتدريس الاسس العلمية. ويعتمد الحزب في هذه القضية على مساعدة ملموسة من جانب الاتحادات الابداعية والانتلجنسيا الفنيـــــــة

كانت التربية من خلال التاريخ وتبقى وسيلة هامة لتربية الشعور بالواجب الوطني والوطنية السوفييتية والاممية . ومن الحسن ان المواضيع التاريخية في الادب والفن تمر بما يشبه الانبعاث ، ان المقدرة على التحدث عن الماضي بجدية واتزان ، ومن مواقف العقيدة الماركسية ـ اللينينية ،هي التي تجلب النجاح في هذه القضية ، كما تبين الممارسة. ولا تجوز اعادة كتابة التاريخ ولا تشذيبه . ويتطلب التجسيد الفني لتاريخ نضال الشعب السوفييتي في سبيل الاشتراكية اسلوبا طبقيا فعلا وعميق التأمل. وينبغي على الفنان ، كيلا يتناقض مع الحقيقة ، ان يقف بثبات على ارضية الحقائق ، والا يستبدل معرفة القوانين الحتمية والمجرى الواقعي للتطور الاجتماعي بالانفعالات والتصورات الاعتباطيـــــــة .

وثمة امر آخر مما يبعث على السرور ان الفنانيين السوفييت اخذوا يكترون من توجههم الى الادب الاجتماعي. فهذا يمكنهم من التوغل ، بشجاعة وفي الوقت المناسب في اكثر المواضيع الحاحا ، في قضايا اقتصادية واجتماعية محددة تهم الناس. ويساعده ذلك على خلق مؤلفات كأنها تسبق الزمن احيانا من خلال الوسائل الفنية ، اذ تطرح بحدة قضايا حيوية ملحة وتقترح طرقا معينة لحلهـــــا .

وبعبارة موجزة ،ايها الرفاق ، مهما كان الموضوع الذى يتناوله الفنان ـ عصريا او تاريخيا او داخليا اوعالميا ـ ،ومهما كان مجال عمله الفني ، فان القيمة الاجتماعية لعمله يحددها ، قبل كل شيء ، ذلك الموقف الفكرى والسياسي والعقائدى الفعال الذى يتخذه ويثبتـــــــه .

أيها الرفاق يو ثر الوضع السياسي الخارجي على وتائر تقدمنا الى الامام ، تأثيرا غير

Digitized by Birzeit University Library

قليل وهو الان مغلق للغاية . لقد تحدثت عن ذلك اكثر من مرة في الاونة الاخيرة . ولهذا ، اسمحوا لي ان اشارككم بعض التصورات فقـــــــط .

تكمن الحقيقة القاسية للوضع الدولي الراهن في ان الخطر النووى عظيم ويا للاسف وليس بالامكان الاختفاء عنه ولا الرد عليه بهزل ، فمن الضرورى النضال ضد الخطر النووى ، بصورة فعالة وموجهة وهذا ما نقوم به نحـــــــن .

وهذا بالدرجة الاولى ما يحدد موقفنا من العلاقات مع الولايات المتحدة ، اذ يتوقف على وضعية هذه العلاقات ، وبدرجة كبيرة ، وضع القضايا على الصعيد الدولي . الا انهم في الولايات المتحدة الامريكية ، وبناء على كل ما يبدو ، اما لا يريدون ، واما ما زالوا غير مستعدين لادراك انه ما من طريق عقلاني آخر غير طريق تطبيع العلاقات السوفييتية الامريكية على اساس مبادئ المساواة والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من الطرفيـــــــــن .

ان امتلاك قدرة نووية جبارة في ايامنا هذه لعبء هائل . انني لا اتحدث فقط عن التكاليف الباهظة لذلك . وانما اعني عبء المسؤولية العظمى ، التي يلقيها ذلك على عاتق القادة السياسيين ، متطلبا منهم موقفا في غاية الجدية ازاء مسائل الحرب والسلم ومواقف النزاع . وهذا ما ننطلق منه . ان اهدافنا واضحة وثابتة . اننا ضد المجابهة في المجال العسكرى بشكل قاطـــــــع .

اننا نقف بحزم الى جانب الحد والتقليص الجذرى لسباق التسلح ، وتحريم الاسلحة النووية وتصفيتها بالكامـــــــل .

وفي الخارج يؤيد هذه الاهداف اليوم الملايين والملايين من الناس ذوى شتى القناعات ووجهات النظر . ان اعمالهم المشتركة تمارس تأثيرا ملحوظا على تكوين رأى عام مناهض للحرب . وهذا أمر هام ايها الرفاق ، وهنا ايضا يمكن للانتلجنسيا ورجالات الثقافة ان يقوموا بالكثير . وهذا هو السبب في كون السؤال ـ النداء الشهير الذى طرحه غوركي : "مع من انتم يا صناع الثقافة ؟" ، يدوى اليوم بقلق وصرامة ، كما لم يكن في اى وقت مضى . ان القضية لا تنحصر طبعا في الاختيار بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، كما يحاول تصوير ذلك المعادون للشيوعية في احيان كثيرة . ان القضية تكمن في الاختيار بين حياة حضارتنا او هلاكها . ولا يوجد هنا اى " وسط ذهبي " ، فاما انت مع من يعد للحرب واما مع من يرفض سياسة الامبريالية المغامرة ، ويناضل من اجل التعايش السلمي ومن اجل نزع السلـــــــح .

ولذا فانه من الهام جدا ان تساعد الانتلجنسيا الابداعية زملاءهم الاجانب على القيام بمثل هذا الاختيار وهذا بالمناسبة ما تتخوف منه كثيرا الاوساط الحاكمة في الغرب . فهي تسعى للحط من افكار الاشتراكية وتطبيقها في عيون مثقفي بلدانها ، وزرع الخصام بينهم

Digitized by Birzeit University Library

وبين الانتلجنسيا الابداعية في الدول الاشتراكية. ان اعداء السلام يخشون التلاحم بين صناع الثقافة، الذين ينصت لصوتهم ملايين البشـــــــر .

وفي نفس الوقت يحبون في الغرب الحديث عن فائدة تواجه الافكار والاراء، وتطوير الاتصالات بين الناس. اننا مع ذلك بالطبع ولكن بماذا نصطدم بمحاولات تدخل وقحة في شؤوننا الداخلية، وبحرب نفسية حقيقية . ان احد اهدافها هو زعزعة، ولو قليلا، الوحدة بين رجالات ثقافتنا وبين الحـــــــــزب .

ويلجأون، كما تعلمون، الى اساليب نقول بصراحة، انها غير مهذبة كالكذب وتزوير الوقائع وتبديل المفاهيم. يقولون، على سبيل المثال، ان الاشتراكية "لا تطاق" بالنسبة لحرية الابداع، وان الحزب الشيوعي السوفييتي، على حد الزعم، يقطع الطريق امام البحث الفني، ويطالب "بالتماثل" في الادب والفن. ان كل شيء هنا مقلوب رأسا على عقب وبالطبع، ليس بسبب عدم الروية ابدا . وهكذا فان تغيير قناعات خصومنا الفكريين امر لا امل فيه ، ولكن يجب وبدون كلل الدفاع عن ارائنا وتوضيحها وكشف "نقاد" النظام الجديد غير الشرفاء وتقديم الحقيقة عن الاشتراكية الى الناس بنشاط، وتربية المواطنين السوفييت، وخاصة الشبيبة، بروح اليقظة الطبقية والاستعداد للدفاع عن وطننا العظيـــم .

واود ان اشير ايضا الى امر آخر. اننا نأمل ان تجد قيادة الاتحادات والمنظمات الابداعية في فترة الاستعداد للاحتفال بالذكرى الاربعين لانتصار الشعب السوفييتي في الحرب الوطنية العظمى، الامكانية لجذب الاهتمام الاعمق لصناع الفن نحو موضوع الحرب والوطنيـــــــــة .

ونحن لا نستطيع ان نشكو اليوم من عدد المؤلفات حول هذا الموضوع الذي يحتل منذ القدم المكانة الجدير بها في مؤلفات رجالات الثقافة عندنا . ولكنه من المرغوب فيه ان يكون ظهور مثل هذه المؤلفات اكثر فاكثر حدثا حقيقيا في حياة البلاد الادبية، وفي تطور الادب والفن السوفييتـــــــــي .

ايها الرفاق، يخلق حزبنا ودولتنا ظروفا تساعد الانسان الموهوب على ان تفتح موهبته بصورة تامة والابداع لما فيه خير الشعب. ونحن نرفض بحزم الوصاية التافهة على اناس العمل الابداعي. فالابداع هو ابداع لكونه حرا . فان العمل بارهاب وليس بالرغبة لا يخلق اي شيء رائع وجديد حقا . انها حقيقة قديمة ، واثباتها يعني اقتحام باب مفتوح .

غير ان حرية الابداع ــ ليست امتياز النخبة من المجتمع. فالحزب يعامل الموهوب بعناية، ويعتبره اثمن ثروات المجتمع. ولكن ليس ثمة احد او شيء يستطيع اعفاء الانسان عن متطلبات المجتمع الالزامية للجميع ، ومن قوانينـــــــه .

ومن السذاجة الاعتقاد بانه يمكن التشهير بالدعائم الاخلاقية والسياسية لنظامنا، وانتظار الخيرات والاعتراف منه في نفس الوقت. وطبيعي ان الشعب لن يغفر لاحد الانتقال

Digitized by Birzeit University Library

الى جانب اعدائنا الفكريين في ذلك النضال العنيف جدا ، الذى يدور اليوم في العالم ولا يمكن ان يكون هناك رأيـــــان .

بلى ،أيها الرفاق ، لقد كتب واختلق في الغرب الكثير من السخافات والهراء المكشوف ، وذلك لتشويه ذات فكرة الموقف الحزبي من الفن . فيحدث احيانا ان يؤخذ مؤلف ليس ناجحا جدا لكاتب سوفييتي حيث يستبدل البحث الادبي للحياة بالبيانات والتصريحات فيحاولون اقناع الجميع بالقول : ذلك هو المعيار الذى يجبر الحزب الشيوعي السوفييتي الكتاب على مراعاته. بينما يعتبرون الكتاب ذا المحتوى العميق مما يسمى بالموضوع الحاد ، المؤلف من مواقف حزبية "انحرافا" عن القاعدة. واعتقد انكم ستسمحون لى بالا اسرد امثلة محددة ؛ فقد كان بعض الرفاق الجالسين في هذه القاعة ضحايا مثل هذه الحيـــــل .

ان العقائدية العميقة والشعور بالواجب الوطني والمستوى الرفيع للمهارة الادبية ــ هي المطلب الرئيسي للحزب والشعب تجاه رجال الفن. وهذا بالذات ما توجه نحوه الانتلجنسيا الابداعية قرارات الاجتماع الكامل في حزيران (عام ١٩٨٣) وعدد من القرارات المعروفة لكم والمتخذة في مجال الثقافة في الاونة الاخيـــــرة .

ان قضيتنا الكبرى واهدافنا الانسانية لا تحتاج الى تبجيل جاف بالقافية والنثر . اما المؤلفات التي تستبدل فيها الفكرة الاصلية والطرية ، كما اشارشدرين ساخرا ، بـ"اعادة وتكرار حقائق اولية" ، فلا يمكن تسميتها "ادبية" ، الا من باب التهكم . فان الكتب والاوبرات الرديئة ، والافلام التلفزيونية والسينمائية المصورة بسذاجة ، والتماثيل واللوحات غير المتقنة ، لا تفسد ذوق الملايين من الناس فحســـب .

انها تخزى المواضيع والافكار التي يجسدها صانعوها . وعلى ذلك ، فمن الضرورى محاربة الجهل وانعدام الشخصية في الفن ، بصورة ملحة ومبدئية ومن البديهي انه لا يمكن ان تكون اية تساهلات تجاه مظاهر انعدام العقائدية ، واللامبدئيـــــة .

وبالمناسبة ، ايها الرفاق ، الا تكمن في ذلك مصيبة البعض من نقادنا ، حيث ينظرون الى الامر من جانب واحد فاما يكيلون المديح لرواية او مسرحية او فلم ضعيف ،وذلك لـ " اهمية الموضوع" ، واما يحنون على "النعم الجمالية" لانتاج باطل فكريـــــا ؟

وفي غضون ذلك تبين تجربتنا كما والتجربة العالمية ،ان الادب العظيم والفن الكبير لا يمكن ان يتواجدا دون نقد مهني رفيع يتسم بالمسؤولية الوطنية. وهذا يعني ان نقدنا الماركسي ــ اللينيني ينبغي الا يقيم هذه المؤلفات او تلك بدقة فحسب .

اننا ننتظر من النقد الادبي ما هو اكثر من ذلك ننتظر القدرة على كشف المغزى الاجتماعي العميق للمسائل التي تتطرق اليها النتاجات الادبية ، ودعم المؤلفين اذا كانوا يطرحونها بصواب ، ومجادلتهم بالحجة عندما يضلون . وبكلمة فان النقد عندنا يجب ان يساعد على تقدم حياة الشعب الروحية. ولهذا كما يرى لينين ،من الضرورى " الربط بين

Digitized by Birzeit University Library

النقد الادبي والعمل الحزبي بصورة اوثـــق .

ولا بد لكل من اولاء الحزب الثقة لتطبيق النهج اللينيني في ميدان الفن من ان يقوم بذلك بذكا المبادرة. وهذا يعني التحدث بصراحة وبروح مبدئية مع اناس العمل الابداعي. ولا يجب بحال من الاحوال الابتعاد عن المسائل الحادة والتي تقلق الفنان ، ولا احالة ايجاد حل لها الى ما يسمى بالمراجع العليا. يجب اتقان اقناع المحاور ، واذا اقتضى الامر اعادة اقناعه. وبدون ذلك لا معنى للقيادة الحزبية في مجال الادب والفن ، وهو وفقا لتعبير غوركي الصائب " قوة مؤثرة اخلاقيـــــا ".

ايها الرفاق ، ان الشيوعيين العاملين في الاتحادات الابداعيةهم النواة السياسية وقوة التراص فيها وهم مدعوون لترسيخ روح الحزبية في الوسط الادبي بشكل ثابت ، وللتاثير بنشاط على الاتجاه الفكرى للابداع ،وللمساعدة على تكوين العقيدة الماركسية اللينينية عند رجالات الادب والفن"وعلى تنشئة المبدعين الشباب . ومما يتصف باهمية خاصة هـــو تعزيزاجواء الصرامة والحزم العاليين بين الادباء بعضهم البعض وهذا من شأنه فقط ان يكون لصالح الادباء انفسهم ولصالح الفن عامـــــــة .

ان الادب السوفييتي يشمخ اليوم كسبيكة عضوية من القيم الروحية التي تخلقها امم وقوميات بلادنا كافة. ولذا فانه من المفهوم تماما طموح الكاتب والفنان ، الموسيقى والمهندس المعمارى للاعتماد على تقاليد شعبه الثقافيةالتي تمتد عبر القرون" ولأن يعكس بعمق وسطوع اكثر حياة جمهوريتـــــــــه .

ومع هذا فان الممارسة الادبية تقدم الدليل المقنع على انه كلما كانت الثقافة القومية وثيقة الارتباط بغيرها وكلما تشربت خصائص التجربة الروحية والغنية للشعوب الشقيقة والتي اكتسبت معنى امميا كلما تطورت بصورة اسرع واكثر ايناعا ، وكلما كان قسطها اكبر في اغناء الحياة الروحية للشعب السوفييتي كله ، ولمجتمعنا باســـــــره .

ايها الرفاق الاعزاء ، قبل ان اختتم هذه الكلمة اود ان ابلغكم نبأ لا شك انه سيبعث السرور لديكم جميعا ، وهو هيئة رئاسة السوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتي قد قـــررت بمناسبة مرور خمسين عاما على تأسيس اتحاد الكتاب في الاتحاد السوفييتي ونظرالمآثـــر الكتاب السوفييت في تطوير الادب السوفييتي ولقسطهم الكبير في البناء الشيوعي منح اتحاد الكتاب في الاتحاد السوفييتي وسام الصداقة بين الشعـــــوب .

والان اسمحوا لي ان اتمنى لكم جميعا الصحة الطيبة والنجاحات الابداعية وان اقلد اتحاد الكتاب هذا الوسام الرفيع الذى يستحقه بجـــــــدارة .

عن انباء مـوسـكو

Digitized by Birzeit University Library

في الثلاثين من تشرين الثاني تصادف الذكرى السابعة عشرة لاستقلال جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ،ان النجاح العظيم الذى حققته الثورة اليمنية بقيادة حزب الطبقة العاملة الاشتراكي اليمني ، يجب ان يستوقف كل المخلصين لقضية الطبقة العاملة والمناضلين من اجل دكتاتورية البروليتاريا وانتصار الانسان ، ان الثورة اليمنية تمودج خلاق يستدعي الوقوف عنده واستخلاص العبر العظيمة في مسيرة كل المناضلين الوطنيين التقدميين وها نحن نقدم لقرائنا الجزء الثاني من دراسة الدكتور سمير عبدالله التي تعتبر اسهاما في هذا الاتجاه .

الحلقة الثانية

التركة الاستعمارية ، والاجراءات الثورية لتصفيتها

البنية الاقتصادية الاجتماعية عند الاستقلال

ورثت السلطة الثورية في (اليمن الديمقراطي) تركة هائلة من التخلف الاقتصادى ، والتفكك الاجتماعي ، والتفكك الادارى ، والتشويه الذى ولدته السيطرة الاستعمارية.فقد كانت البلاد ، ذات ١٫٥ مليون نسمة ، مجزأة الى اكثر من ٢٠ وحدة منفصلة عن بعضها ويرئس كل منها سلطان او امير من حازوا على رضى الادارة الاستعمارية. بث المستعمرون الصراعات القبلية والطائفية بينها ، وظلوا يقومون بدور الوسيط لحل هذه المنازعات.بعد تغيّر تكتيك الادارة الاستعمارية في

Digitized by Birzeit University Library

الخمسينات ، وسعيها لتوحيد الامارات والسلطنات ، لم تسع لازالة التفكك ، وانما حاولت اعطاءه صفة الشرعية والديمومـــــة .

من ابرز معالم التشويه الكولونيالي في البلاد بالاضافة الى شق البلاد الى نصفين يمن شمالي ويمن جنوبي ، فقد عمقوا التمايز بين محمية عدن والمناطق الداخلية للشطر الجنوبي . منطقة عدن المتطورة نسبيا ، التي كان منوطا بها القيام بدور استراتيجي عسكري ، ومعبر للتجارة العالمية ، ومنطقة المحميـات الداخلية التي كانت تغط في سبات القرون الوسطى ، من حيث شكل السلطة ونمط الانتاج والتخلـف الاجتماعـــــي .

ان الاحصاءات القليلة المتوفرة تؤكد واقع التخلف الشديد والتشويه الذى خلفته الادارة الاستعمارية . فقد كان الانتاج المحلي الاجمالي عام ١٩٦٥ لا يتعدى ٦ر٨١ مليون جنيه استرليني . تساهم الزراعة والصناعة بـ ٥ر١٦ ٪ منها وقطاع الخدمات ٥ر٨٣ ٪ . واهم الخدمات كانت تتركز في الميناء وما يرتبط به من خدمات تجارية ومالية كانت غالبيتها الساحقة للرأسمال الاجنبي . اما الزراعة وحدها التي كان يرتبط بها ثلثا السكان فقد كانت مساهمتها ٦ر٨ ٪ ، وكان مجموع ما يزرع من الارض لا يتعدى ٢٠٠ ــ ٢٢٠ الف فدان سنويا من ٥ر١ ــ ٣ر٢ مليون فدان قابلة للزراعة . اما مساهمة الصناعة البالغة ٩ر٧ ٪ من الانتاج المحلي الاجمالي فقد كان ٥٥ ٪ منها من انتاج مصفاة البترول التي أنشأتها الادارة الاستعمارية عام ١٩٥٣ لسد احتياجات قاعدتها العسكرية ، على اثر تأميم حكومة مصدق في ايران للنفط . اما بقية الصناعات فقد نشأت ابان الحرب العالمية الثانية لانتاج بعض السلع الاستهلاكيـة البسيطـــــة . (٨)

كان النشاط الاقتصادى يتركز في قطاع التجارة والمال في عدن ، وكانت تسيطر عليه المو سسات الاجنبية وخاصة البريطانية . وجذبت هذه النشاطات كبار التجار المحليين الذيـن اصبحوا شركاء صغار لرأس المال الاجنبي وكانت وظيفتهم تسويق البضائع المستوردة في المناطـق الداخليـــــة

ان النتيجة التي يمكن استخلاصها ، انه بالاضافة للتخلف الشديد في المناطق الداخلية ، فانهم ربطوا عدن بالسوق الخارجي . وحولوها الى مركز تجارى لأرباب التجارة البريطانيين والاجانب ، الذين كانوا يستغلون العمل الرخيص ، ويحولون كل ارباحهم للخارج ، دون ان تنتفع البلاد من الموارد التي يقدمها الميناء والمو سسات القائمة فيه . وكانت الادارة الاستعمارية تعيد جزءا من هذه الموارد ، وتقدمها على شكل رشوة للامراء والسلاطين لكسب ولائهم وخدماتهم ، كتشكيل الفرق المسلحة لمكافحة الحركة الوطنية التحررية ، اذ كان ٨٠ ٪ من (المساعدة البريطانية) المقدمة لموازنة اتحاد الجنوب العربي يرصد لاغراض الدفاع عن الوجود البريطاني وركائزه المحليـة .

ولو انتقلنا من الواقع الاقتصادى الى الواقع الاجتماعي في البلاد عشية الاستقلال ، فان التخلف الشديد والفقر والاوبئة والامية هي السمات المميزة للمجتمع اليمني الجنوبي . وكانت توجد في البنية الاجتماعية مختلف الانماط التي عرفها المجتمع الشرقي . وظلت العلاقات القبلية

Digitized by Birzeit University Library

والطائفية على درجة كبيرة من الرسوخ، مع بعض الاختلافات من ولاية الى اخرى وبين عدن وبقية المناطق . فعلى الرغم من انه لم يجر تحرير عدن من العلاقات القبلية والطائفية بشكل نهائي الا أنه برزت بنية طبقية جديدة نسبيا ومختلفة عن مجتمع الداخـــل .

ان بقاء العلاقات القبلية والطائفية يطمس الى حد كبير البنية الطبقية والحس الطبقي في اى مجتمع ، الا انه لا يلغي وجود الطبقات الاجتماعية المتمايزة ذات المواقع المحددة من الانتـــاج . وسنحاول تلخيص البنية الطبقية في عدن وفي الارياف كل على انفراد بسبب الاختلاف الكبير بين المنطقتيـــــن .

أ ـ التركيب الطبقي في عـــــدن :

وجد في عدن نشاط اقتصادى مختلف نوعيا ، ليس عن الريف وحسب بل وعن بقية المدن التي ظلت اوضاعها مشابهة للريف من نواح عديدة . وما يميز التركيب الطبقي في عدن سيطرة الرأسماليين الاجانب على النشاط الاقتصادى . وظهرت على هامش النشاط الاقتصادى برجوازية كومبرادورية محلية تركز نشاطها في القطاع التجارى والعقارى . وهي طبقة محدودة العدد الا انها كانت ذات تأثير سياسي بحكم دورها الاقتصادى وارتباط مصالحها بمصالح الادارة الاستعماريـــة .

كان يرتفع بشكل تدريجي عدد العمال المأجورين في عدن . وكانت غالبيتهم الساحقة تعمل في قطاع الخدمات والتجارة والميناء والقاعدة البريطانية . اما النواة الحقيقية للبروليتاريا فكانت تعمل في مصفاة البترول وعددها كان في حدود ٢٠٠٠ عامل . وفي الخمسينات برزت الحركة العمالية المنظمة في نقابات اتحد عدد منها في " الاتحاد النقابي " ، الذى شكل اول اطار وطني ومركز القيادة الكفاح الوطني التحررى ، وولدت في رحمه معظم الاحزاب والقوى السياسية التي شاركت فـي حـرب التحريـــــر .

كما برزت البر جوازية الصغيرة من الموظفين والطلبة واصحاب الحوانيت الصغيرة والحرفيين والمهنيين . ولعبت العناصر الطليعية منها ـ المثقفون الثوريون ـ دورا حاسما في تشكيل التنظيمات السياسية وفي قيادة الكفاح الوطني المسلـح ضد البريطانيين .

ب ـ التركيب الطبقـي في الريـــــف :

كان يوجد على قمة الهرم الطبقي الاقطاعيون واشباه الاقطاعيين المتمثلين في السلاطين والامراء الذين استولوا على افضل الاراضي التي كانت تعود للقبيلة . والدليل على وجود هذه الطبقة انه بعد قيام الجمهورية عام ١٩٦٧ ان ، ورد في احد التقارير (٩) ان الاراضي المصادرة من السلاطين والامراء بلغت ٣٥٫٨ الف فدان ، اى ٢٠ ٪ من الارض المزروعة . وان اراضي الدولة ، التي كانت عملياتحت سيطرة الاقطاعيين بلغت حوالي ٢٤ الف فدان . وبالتالي يصل مجموع ما سيطر عليه الاقطاعيون ٣٣ ٪ من الاراضي المزروعة . وفي المسوح الاحصائية عن الملكية الزراعية في بعض المناطق تبين ان ١٢ من اشباه الاقطاعيين يملكون اكثر من ٢٣ الف فدان اى

Digitized by Birzeit University Library

١٢٪ من المساحة المزروعة في كل البـــــلاد .

اما الفلاحون فكانوا ينقسمون الى ثلاث شرائح :

الاولى : وتتألف من الملاك الصغار الذين يعملون في استثماراتهم الخاصة ومعظمهم يعمل لسد احتياجاته الخاصة في اقتصاد شبه طبيعي والاقلية ارتبطت بالسوق . وهذه الشريحة مقصورة على ابناء القبائـــــل .

الثانية : وتضم الفلاحين الذين ليس لهم نسب قبلي ويسمون (الرعية) . وهم يستأجرون الارض من الاقطاعيين مقابل حصة من المحصـــول .

الثالثة : وتتألف من العبيد المعتوقين ، وهم اقلية لا تتمتع باية حقوق وظلوا يخدمون في بلاط السلاطين والامراء وعملت الادارة الاستعمارية على تجنيدهم في اجهزتها القمعيـــة .

كان الفلاحون الفقراء والطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة القوى المحركة للثورة الوطنية التحررية اذ استطاعت الجبهة القومية من ربط كفاحهم بشكل وثيق وقيادتهم في حرب التحرير التي اجبرت الاستعماريين على الرحيل . اذ استطاعت ربط الكفاح الوطني التحرري بالكفاح ضد ركائزه الاجتماعية المحلية التي تألفت من الاقطاعيين والكومبـــرادور .

السياســة الاقتصاديــة للسلطــة الثوريـــة

لم تكن المواقف تجاه حل قضايا التخلف والتبعية الاقتصادية واحدة داخل السلطة الحاكمة في السنتين الاوليتين بعد الاستقلال . وكان طابع الاجراءات الحكومية غامضا ، عبر عن موازين القوى في السلطة . وعمليا لم يجر خلال هاتين السنتين الا اجراءات قليلة ، كمصادرة املاك وأراضي السلاطين والامراء الذين فروا من البلاد مع اسيادهم البريطانيين ، والغاء العبودية وزيادة دور الدولة في مراقبة انتاج القطن وتصديره . كما تم اقامة غرفة التجارة لتنظيم مشاركة البرجوازية وتنشيطها ، واصدار قانون يؤكد ملكية الدولة للثروات الطبيعية في باطن الارض والاراضي غير المستصلحة . وتم اصدار قانون الاصلاح الزراعي الاول الذي احتوى على نواقص كبيرة وكان اعجز من ان يحل المسألة الزراعيـــــة .

وبعد الحركة التصحيحية في حزيران ١٩٦٩ ، بدأت التحولات تأخذ طابعا آخر ، ذات توجه ومحتوى طبقي واضح لمصلحة الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء وسائر الكادحين . وتميزت السياسة الاقتصادية بعداء واضح وصريح لرأس المال الاجنبي وللعلاقات الاقطاعية وللنظام الرأسمالي . وحددت اهداف السياسة الاقتصادية ، انها تهدف تحويل اقتصاد البلاد من اقتصاد خدمات الى اقتصاد انتاجي متحرر من التبعية للسوق الرأسمالي العالمي ، قائم على اساس اشكال جديدة من تنظيم الانتاج متلائمة واختيار البلاد طريق التوجه الاشتراكي . وقامت السلطة بتنفيذ سلسلة من التحولات الضرورية كمقدمات لازالة العوائق التي تعرقل تنفيذ سياستها الاقتصادية . واهم هذه التحـــــولات :

١) تقويض السيطرة الاحتكارية الاجنبية على الاقتصاد . اذ اصدرت في ١٩٦٩/١١/٢٧ قرارا

Digitized by Birzeit University Library

بتأميم جميع البنوك وشركات التأمين الاجنبية والمحلية وفروعها وامم كافة الشركات التجارية وخاصة في ميناء عدن اما مصفاة البترول فقد تم الاتفاق مع [illegible] نقل ملكيتها في عام ١٩٧٧ للدولةاليمنية . وبلغ عدد المؤسسات الاجنبية المؤممة ٣٦ شركة ومصرف ، شكلت الاساس الذى نشأ منه القطاع العام .

٢) اصدار قانون جديد للاصلاح الزراعي في ١٩٧٠/١١/٨ ،تضمن حلا جذريا لقضية الارض والقضية الفلاحية . وتضمن اصرارا على ارساء علاقات انتاجية جديدة في الزراعة قائمة على اساس العمل الجماعي في مزارع الدولة والعمل التعاوني .

٣) وضعت الدولة اساسا جديدا لتنظيم نشاط القطاع الخاص فيما سمي" قانون تنظيم الصناعة" الصادر في آب ١٩٧١ الذى وضع القطاع الخاص تحت رقابة الدولة .

٤) قامت الدولة بسلسلة من الاجراءات للقضاء على المضاربة العقارية والتجارية ، اذ اممت كافة المساكن المؤجرة ونظمت قضايا بيع العقارات والاراضي .

٥) شروع الدولة بتخطيط التنمية الاقتصادية ، اذ جرى تأسيس المؤسسة الاقتصادية للقطاع العام والتخطيط وتأمين قضايا التموين الرئيسية .

لقد شكلت هذه الاجراءات الاطار القانوني الضرورى لتحرير قوى الانتاج وتجميع مصادر التراكم والموارد في يد الدولة من اجل التنمية المخططة والسريعة لاقتصاديات البلاد ، ولعل اهم ما ميز هذه التحولات ،وهذا ما سنلمسه عند تناولها بالتفصيل انها اقترنت بالمشاركة الجماهيرية الواسعة للقوى المحركة الرئيسية للثورة الوطنية الديمقراطية . مما جعل التحولات الثورية في بنية علاقات الانتاج،وفي اعادة تنظيم الاقتصاد ،تقترن بتأهيل القاعدة الاجتماعية ذات المصلحة في هذه التحولات ، تأهيلا سياسيا وتنظيميا يمكنها من الدفاع عن هذه التحولات واستمرارها . وهذا الامر الجوهرى الذى ميز اليمن الديمقراطي عن البلدان العربية الاخرى التي جرت فيها تحولات مماثلة وعميقة،حين كانت هذه التحولات تتم بمعزل عن الجماهير وتنفذ بواسطة الاجهزة البيروقراطية الموروثة التي في غالبيتها كانت معزولةعن الجماهير ومعادية لها في اغلب الاحيان .

ولقد لخص برنامج الحزب الاشتراكي اليمني (١٠) اهداف سياسة الحزب الاقتصادية" في تأمين وتحقيق المصالح والاحتياجات الحيوية للطبقة العاملة والفلاحين والصيادين وسائر الجماهير الكادحة من خلال الاستفادة المثلى من جميع الموارد الداخلية والخارجية للبلاد ، وبناء الاقتصاد الانتاجي الحديث بما يتناسب مع الامكانيات الموضوعية المتوفرة... وينطلق الحزب الاشتراكي اليمني في سياسته الاقتصادية من ضرورة تعزيز القاعدة المادية التكنيكية للاقتصاد الوطني وتأمين التقدم الثابت المنهاجي في هذا المجال" . ولخص ركائز السياسة الاقتصادية بـ :

١) "تأمين التطور الثابت المبرمج لقطاع الدولة والقطاع التعاوني ورفع دورهما وفعاليتهما باستمرار. وسيادة الدور القيادى لقطاع الدولة" .

٢) "الاستفادة من امكانيات وقدرات القطاع المختلط والقطاع الخاص ضمن خطط التنمية في ظل رقابة حكومية وجماهيرية صارمة" .

Digitized by Birzeit University Library

٣) "رفع انتاجية العمل في المرافق الصناعية التابعة لقطاع الدولة ومزارعها وكافة مرافق الاقتصاد الوطنـــي ."

٤) "رفع مستوى الحرص على ملكية الدولة والملكية التعاونية وحماية الثروة الاجتماعية وزيادتها لدى العمال والفلاحين والموظفين وجميع الكادحين والشغيلة في المدينة والريف".

٥) " تعزيز الانضباط الواعي تجاه العمل وتطوير مباريات ومبادرات الكادحين ونشاطهم الخلاق".

٦) " الاستخدام الصحيح للحوافز المادية والمعنوية ومراعاة حجم العمل ونوعيتـــه ".

٧) " الاستفادة القصوى من كل طاقات القوى البشرية الموجودة والتوزيع الصحيح للقوى العاملة ورفع مستوى المهارة المهنية والفنية للكادحيـــن ".

٨) " المركزية الديمقراطية هي مبدأ ادارة الاقتصـــــاد"

٩) " قطاع الدولة والقطاع التعاوني والقطاع المختلط بكافة اطرها ... تمارس نشاطها على اساس خطة الدولة الموحدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعيـــة ".

١٠) " الشرط الضروري لتحسين نظام التخطيط يكمن في توسيع الديمقراطية في المؤسسات والمرافق الانتاجية والعمل على اشراك الجماهير في التخطيط الشامل لتطوير البـــلاد ".

حل المسألة الزراعية ونشوء الحركة التعاونية ومزارع الدولة في القطاع الزراعي والاسماك .

كان حل المسألة الزراعية اكبر امتحان للسلطة الجديدة. حيث ان ثلثي السكان يرتبطون بها ارتباطا مباشرا. وغالبيتهم الساحقة عانت من واقع الاستغلال والتخلف الاجتماعي والفقر الشديد. كما ان فقراء الريف كانوا القاعدة العريضة التي تكونت منها فصائل الكفاح المسلح وقدمت تضحيات جسيمة من اجل الاستقلال، الذي رأت فيه مقدمة ضرورية لتحررها الكامل . كما كان يتوقف على حل المسألة الزراعية مصير التحالف بين كادحي المدن وكادحي الريف وبداية تقلص وضمور العلاقات القبلية والطائفية المتخلفة ، التي حملت لجماهير الفلاحين الفقراء ذكريات اليمة من وطأة الحروب والنزاعات القبلية التي كانت تثيرها الادارة الاستعماريـــة .

الاصـــلاح الزراعـــــي :

كانت الخطوة الاولى لحل المسألة الزراعية هي اصدار قانون الاصلاح الزراعي (١١) في ١٩٧٠/١١/٨ الذي نـص علـــى :

١) مصادرة اراضي وممتلكات السلاطين والامراء وعملاء ووزراء العهد البائد فورا وبدون تعويض.

٢) مصادرة كافة الاراضي والممتلكات التي منحت بين ١٤ /١٠/١٩٦٣ و ١٩٦٨/٣/٢٥ كهبات ومنح الى اى شخص من قبل الامراء والسلاطين وحكام العهد البائد وعائلاتهـــم .

٣) تصادر اراضي واملاك الاوقاف فورا وبدون تعويض واعطاء حق الاولوية للانتفاع بها للعاملين فيها.

Digitized by Birzeit University Library

٤) تصادر الاراضي التي تم الاستيلاء عليها بقوة النفوذ وبدون اثبات شراء بدون تعويض، واعطاء حق الانتفاع للعاملين فيهـــا .

٥) حق الدولة بتعمير واستصلاح وتنظيم استغلال الاراضي الزراعية المهجورة التي لم تزرع لخمس سنوات قبل صدور القانـــون .

٦) تعتبر جميع الاراضي ملكا للدولة ويجرى تنظيم استغلالها وفق خطة التنميـــة .

٧) تحديد الحد الاعلى للملكية بعشرين فدان للفرد واربعين فدان للاسرة في الاراضي المروية، واربعين فدان للفرد وثمانين للاسرة في الاراضي غيرالمرويـــة .

٨) تستولي الدولة على الفوائض من الارض خلال ثلاث سنوات ويعتبر الاستيلاء قائم من صدور القانـــون .

٩) منح المؤسسات العامة والتعاونيات حق استثمار ما يزيد عن الحد الاعلى من الملكية لاغراض التصنيـــع الزراعـــي

١٠) تعويض الفلاحين المستولى على اراضيهم فوق الحد الاعلى بسندات حكومية قابلة للتداول وتستحق بعد مرور خمس سنوات ولمدة ٢٥ سنـــة .

١١) تجميع الاراضي المصادرة في كل مديرية وازالة العوائق التي تحول دون هذا التجميـــع .

١٢) تنظيم الانتاج في الاراضي المصادرة باقامة مزارع الدولة ومزارع تعاونية انتاجية للعمال الزراعيين والفلاحين الفقراء والمهاجرين من المدينة للريف وللبدو الرحـــل .

١٣) تأميم مصادر المياه ومجاريها الاساسية ومنشآت الرى المقامة عليهـــا .

١٤) لا يجوز نقل ملكية الاراضي المستولى عليهاالا بموافقة الدولـــة .

ان الجديد والجوهرى في قانون الاصلاح الزراعي هذا . وما يميزه نوعيا عن كافة الاصلاحات الزراعية في البلدان العربية الاخـــرى :

اولا . انه لم يفتت الملكية الزراعية كما حصل في البلدان العربية الاخرى التي اجرت اصلاحات زراعية، وهذا يعتبر مقدمة ضرورية لتنظيم العمل الجماعي الواسع ولاستخدام التكنولوجيـــا الحديثـــة .

ثانيا . ان القانون قضى نهائيا على القاعدة الاقتصادية للطبقات المستغلة في الريف من اشباه الاقطاع واغنياء الفلاحين، مما حال دون توسع العلاقات الرأسمالية في الريف .

ثالثا : ان القانون لم يكتف بهدم العلاقات الاقطاعيةالسائدة، بل قدم البديل لها ـ مزارع الدولة والمزارع التعاونيـــة .

هذا في مجال الاطار القانوني لحل المسألة الزراعية، والاهم من ذلك ان عملية تطبيق الاصلاح اقترنت بعملية اشراك الفلاحين الفقراء في تنفيذ هذا القانون بشكل مباشر، حيث جرى تشكيل لجان الفلاحين ولجان التثقيف والتحريض ولجان مسح الاراضي قبل اصدار القانون. كما جرى اعداد منظم لانتفاضات الفلاحين،التي شرعت بعد صدور القانون بانتزاع اراضي الاقطاعيين وكبار الملاك والقضاء على القوى التي كانت تستغلهم لقرون طويلة . لقد الهبت هذه العملية

Digitized by Birzeit University Library

حماس الفلاحين والفقراء وعززت ثقتهم بانفسهم كقوة اجتماعية مؤثرة ، يمكنها الدفاع عن مكاسبها في حالة تعرض هذه المكاسب للخطر .

ان (ج.ى.د.ش) تنفرد في عملية تطبيق الاصلاح الزراعي هذه عن بقية البلدان العربية، التي اصدرت اصلاحات زراعية، واولت جهاز الدولة البيروقراطي امر تطبيق الاصلاح بشكل فوقي وبمعزل كامل عن جماهير الفلاحين.ان هذه الانظمة كانت تخشى من تفجير طاقات الفلاحين الثورية واشراكهم في التحولات الديمقراطية ،ولعل ما حصل في الجزائر يوضح هذه المسألة. فحين بدأت جماهير العمال والفلاحين الفقراء الاستيلاء على مزارع المستوطنين الاجانب المهجورة وتشكل لجان التسيير الذاتي فيها بمبادرتها الخاصة، ارتبكت القيادة البرجوازية الصغيرة بين دعم المبادرة وبين الوقوف ضدها ، ووصلت الى حل وسط يدعم المبادرة ولكنه اصدر المراسيم المقيدة لتطورها مما أدى الى تراجع التسيير الذاتي وانتكاسته .

عملية تحويل علاقات الانتاج في الزراعة :

أ ـ نشوء وتطور القطاع العام في الزراعة : اعطت الدولة اهتماما كبيرالاقامةمزارع حكومية انتاجية، واقامة محطات تأجير للالات الزراعية ومؤسسات اخرى. فحتى عام ١٩٨٠ بلغ عدد هذه المزارع ٥٩ مزرعة تمتلك ١٥ ـ ٢٠ ٪ من اجمالي المساحة المزروعة فعلا . وهي تتركز في الاراضي المروية بشكل رئيسي (٩٠ ٪ تقريبا) ولانتاج المواد الرئيسية للاستهلاك . وقد بذلت جهود كبيرة لادخال المكننة لهذه المزارع واستخدام اساليب تكنولوجية متطورة. اما عدد المشتغلين فيها فقد بلغ ١٥ر٥ الف عامل عام ١٩٨٠، اى ما يعادل ١٨ ٪ من قوة العمل الزراعية.(١٢) اما مساهمتها في الانتاج الزراعي فقد ارتفعت من ٨ر٤ ٪ عام ١٩٧٣ الى ١١ر٢ ٪ في عام ١٩٨٢ (١٣) .

اما في قطاع الاسماك فقد تم انشاء ثلاث مؤسسات عامة تم تجهيزها بالوسائل التكنولوجية الحديثة واصبحت تنتج ٢٥ر٧ ٪من اجمالي انتاجالاسماك عام ١٩٨٠ (١٤). وتنص الخطة الخمسيةعام ٨٠ ـ ١٩٨٥ على زيادة مساهمة القطاع العام فيه الى ٤٩ر٦ ٪ . اما عدد العاملين في هذا القطاع فقد بلغ ٣٥٠ عامل اى ٣٩ر٧ ٪ من اجمالي العاملين في عام ١٩٨٠ ،وتنص الخطة الاخيرة ٨٠ ـ ١٩٨٥ الى رفعها الى ٤٣ر٦ ٪ (١٥).

ب ـ نشوء وتطورالحركةالتعاونيةفي الزراعة :ظهرت ثلاث انواع من التعاونيات الزراعيةفي (ج.ى.د.ش)

الاول : تعاونيات انتاجية، يحصل الاعضاء فيها على اجور مقابل عملهم في المزرعة، وحصة من الارباح المحققة ويوجد منها تعاونية واحدة فقط .

الثاني : تعاونيات خدماتية، يقوم كل عضو بزراعة ارضه الخاصة، وتقوم التعاونية بتزويده بالمستلزمات والخدمات الضرورة للانتاج والتسويق .وبلغ عددهافي عام ١٩٨٠ (٣٧) تعاونية.

Digitized by Birzeit University Library

الثالث : تعاونيات انتاجية خدماتية ،حيث ينظم عدد من المزارعين في وحدات انتاجية متوسطة بواقع ٥ ــ ٦ اعضاء في الوحدة، فيقومون باستثمار جماعي للارض ويتقاسمون التكاليف والايرادات. يحصل كل عضو ايضا على نصيب مقابل مساحة الارض التي قدمها كاسهم ،باعتبار كل فدان يساوى سهم واحد. وتقدم التعاونية مستلزمات الانتاج والتوزيع .وعددها عام ١٩٨٠ وصل الى ٢١ تعاونيـــــــة (١٦).

والخدمات التي تقدمها التعاونيات لاعضائها هي البذور والاسمدة والمبيدات والادوات بقروض طويلة الاجل ،كما توفرت خدمات الالات والماكنات الزراعية بواسطة محطات تأجير الالات ، وتوفر قروض قصيرة الاجل نقدية وعينية وخدمات نقل وتخزين وتسويق الانتـــاج .

تدار التعاونية من قبل مجلس ادارة منتخب من قبل الاعضاء وهذا بدوره يعين مديرللتعاونية الذى يعتبـر عضـوا فيـــا .

اما في قطاع الاسماك ،فقد اعطت الدولة اهمية كبرى لتجميع الصيادين المستقلين في تعاونيات لصيد الاسماك ،وصل عددها في عام ١٩٨٠ الى ١٤ تعاونية تضم ٣٤٤٥ عضو،اى مـا يعادل ٣٩ر٦ ٪ من مجمل العاملين في هذا الفـــرع .

كما ظهر في قطاع الاسماك عدد من المؤسسات المختلطة التي تساهم الدولة فيها بـ ٥١ ٪ من رأس المال . وأهمها تم بمشاركة مو سسات سوفييتيـــــة .

التطورات في علاقات الانتاج في فروع الاقتصاد غير الزراعيـــة

١ ــ نشو وتطـور القطـــاع العـــام .

أدركت القيادة الثورية منذ الاستقلال ، ان الانتقال بالثورة الوطنية الديمقراطية نحو الاشتراكية يتطلب بالاضافة الى الفوز بالسلطة السياسية بناء الاساس الاقتصادى لهذا التوجه. بحيث تستطيع السلطة من خلاله تحقيق التنمية المخططة لمصلحة الطبقة العاملة وسائر الكادحين . والاساس الاقتصادى لدولة التوجه الاشتراكي هو القطاع العام المسيطر على فروع الانتاج والتوزيع الرئيسية وعلى مصادر تراكم رأس المـــــال .

شكلت المؤسسات الاجنبية والمحلية المؤممة في فروع النشاط الاقتصادى غير الزراعية نواة القطاع العام ،التي اتاحت للدولة السيطرة على مصادر التراكم وادواته بالاضافة للسيطرة على وسائل الانتاج الرئيسية المتوفرة. ووفر هذا للدولة امكانية تخطيط التنمية الاقتصادية الاجتماعيـــة التي ركزت على تطوير القطاع العام ، وجعلت منه القطاع الاقتصادى القائدوالمحرك لعملية التنمية .

ارتفعت مساهمة القطاع العام في الانتاج الاجتماعي من ٦ر٢٤ ٪ عام ١٩٧٣ الى ٨ر٤٢ ٪ عام ١٩٨٢. ووفق خطة التنمية الخماسية الثانية المعدلة للفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٨٥ ستصل هذه المساهمة

Digitized by Birzeit University Library

الى ٤٩ ٪عام ١٩٨٥ ،في الانتاج الصناعي ارتفعت مساهمة القطاع العام من ٢١ ٪عام ١٩٧٣ الى ٦٤٫٢ ٪عام ١٩٨٢ (١٧) .

وفي عام ١٩٨٠ اصبح القطاع العام ينتج ٥٥٫٢ ٪من قيمة الصناعة التحويلية ويوظف ٢٦٫٦ ٪ من قوة العمل فيه . وبسهم بـ ٧٦٫٧ ٪ من انتاج الطاقة الكهربائية و ٧٨٫٦ ٪ من انتاج المياه . وفي فرع البناء والتشييد ارتفعت قيمة اعماله الى ٤٤٫٨ ٪ من قيمة اعمال الفرع الاجمالية واصبح يوظف ٢٩٫٨ ٪ من عدد العاملين فيه) واصبح القطاع العام يوظف ٣١٫٠ ٪من عدد العاملين في قطاع النقل والمواصلات، ويوزع ٢٧٫٤ ٪ من قيمة التجارة الداخلية ويسيطر على ٨٨٫٨ ٪ من التجارة الخارجيـــــة .

ان بلوغ القطاع العام هذا المستوىمن التطور يعتبر انجازا كبيرا حققه اليمن الديمقراطي، اذا ما قورن بالقاعدة المادية الهشة للاقتصاد التي بدأ منها ،بالاضافة الى قصر الفترة الزمنية لتطوره؛التي لم تخلو من حالات التوتر وعدم الاستقرار الناجم عن التآمر الامبريالي والرجعي العربـــــي

٢ ـ الحركة التعاونيـة خـارج الزراعـــــة :

قامت الدولة بتحفيز المنتجين الصغار والحرفيين لاقامة جمعيات تعاونية انتاجية من اجل تركيز الانتاج وقوة العمل ، وفتح امكانيات التطور التكنولوجي والاجتماعي لهذه الجمعيات واعضائها. وبدأت تتشكل فعلا منذ عام ١٩٧٢ جمعيات للخياطة والنسيج ومعالجة الجلود وغيرها ، وحتى عام ١٩٨٠ بلغ عددها ٧ . وعدد المنتسبين لها لا يزيد عن ١٠٠٠ شخص ،وقيمة انتاجها لا تزيد عن ١ ٪من الانتاج الصناعي انخفضت الى ٠٫٦١ ٪عام ١٩٨٢ .

والمجال الاخر الذى انتشرت فيه التعاونيات ،هو التجارة الداخلية التي وصل عددها عام ١٩٨٠ الى ٣٤ تعاونية استهلاكية ، وهي تقوم بتوزيع منتجات القطاع العام بوجه خاص. واصبحت توزع ١٤٫٩ ٪من قيمة السلع المتداولة في عام ١٩٨٠ ارتفعت الى ١٥ ٪عام ١٩٨٢ .

من الملاحظ ان الحركة التعاونية في الفروع غير الزراعية ما زالت ذات وزن متواضع ، سواء من حيث عددها وعدد المنتسبين لها،أو من حيث مساهمتها في الانتاج والتوزيع . هذا على الرغم من ان شريحة واسعة نسبيا من المنتجين المستقلين في الحرف والمشاغل الصغيرة والنقل والتجارة والبنا ذات مصلحة حقيقية في تركيز الانتاج والعمل التعاوني . وهذه الشريحة تعتبر حليفا مهما للطبقة العاملة في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ،مما يفترض ان تقوم الطليعة السياسية ببذل جهود جادة اكبر لتحفيز هذه الشريحة للانتقال الى اشكال العمل التعاوني .وهذا سيكون له ، اذا ما تحقق . آثارا كبيرة على تحريرها من الاوهام البرجوازية الصغيرة وتقريبها اكثر واكثر من الطبقة العاملة. بالاضافة الى تطوير قوى الانتاج والانتاج عموما . الى جانب ان هذه الخطوة ضرورية لقطع الطريق على تبلور طبقة برجوازية مؤثرة قد تشكل مخاطر على تطور الثورة الوطنية الديمقراطية. وقد جا في برنامج الحزب الاشتراكي اليمني ان المهمة الرئيسية تجاه المنتجين المستقلين هي

Digitized by Birzeit University Library

توحيدهم " في اطار التعاونيات الانتاجية ... عن طريق اقناع الحرفيين والملاك الصغار على اساس طوعي ، واظهار افضلية الاشكال الجماعية للعمل والانتاج ونفعها وفعاليتهـــا ". (١٨)

٣ ـ القطـــاع المختلـــــط

قامت الدولة بهدف استقطاب رأس المال الخاص المحلي والاجنبي ، باقامة ما يسمى بالقطاع المختلط الذي تشارك فيه الدولة بنسبة ٥١ ٪ من الاسهم . ونجحت الدولة حتى عام ١٩٨٠ باقامة ٨ مؤسسات مختلطة برأس مال ثابت مقداره (٧ر٥) مليون دولار ، ويعمل فيها ٩٦٧ عامل اي ٢ر٢٪ من قوة العمل في الصناعة التحويلية (١٩) . وجميع هذه المؤسسات انشأت بمشاركة رأس المال الخاص المحلي ، اذ ان رأس المال الاجنبي لاسباب سياسية واقتصادية بحجم عن الاستثمار في اليمن الديمقراطي تحت رقابة الدولة ومشاركتها . وكنا قد اشرنا الى مشاركة الاتحاد السوفييتي في اقامة بعض المؤسسات المختلطة في قطـــاع الاســـمـــاك .

وارتفعت مساهمة القطاع المختلط في الانتاج الاجتماعي من ٢٪ على ١٩٧٣ الى ٤ر٣ ٪ عام ١٩٧٩ . وفي عام ١٩٨٢ انخفض مساهمة الى ٣ر٠ ٪ (٢٠) ووفق الخطة الخمسية الثانية المعدلة من المخطط ان تصل هذه النسبة الى ٢ر٤ ٪ عام ١٩٨٥ . اما مساهمة القطاع المختلط في الانتاج الصناعي فقد ارتفع من ٥ر٧ ٪ عام ١٩٧٣ الى ١١ر٨ ٪ عام ١٩٨٢ (٢١) .

٤ ـ تطـــور القطـــاع الخـــاص :

ان التوجه الاجتماعي للنظام الثوري في اليمن الديمقراطي يتناقض مع سياسة الاعتماد على القطاع الخاص في التنمية الاقتصادية الاجتماعية . وقد بادرت السلطة الى توجيه ضربة قوية للقطاع الخاص بتأميم المؤسسات التجارية الكبرى والمالية والعقارية ، التي كان يتركز فيها رأس المال الخاص الاجنبي والمحلي ، ذو الطابع الكومبرادوري القائم على اساس الوساطة بين السوق المحلي والسوق الرأسمالي العالمي . اما في الصناعة فكان رأس المال الخاص محدود الحجم ويتألف في معظمه من المؤسسات الصغيرة التي تستخدم عددا محدودا من العمال المأجورين . وكانت تتركز في الصناعات ذات الطابع الحرفي . وكان من الطبيعي ان لا تلجأ السلطة الى مس مصالح هذه الشريحة البرجوازية الصغيرة ـ التي كانت تساهم بسد احتياجات المواطنين الاستهلاكية . اذ ان الدولة في تلك المرحلة من تطورها ، لا يمكن ان تقدم البديل عن السلع والخدمات التي يقدمونها ، هذا من جهة ومن جهة اخرى ، لان التناقض بين مصالح هذه الشريحة ومصلحة الطبقة العاملة في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وفي المرحلة الانتقالية للاشتراكية ، يعتبر تناقضا ثانويا . اذ ان لهذه الشريحة مصلحة حقيقية في تطوير الانتاج وتوسع السوق الوطنية وازالة سيطرة الاحتكارات الاجنبية ورأس المال الكبير العلاقات الاقطاعيـــــة .

ركزت السلطة الثورية على دعم هذه الشريحة ، وجذبها الى اشكال العمل التعاوني ، والى المساهمة في القطاع المختلط مقابل تسهيلات ومحفزات اقتصادية . اما المؤسسات التي تشغل (٦)

Digitized by Birzeit University Library

فاكثر من العمال ،فجرى ادراجها ضمن ما يسمى" القطاع الخاص المنظم" ،ووضعت تحت اشراف وزارة الصناعة ويجرى الزامها بالتقيد في خطة التنميـــــة .

بلغ عدد المؤسسات الصناعية في القطاع الخاص المنظم ١٧ وحدة انتاجية عام ١٩٨٠ مجموع متوسط قيمة اصولها الانتاجية ٢٢٢٨ الف دولار تقريبا ، ويعمل فيها حوالي ٤٤٢ عامل وقيمة انتاجها السنوى حوالي ٧٧٩٥ الـــــف دولار (٢٢) .

نسبة مساهمة القطاع الخاص في الانتاج الاجتماعي هبطت الى ٣ر٦١٪ عام ١٩٧٣ بعد أن كان هذا القطاع مسيطر كليا على الاقتصاد قبل الاستقلال . واستمرت في الهبوط نسبة مساهمته هذه في الانتاج الاجتماعي الى ٩ر٤٨٪ عام ١٩٧٨ وبعدها حافظ القطاع الخاص على هذه النسبة اذ هبطت بشكل غير ملحوظ اى ٧ر٤٨ ٪ عام ١٩٨٢ . ووفق الخطة الخمسية الثانية فستهبط هذه النسبة الى ١ر٣٩٪ عـــــام ١٩٨٥ (٢٣) .

اما القطاع الصناعي الخاص كله ، الذى يشمل ايضا الورش والمشاغل الاصغر حجما ،فقد تناقصت مساهمته النسبية في الانتاج الصناعي من ٣ر٤٩٪ عام ١٩٧٣ الى ١ ر٢٨٪ عام ١٩٨٠ . اما نسبة العاملين فيه فقد ظلت على حالها تقريبا . فقد كان يوظف ٦ر٧٢٪ من قوة العمل في الصناعة التحويلية عام ١٩٧٣ واصبح يوظف ٥ر٧٠ / عام ١٩٨٠ (٢٤) .

اما الفروع التي يلعب فيها القطاع الخاص الدور الاكبر ، فهي قطاع البناء والتشييد والنقل والتجارة الداخلية . وهذه الفروع ذات اهمية خاصة ، بسبب سرعة دوران رأس المال فيها بالمقارنة مع الفروع الاخرى .وهي تشكل منافذ خطيرة للنمو وتركزاً س المال الخاص . وبالتالي تزايد قوة البرجوازية الوطنية وتأثيرها . واذا كانت هذه المسألة لا تجذب الانتباه في بلد مثل اليمن الديمقراطي ، ذو اقتصاد متخلف ، الا انها على المدى البعيد تشكل مخاطر كبيرة ينبغي الانتباه لها ، خاصة ان هذه الفروع تتوسط بين القطاع العام والمواطنين واى خلل قد ينجم عن هذه الوساطة من الممكن ان يؤ دى الى الازمة الاجتماعيـــــة .

ففي قطاع البنا والتشييد يوجد عدد من المقاولين الكبار الذين انتعشوا بشكل كبير بسبب توسع استثمارات الدولة والى جانبهم عدد كبير من المقاولين الصغار الذين عادة ما يعملـــون بأنفسهم ويستخدمون عدد محدودا من العمال المأجورين . وللتدليل على قوة القطاع الخاص في هذا الفرع الهام نشير الى احصا ات عام ١٩٨٠ (٢٥) التي تبين انه يوظف ٢٢٨٢٠ عامل ، اى حوالي ٤ر٧٪ من قوة العمل الاجمالية فيه . كما ان مساهمته في اعمال البناء والتشييد المنفذة عام ١٩٨٠ تقدر بـ ٨ر٤٩ مليون دولار ، اى ٥ر٣٧ ٪ من اجمالي استثمارات الفرع المخططة واذا اضفنا الى هذه الارقام ، الانفاق الخاص للمواطنين على بناء المساكن ،يمكن التعرف على حجم رأس المال الدائر في هذا الفـــــرع .

اما في فرع النقل والمواصلات ، ففي عام ١٩٨٠ كان القطاع الخاص يوظف ١٨٦٩٩ مشتغل اى

Digitized by Birzeit University Library

٦٩ ٪ من قوة العمل الاجمالية فيه. وفي التجارة الداخلية فالقطاع الخاص يسيطر على الجزء الاعظم من تجارة التجزئة، وجزء من تجارة الجملة وتجارة الاستيراد والتصدير. وفي عام ١٩٨٠ بلغت مساهمة القطاع الخاص ٥٧ر٧ ٪ من اجمالي قيمة السلع المتداولة، وكان يسيطر على ١٠ر٤ ٪ من اجمالي الاستيراد و ١٦ر٦ ٪ من اجمالي التصدير واعادة التصدير.

٥ ـ القطاع الاجنبي :

قامت الدولة في اليمن الديمقراطي بسبب ندرة مواردها الداخلية واحتياجها للعملة الصعبة بعقد مجموعة من الاتفاقيات مع بعض المؤسسات الاجنبية، لتنفيذ استثمارات محددة ومتفق عليها وذات نفع متبادل لطرفي التعاقد. وتتركز هذه الاستثمارات في فرع الاسماك والبناء والتشييد والتنقيب عن النفط.

ففي فرع الاسماك تعمل شركة (NESHER) اليابانية التي انتجت ٢ر٢٤ ٪ من الانتاج السمكي عام ١٩٨٠ وتعمل شركة يابانية اخرى في التنقيب عن النفط في المياه الاقليمية. كما يساهم المقاولون الاجانب لتشييد بعض الانشاءات المعقدة التي لا تتوفر امكانيات محلية للقيام بها. وفي عام ١٩٨٠ بلغت هذه المقاولات ٥ر٢٣ مليون دولار، اى ٧ر١٧ ٪ من اجمالي المقاولات المخططة. كما تقوم شركة يابانية بتركيب اجهزة الاتصالات الدولية (المايكروويف) بموجب اتفاقية لمدة ٢٠ سنة، لربط اليمن الديمقراطي باتصالات مباشرة مع العالم الخارجي.

xxxxxxxxxx

لقد حولت التغييرات النوعية في علاقات الانتاج وجه الاقتصاد الوطني في اليمن الديمقراطي وجعله اقتصادا يلعب فيه قطاع الدولة والقطاع التعاوني الدور الرئيسي في انتاج وتوزيع الخيرات المادية، والرافعة الرئيسية لعملية التنمية الاقتصادية الاجتماعية. ففي عام ١٩٨٠ بلغت مساهمة قطاع الدولة في الانتاج الاجتماعي ٦ر٤١ ٪ والتعاوني ٦ر٣ ٪ ووفق الخطة الخمسية الثانية فان حصة قطاع الدولة ستتزايد الى ٥ر١٩ ٪ والتعاوني الى ٣ر٧ ٪ والمختلط ٢ر٤ ٪. اما القطاع الخاص فستنقص مساهمة من ٨ر٤٨ ٪ عام ١٩٨٠ الى ١ر٣٩ ٪ عام ١٩٨٥ (٢٦).

يتبع

المراجع :

٨) كافة الارقام الواردة في هذه الفقرة مأخوذة من كتاب الخيموف، غوساروف، اقتصاد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية عدد ١٩٧٨.

٩) أحمد عطية المصري، تجربة اليمن الديمقراطي من ١٩٥٠ – ١٩٧٢، دار العباسية للنشر، القاهرة ١٩٧٤.

١٠) برنامج (ج.ا.ش) المؤتمر الاول ١١ – ١٢ اكتوبر ١٩٧٨ ص (٣٥ – ٣٩).

١١) الثورة الوطنية الديمقراطية في اليمن، صادرة عن الجبهة القومية، دار بن خلدون، بيروت

Digitized by Birzeit University Library

١٩٧٢، ص ١٣٥.
١٢) كتاب الاحصاء السنوى ١٩٨٠ ، المكتب المركزى للاحصـــاء.
١٣) انيس حسن يحيي ـ صحيفة الثورى عدد ٨٠٣ بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٣.
١٤) دراسة من وزارة التخطيط المعدة لجامعة الدول العربية ـ مخطوطة ـ عدن ١٩٨٢ .
١٥) خطة التنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية الخمسية الثانية ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ الكتاب الاول ـ عدن ١٩٨١.
١٦) دراسة وزارة التخطيط، نفس المرجع السابـــق .
١٧) انيس حسن يحيي ـ الثورى رقم ٨٠٣، ٨٠٤،٨٠٦ وكلها في شهر اكتوبر ١٩٨٣.
١٨) برنامج الحزب الاشتراكي اليمني ، عدن ١٩٧٨ .
١٩) دراسة وزارة التخطيط المقدمة لجامعة الدول العربية عدن ١٩٨٢ .
٢) خطة التنمية الخماسية الثانية المعدلة ١٩٨١ ـ ١٩٨٥
٢١) انيس حسن يحيي ،الثورى عدد ٨٠٣ ، ١٥ / ١٠ / ١٩٨٣
٢٢) دراسة وزارة التخطيط المقدمة الى جامعة الدول العربية عدن ١٩٨٣، ص ١٥٧
٢٣) انيس حسن يحيي ـ الثورى ـ ـ ١٥ / ١٠ / ٨٣
٢٤) دراسة وزارة التخطيط المقدمة الى جامعة الدول العربية عدن ١٩٨٣، ص ١٦٠ ـ ١٦٥
٢٥) نفس المصدر السابق ص ٢٢٣
٢٦) على ناصر محمد ـ مجلة النهج العدد الثالث شباط ١٩٨٤ ص ١٣٢

Digitized by Birzeit University Library

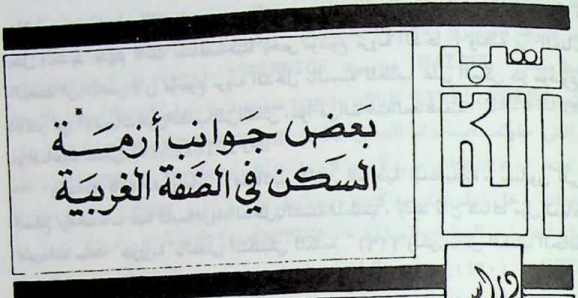

أهديـا هـذا العمـل لذكرى
الشهيد داود العطاونـه، والمناضـل
المرحوم غسان حرب لعل في
ذلـك وفـاء لذكراهمـا .

الحلقـة الثانيـة

القسـم الثالـث

مسـح الادبيـات (١٤)

لقد كان هناك دائما مشاكل في تعريف العديد من المصطلحات والعوامل التي تؤثر في الطلب على السكن . وتعريف " السكن " نفسه هو مصطلح مخادع . هناك مشاكل تتعلق بنوعية الارض المستخدمة للبناء عليها ، فيما اذا كانت ارضا بورا او مستصلحة . ولكن ما يهمنا هنا ، على اية حال ، هو موضوع مرونة الدخل (١٥) بالنسبة للطلب على السكن والتي شكلت

* هذه هي رسالة الماجستير التي اعدها الكاتب اثناء تحضيرة لنيل شهادة الماجستير في الاقتصاد في الولايات المتحدة . وهي ترجمة عن النص الاصلي .

Digitized by Birzeit University Library

دائما موضوع اهتمام الاقتصاديين ، واكثر من ذلك ، فان النتائج التي تم الحصول عليها من قبل العديد منهم كانت متناقضة فيما يخص موضوع مرونة الدخل ، ولعله من المناسب لهذا البحث ان نلخص بأن موضوع مرونة الدخل بالنسبة للطلب على السكن هو موضوع الاهتمام الاكثر في الادبيات حول الطلب على السكن ، سواء من الناحية المفاهيمية Conceptually او الناحية التجريبية EMPIRICALLY .

وكبداية فاننا نقول بأن الاقتصاديين ، من الناحية التقليدية ، يميلون الى تصنيف السلع والخدمات تبعا لقيمة مرونة الدخل بالنسبة للطلب ، ولقد كان هناك ميل لمعاملة السكن على انه سلعة "ضرورية" بالمعنى التكنيكي للكلمة " (١٦) ولكن بعض الكتب الجامعية تعامل السكن على انه سلعة اما "ضرورية " أو كمالية " .

(من المفيد هنا ، قبل ان نتوسع في البحث ، ان نذكر ان السلعة تعتبر "ضرورية" اذا كانت مرونة الدخل بالنسبة للطلب على هذه السلعة اقل من الواحد الصحيح ، اي اذا كانت (م د < ١) حيث ان م د = مرونة الدخل . اما اذا كانت (م د > ١) فان السلعة تصنف على انها "كمالية" وماذا يعني ان (م د < ١) ؟ ذلك يعني انه اذا زاد دخل المستهلك بنسبة ١٪ فان الكمية المطلوبة من السلعة ستزداد ولكن بنسبة اقل من ١ ٪ ، اي ان التغير المئوي في الدخل اكبر من التغير المئوي في الكمية المطلوبة والعكس صحيح ايضا . هذه اضافة ليست موجودة في النص الاصلي للرسالة ، ونحن نضيفها هنا آخذين بعين الاعتبار اننا نضعها بين ايدي قراء قسم منهم ليسوا متخصصين . ع.ز.)

ويلخص الاقتصادي ويلكنسون Wilkinson في مقالته "مرونة الدخل بالنسبة للطلب على السكن" بعض النتائج التجريبية حول الموضوع :

" ان التقديرات المبكرة للمرونة من قبل انجل ENGEL وشواب SCHWABE قد اعطت معاملات مرونة اقل من الواحد الصحيح. وفي الاوقات الاكثر حداثة فان دراسات هوذاكر HOUTHAKKER (١٩٦١) ، وليسير LESER (١٩٦١) ، ولي Lee (١٩٦٤) قد اعطت ايضا تقديرات اقل من الواحد الصحيح .. ولكن هذه النظرة تعرضت للتحدي في دراسات جربلر GREBLER (١٩٥٢) ، وموث MUTH (١٩٦٠) وريد Reid (١٩٦٢) في الولايات المتحدة ، وبواسطة كلارك Clark وجونز JONES (١٩٧١) في المملكة المتحدة (بريطانيا) . كل هؤلاء الكتاب الاخيرين حصلوا على معاملات مرونة اكثر من الواحد الصحيح ... والدراسات الاكثر حداثة في المملكة المتحدة، فان المعلومات التي استخدمها بيات Byatt . وهولمانز HOLMANS ، وليدلر LAIDLER (١٩٧٢) قد اعطت تقديرات وطنية (لبريطانيا) بين ٧ر- — ٩ر- " (١٧) .

وقام اخرون بتلخيص نتائج اخرى حول مرونة الدخل بالنسبة للطلب على السكن . فمثلا جيفرى كارلاينار CARLINER كتب يقول في مقالته "مرونة الدخل للطلب على

Digitized by Birzeit University Library

السكـــــن (١٨):

"لقد قدرها دوزنبرى DUESENBERRY وكيستن Kisten مساوية لـ ٠٫١٥ في حين حسبها ميسل MAISEL و وينيك WINNICK (١٩٦٠) على اساس احصائيات طويلة الامد LONG-RUN TIME SERIES مساوية لـ ٠٫٥ على اية حال، فان الاعمال الحديثة التي حاولت استخدام الدخل الدائم PERMANENT INCOME ، او ما يمكن ان يعبر عنه Proxies ، بدلا من الدخل المقاس MEASURED INCOME.. فقد وجدت مرونات دخل اعلى بدرجة كبيرة. وحديثا، فان دى ليو DE LEEUW (١٩٧١) قام بتعديل تقديرات المقاطع العرضية CROSS-SECTION التي حصل عليهـــا موث MUTH ، (١٩٦٠) وريد Reid (١٩٦٢) ،وونغر WINGOR (١٩٦٨ وقدم تقديرات جديدة من عنده. ان مدى تقديراته لكل هؤلاء المؤلفين تتراوح بين ٠٫٨ — ١٫٠ للمستأجرين، وبين ١٫٢٥ — ١٫٤٦ للمالكين . ومن بين كل الدراسات التي فحصها دى ليو، كانت تقديرات لي LEE . (١٩٦٣) فقط اقل من الواحد الصحيح.ان التقديرات التي تعتمد على تحليل سلسلة زمنية TIME-SERIES بالرغم من انه لا توجد مقارنة بينها وبين تقديرات المقاطع العرضية CROSS-SECTION ، كانت دائما اقل بدرجة معينة من تقديرات المقاطع العرضيـــــة .

لقد وجد موث MUTH (١٩٦٥) مرونة سلالة STOCK . مساوية لـ ٠٫٩ بينما وجدها لي LEE . (١٩٦٤) ،مستعملا متغيرات مختلفة نوعا ما ولكن مستخدما نفس التكنيك، مساوية لـ ٠٫٣٤ وعلى اية حال، فان هوذاكر HOUTHAKKER وتايلور TAYLOR (١٩٧٠) وجدا معاملات مرونة طويلة الامد مساوية لـ ١٫٥ للمستأجرين و ٢٫٤ للمالكين."

اما كارلاينار نفسه فقد حصل على معامل مرونة الدخل للطلب على السكن في المدى بين ٠٫٦ — ٠٫٧ للمالكين، و ٠٫٥ للمستأجرين (١٩) . وفي سنوات قريبة قدرها كل من م.٠١٠ ستيجمان M.A.Stegman. وسومكا H.J.Sumak (١٩٧٨) بالنسبة للطلب على السكن بالايجار في المدن الصغيرة من احصائيات مقاطع عرضية لخمسمائة عائلة، مستخدمين مفهوم الدخل الدائم وبواسطة تكنيك معدلات العصبـــــة Cohort Averaging Technique ، الذى يسمح بتعديلات تأخذ بعين الاعتبار توقعات مختلفة عن الدخل في المستقبل ،فقد وجدا ان الطلب على السكن ليس مرنا بدرجة عالية (اى ان مرونة الدخل اقل من الواحد الصحيح بكثير) بالنسبة للدخل ، وخصوصا بالنسبة للعائلات الكبيرة، والفقيرة، والسوداء ، واقترحا ان تعطى هذه العائلات بدل سكن لزيادة استهلاك البيوت في المدن الصغيرة (٢٠) .

وباستخدام الاحصائيات على المستوى الجزئي Micro data مع تلك الاحصائيات التي يمكن تجميعها معا (من خلال المناطق التابعة Metropolitan)

Digitized by Birzeit University Library

فان كلا من م.١٠ بولينسكي M.A.Polinsky وك.ت.الوود K.T.Elwood (١٩٧٩) اقترحا ان مرونة الدخل (الدائم) الحقيقية هي اكثر من ٨ر٠ بقليل، وان مرونة السعر هي تقريبا ٧ر٠ بالقيمة المطلقة (٢١).

وفي بداية السبعينات حلل كل من م.ج. ڤيبوند M.J.Vipond و ج.ب.وولكر J.B.Walker (١٩٧٣) تأثيرات الدخل والطبقة الاجتماعية وبعض العوامل الاجتماعية ـ الديموغرافية على ملكية السكن Tenure والطلب عليه وا كتشفا ان مرونة الدخل الحالية بالنسبة لاستهلاك السكن بالنسبة للسكان المالكين تبلغ ٤ر٠ ، وان مرونة الدخل الدائم هي حوالي ٦ر٠ واقترحا ان الطبقة الاجتماعية لها تأثير هام جدا على المرونـــة (٢٢).

وباختصار ،فانه قد يكون من المناسب العودة الى مقالة ويلكنسون (٢٣) وملاحظة ما يلي، للتوفيق بين هذه النتائج المتعارضة ، في اطار عمل نموذج سلوكي ، فأن المرونات من الممكن ان تختلف تبعا الى اربعـة عوامل هـــي :

اولا : تعريـف السكـــن :

لقد بين ويلكنسون ان التعريفات الاضيق ستؤدي الى الحصول على مرونات اقل .وهذا هو نفس الاستنتاج الذي تصول اليه كل من ڤيبوند و وولكر.لقد كتبا يقولان " ان التعريفات الاوسع لمصاريف السكن تزيد مستوى مرونة الدخل وتقلل تعددهـا ، ولكن الى مستـــوى معيـــن "(٢٤).

ثانيـا : صفـات المستهلـــك :

لقد بينت الدراسات ان مرونات الدخل بالنسبة للمستأجرين هي اقل من تلك بالنسبة للمالكين . واكثر من ذلك فان الطبقة الاجتماعية التي ينتمي لها المستهلك ، وحجم العائلة (عدد افرادها) لها اثار هامة على المرونـــة .

ثالثـا : مـدى السـوق :

وبكلمات اخرى ، التوزيع الجغرافي والموقع والبعد عن المقاطعة التجارية المركزيـــة Central Business District . ان اشتمال التحليل الاقتصادي على عنصر الموقع يميل الى تقليل مرونة الدخل بالنسبة لاولئك الذين يسكنون بالقرب من المركز ، وزيادتها بالنسبة لاولئك الذين يسكنون بعيـدا عنـــه .

Digitized by Birzeit University Library

رابعا : مفهوم الدخل المستخدم في التحليل

ان التنوعات في المرونة تظهر من استخدام مفاهيم مختلفة عن الدخل ، ولكن هذه التنوعات صغيرة نسبيا .

القسم الرابع :
النظرية والنموذج الرياضي

١ . النظرية

" ان الناس الفقراء يخلقون بيوتا فقيرة "(٢٥) . ان هذه العبارة هي الاساس لاحدى الاقتراحات في السياسة العامة للقضاء على السكن الفقير والاحياء الفقيرة ،التي تشكل مصدر ازعاج وكارثة لبعض المناطق المدنية Urban . واذا كان الشعار صحيحا ، فان السكن الفقير والاحياء الفقيرة يمكن تخفيضها اما بتقديم دعم مباشر لطلب العائلات ، ذات الدخل المنخفض ، على السكن ، او بزيادة مداخليها .

ان دور الحكومة ،او سلطة السكن العامة ، في ظل سياسة كهذه ، هو ان تُجري مصادرها في قناة رئيسية للعائلات على شكل دعم الطلب Demand Subsidies (اما بواسطة زيادة المداخيل بشكل هام ، او بتقليل اسعار المنازل) لزيادة الطلب على السكن بشكل هام على افتراض ان العوامل الاخرى ثابتة Ceteris Paribus واذا كان جانب العرض يستجيب نسبيا للطلب ، فان الطلب الزائد الذى تم تحفيزه بواسطة الدعم سوف يؤدى الى زيادة السكن وتحسين نوعيته من جانب المستفيدين من الدعم الحكومي (٢٦)

اذا كان هذا هو الوضع ،فان المفتاح لدراسة الطلب على السكن هو مرونة الدخل بالنسبة للطلب عليه ، وبكلمات اخرى لفحص الفرضية النظرية Hypothesis ، القائلة بان السكن هو سلعة ضرورية" وليست كمالية"،في حالات عديدة ،كما هو الحال في الضفة الغربية.

ان مرونة الدخل بالنسبة للطلب تعرف على انها العلاقة الناشئة عن تغير دخل المستهلكين في حين ان العوامل الاخرى التي تحدد الطلب على سلعة معينة تبقى ثابتة . وبكلمات اخرى ،فان مرونة الدخل هي درجة استجابة الكمية المطلوبة من السلعة للتغير في الدخل . واذا كان معامل مرونة الدخل اكثر من الواحد الصحيح ،فان مرونة الدخل تكون "عالية" وتصنف السلعة على انها " كمالية" . اما ، من الناحية الاخرى ، اذا كان معامل المرونة اقل من الواحد الصحيح ، فان مرونة الدخل تكون " منخفضة" وتصنف السلعة على انها "ضرورية" .

ولكن المشكلة فيما يتعلق بالطلب على السكن هي انه لا يوجد استنتاج واضح وقاطع فيما

Digitized by Birzeit University Library

اذا كانت مرونة الدخل بالنسبة له " عالية" او "منخفضة" كما اوضحنا في القسم السابق.

مرة ثانية نقول ان "حصة الدخل المصروفة على سلعة معينة هي عامل رئيسي في تحديد الى اى مدى ستكون مرونة الدخل بالنسبة لها عالية او منخفضة. وان الاستثناء من هذه القاعدة لربما يكون السكن الذى يأخذ حصة معتبرة في دخل اى فرد (في المجتمع الرأسمالي ع.ز)" (٢٧) ونحن نعتقد ان استثناء كهذا يجب ان يرتكز على خصوصيات السكن التي ناقشناها في القسم الاول.

ان الطلب على السكن من قبل الناس ذوى المداخيل المنخفضة كما هي حالة الغالبية العظمى من الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة الغربية، لربما يكون غير مرن نسبيا بالمقارنة مع التغيرات في الدخل والسعر لانه لا زال لديهم حاجات اكثر الحاحا. وعلى سبيل المثال، فان اللباس او الطعام او السلع المعمرة يحتاجها الناس نسبيا اكثر من السكن ولذلك فان العائلات عندما تواجه بزيادة في مداخيلها ستصرف معظم هذه الزيادة على السلع الاخرى غير السكن التي تحتاجها اكثر في الطلب، " وفي اللغة الاصطلاحية التكنيكية الاقتصادية فان العائلات لها دالة منفعة حجر معشقة Geary-Stone Utility Function والكميات المستهلكة من السلع الاخرى غير السكن هي اقل من الحد الادنى التي تمليها دالة المنفعـــــة " (٢٨)

والاحتمال الاخر هو انها (اى العائلات) تجبر على استهلاك سكن (اكثر) مما تريد. وهذا من الممكن حدوثه اذا كانت مجموعة القوانين الموجودة والخاصة بالسكن تطبق وتؤدى الى نوعية سكن اكبر مما يمكن ان تستهلكه العائلات ذات الدخل المنخفض في حالة غياب هذه القوانين." (٢٩) فعلى سبيل المثال، فان سكان رام الله والبيرة يجب ان يبنوا بيوتهم مستخدمين الحجارة البيضاء كما تتطلب قوانين بلديتهما. والحجارة البيضاء هي عادة اغلى من الطـــــوب

وقبل ان ننتقل الى النموذج الرياضي المستخدم في التحليل، فانه يجب ان نوضح بعض الافتراضات قد استخدمت ضمنيا عن السكن في الضفة الغربية وهـــي :

اولا : ان وحدة السكن في الضفة الغربية اخذت على اساس ان مساحتها (١٣٠) مترا مربعا اى بكلمات اخرى، معدل مساحة الوحدة السكنية في الضفة الغربية كما هو معطى في الاحصائيات. على اية حال، فان معدلات مختلفة قد استخدمت عندما قدرنا معادلة الطلب لكل مدينة على حدة كما هو معطى في الاحصائيات ايضـــا.

ثانيا : اننا نستخدم تعريفا ضيقا للسكن لاننا نقدر معادلة طلب بأخذ مساحة البيوت مقاسة بالامتار المربعة بالنسبة للفرد الواحد على اساس انها المتغير التابع Dependant Variable ولهذا فاننا نتوقع ان نحصل على مرونة دخل منخفضة بالنسبة للطلب على السكن في الضفة الغربية. على اية حال، فاننا سنقوم بالتخلص من افتراض كهذا في دراستنا اللاحقة، وسندرس مصاريف السكن كمتغير تابع

Digitized by Birzeit University Library

بدلا من ذلك . ولسوء الحظ فاننا لا نمتلك الاحصائيات عن هذا المتغير في الوقت الحاضـــــــر .

ثالثا : استخدمنا معدل دخل الفرد في الضفة الغربية كمقياس للدخل في معادلة الطلب لكل من الضفة الغربية والمدن الثمانية قيد الدراسة . ومع افتراض كهذا فانه من المتوقع ايضا ان نحصل على مرونة دخل منخفضة . في الدراسات اللاحقة فاننا نسعى للحصول على مقياس للدخل الدائم كبديل . ومن الواجب ان يكون واضحا انه مع هذا المقياس الذى نمتلكه الان ، فاننا لم نميز بين الساكنين ـ المالكين والساكنين ـ المستأجرين .

ولو اننا اوجدنا تمييزا كهذا ، فانه سيكون من المتوقع ان السكان ذوى معدلات الدخل المرتفعة هم من المالكين وستكون لهم مرونة دخل عالية . ولهذا الاعتقاد اسباب اخرى ، وبالتحديـــــــد :

أ) ان نوعية المنازل المسكونة من قبل مالكيها ستكون اعلى ، وسيكون لديهم اختيار اوسع بالنسبة للمسكن والموقع ، الذى يختارونه بعيدا عن الضجيج اى عن (المقاطعة التجارية المركزيـــــــة)

ب) الموقع الاعلى المرتبط بالموقع ـ المالك ، اى ان الاغنياء ينظرون الى نوعية بيوتهم (فيلاتهم بالاحرى) كنوع من الامتيـــــــاز .

جـ) القدرة الاكبر لدى هؤلا (أى المالكين) للحصول على قروض (او منح) لتمويل شرائهم او بنائهم لمساكنهم (٣٠) ، (وبالفعل فانهم الاقرب الى اللجنة المشتركة ، ولعلهم يمتلكونهـــــا ايضـــــا !!) .

رابعا : ان مدى البعد عن المقاطعة التجارية المركزية قد تم تجاهله تماما . وهكذا فاننا نفترض ان الخصائص الجغرافية (الموقعية) للسكن ثابتة لسببين .

اولا : لاننا لا نقدر معادلة مصاريف كما ذكرنا اعلاه .

وثانيا : لان الاحصائيات لا تتوفر عن هذين المتغيرين (اى البعد عن المقاطعة التجارية المركزية ومصاريف السكن) . لقد لاحظنا في الادبيات ان المسافة من المقاطعة التجارية المركزية تم ادراجها في تقدير معادلة مصاريف السكن ، وهو الشيء الذى لا نفعله في هذه الدراسة . على اية حال ، فانه من المعقول ، ظاهريا على الاقل ، ان نتوقع انه كلما زادت المسافة من المقاطعة التجارية المركزية كلما كانت مرونة الدخل اعلى بالنسبة للطلب لسببين اولا : لان المصاريف على السكن ستكون اكثر كلما زادت المسافة (٣١) .

وثانيا : لان العائلات الغنية من المتوقع ان تسكن في مسافة ابعد عن المقاطعة التجارية المركزيـــــــة .

خامسا : ان الارض المستخدمة لاغراض البناء قد افترض انها متجانسة ولها نفس السعر بالنسبة للمتر المربع الواحد في السنـــــة .

سادسا : ان حجم العائلة ثابت لكل العائلات . ولو استخدمنا نوعية مختلفة من العائلات فاننا كنا سنتوقع ان عدد افراد العائلة الفقيرة اكثر وان هذا سيجعل مرونة الدخل بالنسبة

Digitized by Birzeit University Library

لها اقل من العائلة الغنية التي لها عدد افراد اقل. ولكن للاسف ايضا، فاننا لم نستطع الحصول على معلومات من هذا النـــــوع .

وأخيرا : سوف لا ننظر الان الى اثار سياسة الاستيطان الاسرائيلية في المناطق المحتلة، ببساطة لاننا لا نمتلك الاحصائيات اللازمة عن ذلك. ولكننا نتوقع ان بعض اثار هذه السياسة سينعكس في اسعار البيوت ،لان الارض المتاحة للسكن تتضاءل في مساحتها بفعل هذه السياسة ،وهذا سيدفع باسعار الاراضي وبالتالي اسعار المنازل الى اعلى ولكننا نأمل ان ندرس اثار هذه السياسة في المستقبل في دراسة مستقلـــــة .

٢ . النمـــــوذج الرياضـــــي

منذ البداية فانه من الضروري ان نذكر انه لا يوجد هناك "نموذج رياضي موحد لسلوك العائلة بالنسبة لاستهلاك المسكن" (٣٢) على اية حال ، فان معظم النماذج تضع الطلب على السكن كدالة من السعر بالنسبة للمتر المربع الواحد ومعدل دخل الفرد المقاس. ان النموذج الذي سيتم استخدامه فيهذه الورقة سيكون كما يلـــي :

س د =م(ج ،ف ،ن)

حيث

س د = معدل طلب الفرد على السكن مقاسا بالامتار المربعة في السنة

ج = الطلب الكلي في السنة بالامتار المربعة (٣٣) / عـــدد السكـــان

ج = جدول اسعار السكن (٣٤) / جدول اسعار المستهلك العام

ف = معـــدل دخـــل الفـــرد فـــي السنـــة فـــي الضفـــة الغربيـــة

ن = معدل تكون الاسر الجديدة بالنسبة للفرد الواحد في الضفة الغربية

= عدد العائلات الجديدة في السنـــة / عدد السكـــان

وبواسطة الانحدار اللوغارتمي الخطي Loglinear Regression فانه سيتم تقدير المعادلة التاليـــــة :

س د = ث × ج م١ × ف م٢ × ن م٣

اولوس د = ث + م١ لوج + م٢ لوف + م٣ لون

حيث ث : ثابت

م١ : مرونة السعر بالنسبة للطلب

م٢ : مرونة الدخل بالنسبة للطلب

م٣ . مرونة تكون العائلات الجديدة بالنسبة للطلب

Digitized by Birzeit University Library

وحيث ان السكن ليس من المتوقع ان يكون سلعة وضيعة (٣٥) Inferior Good

ولذلك فانه من المتوقع ان تكون م٢ < صفر (اى اكبر من صفر) ، وحيث ان دالة الطلب على السكن تتحدر الى اسفل بالنسبة للسعر ،لان العلاقة بين السعر والكمية المطلوبة هي علاقة عكسية ، لذلك فان م١ > صفر (أى اصغر من صفر) .

وكذلك فانه سيجرى تقدير معادلة الانحدار الخطي لتقدير المعادلة التاليـــة :

س د = ث + ألفا ١ ج + الفا ٢ ف + ألفا ٣ ن

ويمكن حساب المرونات كما يلـــي .

مرونة السعر = م ١ = ألفا١ $\left(\frac{\bar{ج}}{\bar{س د}}\right)$

حيث الاشارة (ــ) تعني معدل المتغيـر.

ومرونة الدخل = م٢ = الفا٢ $\left(\frac{\bar{ف}}{\bar{س د}}\right)$

ومرونة تكون العائلات الجديدة = م٣ = ألفا٣ $\left(\frac{\bar{ن}}{\bar{س د}}\right)$

ان اشتمال المعادلة على تكون العائلات الجديدة في النموذج يرتكز على ايماننا بأنه احد مفاتيح العناصر المحددة للطلب على السكن ،لانه عندما تتشكل اسرة جديدة فانه من العادى ان المتزوجين حديثا سيتركون منازل عائلاتهم الام الى شقة مستقلة (ومن الجدير بالاشارة هنا ،انه من المعقول تماما الاستنتاج بان الطلاق سيؤثر هو الاخر على الطلب على السكن ،لان المرأة المطلقة ستبحث عن بيت مستقل حتى لو كان صغيرا ولكننا سنهمل هذا الموضوع لعدم توفر احصائيات لدينـا عنـــــه) .

في دراستنا اللاحقة فاننا سندرس آثار الطبقة الاجتماعية ــ الاقتصادية التي ينتمي اليها المستهلكون على مرونة الدخل بالنسبة للطلب على السكن . ونأمل بأن استثناء ذلك من دراستنا الراهنة هذه لن يقلل من قيمتها . ولكننا " ... نستطيع ان نميز وجود مجموعات من المستهلكين الذين هم ،متجانسون نسبيا في صفاتهم المميزة وفي استهلاكهم للسكـــن وهكذا فانه من المحتمل ان لا يكون واقعيا لان نجمع او ان "نعمل معدلا " لمروناتهم او ان نفكر فقط بالنظر الى مرونة واحدة وحيدة لكل المستهلكين " (٣٦) .

ولسوء حظنا فان الاحصائيات ليست موجودة عن الساكنين ــ المستأجرين ، والساكنين ــ المالكيـــــن .

في الحلقة القادمة سنقدم نتائج المعلومات التي حصلنا عليها من تقدير معادلة الانحدار في الحاسب الالكتروني ، وسنقوم بتحليلها وتفسيرها . ونختتم بحثنا باستنتاجاتنا وتوصياتنـــــا .

يتبع في العدد القادم .

Digitized by Birzeit University Library

المراجـــــــــع :

١٤) من المؤسف لنا اننا لم نستطع الحصول على اية ادبيات ماركسية حول الموضوع . لقد وجدنا بعض المواد باللغتين الروسية والالمانية ،ولم يسعفنا الوقت للحصل على ترجمات مناسبـــــــة .

١٥) تعرف مرونة الدخل بالنسبة للطلب على Income Elasticity of Demand بأنها مقدار الاستجابة في الكمية المطلوبة من السكن (بالامتار المربعة او بغيرها من المقاييس) تبعا للتغيرات التي تحدث في دخل المستهلك .وبما اننا نتكلم عن المرونة فنحن نقصد التغيرات النسبية وليس المطلقة . او بمعنى ادق فان مرونة الدخل بالنسبة للطلب على السكن تعني النسبة المئوية للتغير في الكمية المطلوبة من السكن تبعا للتغير في الدخل بنسبة ١ ٪ . اى ان م د = $\frac{\Delta\% \text{ ك م}}{\Delta\% \text{ د}}$

حيث م د : هي مرونة الدخل بالنسبة للطلب على السكن

$\Delta\%$ ك م : النسبة المئوية للتغير في الكمية المطلوبة من السكن

$\Delta\%$ د : النسبة المئوية للتغير في دخل المستهلك .

١٦) P.K.Wilkinson,"The Income Elasticity of Demand For Housing", Oxford Economic Papers 25,No.3 (November 1973):361 .

١٧) المصدر السابق ، صفحة ٣٦٢.

١٨) Geoffrey Carliner,"The Income Elasticity of Housing Demand",Review of Economics and Statistics 55,No.4 (November 1973):528-29 .

١٩) المصدر السابق ، صفحة ٥٣٢

20) M.A. Stegman and H.J.Sumka,"The Income Elasticity oF Demand for Rental Housing in small cities",Urban Studies 15,No - 1(February 1978): 60.

21) A.N.Polinsky and K.T.Elwood,"An Empirical Reconciliation of Micro and Grouped Estimates of the Demand for Housing," Review of Economics and Statistics 61, No.2 (May 1979) : 204 .

المقصود بمرونة السعر Price Elasticity هو مقدار الاستجابة في الكمية

Digitized by Birzeit University Library

المطلوبة تبعا للتغير في السعر. واذا رمزنا لها بـ م س فانها تساوى

$$\text{م س} = -\frac{(\text{٪ ك م})}{(\text{٪ س})}$$

حيث ك م : الكمية المطلوبة ، س : السعر .

وبما ان العلاقة بين السعر والكمية المطلوبة هي علاقة عكسية فان الاشارة سالبة ، ولكننا نهملها ونتطلع فقط للقيمة المطلقـــــة .

22) J.Vipond and J.B.Walker,"The Determinants of Housing Expenditure and owner - Accupation," Bulletin oF oxford Unirersity Institute of Economics and Statistics 34,No.2 (May 1972) :186.

23) Wilkinson ,Ibid.,pp .376 - 77 .

24) Vipond,Ibid., p . 172.

٢٥) هذه العبارة ناقصة كما نعتقد لانها لا تتحدث عن الاسباب التي تجعل الناس فقراء، وتأخذ الفقر وكأنه حقيقة خالدة، ولا تضعها في مضمونها الطبقي وسياقها التاريخي. ونرجو ان يتفهم القراء ان هذه الحقيقة لم تغب عن بالنـــــا .

26) James Follain,Jr.,"A Study of the Demande for Housing by Low -Versus - High - Income Households," Journal of Financial Quantitative Analysis 14,No.4(November 1979) : 769 - 70.

27) Donald Waston and Malcolm Gets, Price Theory and Its Uses (Boston : Houghton Mifflin Co., 1981), P.60.

28) Follain, Ibid., p.771.

29) _____, Ibid., p.770.

30) Vipnd , Ibid., p.175.

31) Wilkinson, Ibid., p.374.

2) _____, Ibid., p.363.

٣٣) انظر القسم الخاص عن الاحصائيات والمصادر في مقدمة هذا البحث والمنشورة في العدد الماضـــــي .

٣٤) وجدنا ان هذا هو افضل تعبير عن اسعار السكن. لان اسعار الوحدات السكنية المعطاة

Digitized by Birzeit University Library

في الاحصائيات ثابتة لسنوات عديدة وتخلق مشاكل التسامت المتعدد Multi Collinearity ونحن مدينون بذلك لزميلنا التركي في الدراسة هاليوك نوريه.

٣٥) السلعة الوضيعة هي السلعة التي اذا زاد دخل المستهلك ،قل استهلاكه منها ، كالبطاطا مثلا .

36) Wilkinson, Ibid.,p. 374.

Digitized by Birzeit University Library

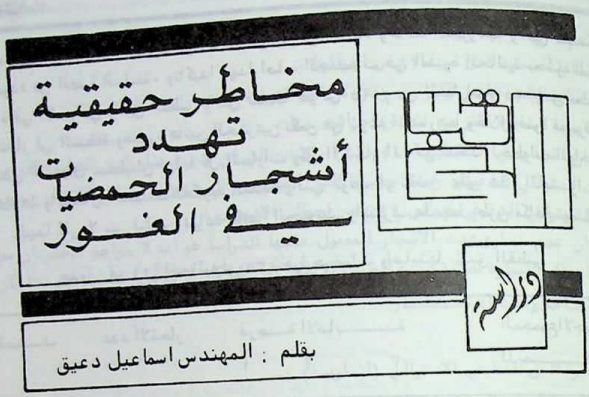

بقلم : المهندس اسماعيل دعيق

ان الحمضيات في منطقة الاغوار تتعرض حاليا لحشرتين تكادان ان تتحولا الى وباء خطير يقضي على المساحات المزروعة من هذه الاشجار في المنطقة اذا لم تتخذ الاجراءات اللازمة من طرق مقاومة فعالة تكون كفيلة بايقاف زحف هذه الحشرات والقضاء عليهـا .

ان الحمضيات في الاغوار تعد من المحاصيل الاساسية الهامة في هذه المنطقة، حيث تتميز هذه الفاكهة بارتفاع نسبةالسكر فيها وسرعة نضوجها والطعم المميز لها، ولقد اصبح البرتقال الريحاوى رمزا للجودة واللذة، ان عدد البيارات في منطقة الاغوار يقارب من ٣٥٠ بيارة معظمها ذات مساحة ضيقة لا تزيد عن ٦ دونمات وخاصة في مدينة أريحا، اما في المناطق الشمالية فتتميز بالكبر وتزيد مساحتها عن ٢٠ دونما في معظم الاحيـان .

ومجموع هذه المساحات في منطقة الاغوار ٣٧٥٩ دونما حيث تشكل ١٤٫٨٪من المساحة الاجمالية المزروعة من الحمضيات في الضفة الغربية. وتعطي ١٠٫٠٧٧ طن سنويا، اى ما يعادل ١٣٫٤٪من الانتاج الكلي للضفة الغربيـــــة .

لقد أخذت زراعة الحمضيات في منطقة الاغوار كباقي المناطق التالية بالانحسار وهذا راجع لسبب اساسي وهو ظروف الاحتلال التي تعاني منها زراعتنا وبالاخص الحمضيات واسباب اخرى نورد منها ـ

١) ارتفاع تكاليف دونم الحمضيات من ١٠ دنانير ما قبل عام ١٩٦٧ الى ٥٠ دينارا بعد الاحتـــلال .

٢) الانخفاض المستمر لانتاج الدونم الواحد بالمقارنة مع مناطق اخرى وهذا راجع للاهمال من اصحاب البيـــــارات .

٣) عدم وجود اسعار واسواق ثابتةتتناسب مع حجم التكاليف .

٤) انتشار الامراض والحشرات القديمة والجديدة نتيجة للاهمال وعدم مقاومة هذه الافات ولعل اسباب هذه الظاهرة عائدة كذلك لدخول محصول حمضيات من مناطق اخرى موبوءة

Digitized by Birzeit University Library

ولعدم خلو الاصناف الجديدة والاشتال من امراض عديدة وخاصة الفيروسية والتي لم تكن موجودة في الفترة السابقة. وتأكيدا لهذا اصابة الحمضيات في الفترة الحالية بحشرة البق الدقيقي الاسترالي والبق القطني والتي تصيب حوالي ٩٥ ٪ من البيارات و ٢٥ ٪ من مجمل الاشجار في المنطقة. وخطورة هاتين الحشرتين تكمن في سرعة انتشارهما وخلال فترة قصيرة لا تتعدى الشهرين تستطيعان اصابة كل البيارات وكل الاشجار اذا لم تتخذ الخطوات الواجب اتخاذها واستعمال المبيدات الحشرية الفعالة والتي توقف او تقضي على هذه الحشرات. ولهذا كان لا بد لنا من دراسة هاتين الحشرتين والتعرف عليهما وطرق مكافحتهما.

جدول رقم (١) احصائية لـ ٣٥٠ شجرة حمضيات واصابتها بالبق القطني

الصنف	عدد الاشجار	درجة الاصابة			المجموع الاجمالي للمصاب
		١	٢	٣	
ليمون	١٠٢	٣٧	١١	١	٤٩
شموطي	٩٣	٢٣	٢	٠	٢٥
كلمنتينا	٥٤	٩	١٢	٢	٢٣
مندلينا	٧٦	١٥	٢	٠	١٧
بومل	٢٥	٩	٣	٠	١٠
المجموع	٣٥٠	٩٣	٣٠	٣	١٢٤

جدول رقم (٢) احصائية لـ ٣٢٠ شجرة حمضيات واصابتها بالبق الاسترالي الدقيقي

الصنف	عدد الاشجار	درجة الاصابة			مجموع المصاب
		١	٢	٣	
ليمون	١٢٧	٢١	٢	٢	٢٥
شموطي	١١٢	١٦	١	٠	١٧
مندلينا	٢٥	٩	٠	٠	٩
كلمنتينا	٣٩	٨	٤	٠	١٢
بومل	١٧	٨	١	١	١١
المجموع	٣٢٠	٦٢	٨	٣	٧٤

Digitized by Birzeit University Library

حيث ان درجة الاصابة

١) اصابة الشجرة لاقل من ١٠٪ من اجزائها .
٢) اصابة الشجرة ليس اكثر من ٥٠ ٪ من اجزائهـا .
٣) اصابة الشجرة اكثر من ٥٠٪من اجزائهـــا .

ان الجدولين السابقين (١)و (٢) يشيران الى أن مدى انتشار البق القطني اكثر من البق الاسترالي الدقيقي حيث يصيب البق القطني حوالي ٢٩٪ من اجمالي الاشجار ويصيب البقالاسترالي الدقيقي حوالي ٢٦ ٪ من اجمالي الاشجـــار .

ان عدم تساوىعدد الاشجار المعمول عليها الدراسة هو أنه لا تتواجد الحشرتان معا، فاما ان تكونالبيارة مصابة بهذه الحشرة او تلك ،من هنا كان لا بد من اخذ بيارتين تتقاربان في المساحة وعدد الاشجـــار .

حشرة البق الدقيقي الاسترالي (اتساريـا) :ـ

من اخطرانواع البق التي تصيب الحمضيات والتي تحتفظ بالحركة طيلة فترة حياتها مما يتيح المجال امامها لاصابة اكبر عدد من الاشجار وبوقت قصيـر .

جسم هذه الحشرة كروى مفلطح ،ذو لون بني يميل الى الحمرة، مغطى بخيوط دقيقة بيضاء تشبه القطن حيث تشكل هذه الخيوط الكيس التي تضع فيهالحشرة بيضها وتحتمـي بـــه.

تصيب حشرة البق الدقيقي الاسترالي معظم اجزاء النبات ولكن بنسب مختلفـة .

جدول رقم (٣) يبين اصابة البق الدقيقي الاسترالي لاجزاء شجرة الحمضيات المصابـة وحسـب الصنـف

الصنـف	الاوراق / ٪	الجذور /والافرع ٪	الثمـار ٪	الســاق ٪
الليمـون	٣٠	٤٠	٢٧	٣
الشموطـي	٤٥	٥٢	٣	٠
الكلمنتينا	١٧	٤٣	٣٢	٨
المندلينـا	٣٤	٢٢	٤١	٣
البومـل	٤٦	٤٢	١٢	٠

ان الجدول السابق يبين ان اصابة اجزاء الشجرة مختلفة وهي تختلف من صنف لاخر . وأن اكثر الاجزاء اصابة هي اوراق البومل والمند لينا والجذوع والفروع لليمونوالشموطي والكلمنتينا أما أصابة الثمار فهي مرتفعة للكلمنتينا والمندلينا ومنخفضةللشموطي والبومل اما اصابة الساق فهي منخفضة اجمالا ومرتفعة نسبيا للمندلينـــا .

Digitized by Birzeit University Library

وخلال البحث لم يعثر على اصابة للجذور مع ان امكانية الاصابة موجودة وذلك حسب المراجع العلميـــــة .

تتكاثر حشرة البق الدقيقي الاسترالي بسرعة وبكميات كبيرة حيث تتجمع في مستعمرات تضعف النبات وفي بعض الحالات تعمل على جفافـــــه .

ان هذه الحشرة وفي كافة اطوار حياتها فعالة حيث تعمل على امتصاص العصارة مايسبب اصفرار الاجزاء المصابة وسقوطها . تضع الانثى بيضها في الكيس القطني بمعدل ٢٠٠ ـ ٢٥٠ بيضة وتعطي خلال فترةحياتها من ١٢ ـ ٢٠ جيلا . وتصيب هذه الحشرة اصناف اخرى من الفواكه كالتفاح والدراق ولكن في الاغوار ولعدم وجود هذه الاشجار فانها تنتقل الى السدر (الدوم) ونباتات الزينة كالسجاد الشمســـي .

ان حشرة البق الدقيقي الاسترالي حين امتصاصها لعصارة النبات فانها تفرز سائلا لزجا تتغذى عليه الفطريات وتسبب مرض التعفن الاسود (الشحبار) والذى يسبب حجز اشعة الشمس عن الورقة ولذلك تقل عملية التمثيل الضوئي وبذلك تضعف الشجرة. ويتغذى على هذا السائل كذلك النمل والذى بدورة يحمل المـن المتغذى على عصارةالاوراق الطرية والافرع الحديثة مما يسبب في اضعافهـا كذلـــك .

ان مايميز البق الاسترالي عن البق القطني هو الشكل حيث ان الاول يتمتع بكيس قطني مخطط في بدايته نقاط بنية وموقع الكيس يأتي في مؤخرة الحشرة بحيث يكون ظاهرا للعيان بعض اطرافهـــا .

حشرة البـق القطنـي ـ هـي حشـرة أصغـر حجمـا مـن حشـرة البـق الدقيقي الاسترالي وتتشابه معها بالكيس القطني الذى يغطيها ،الا أن هذا الكيس ليس مخططا ويغطي كافة اجزاء الحشرة. جسم الحشرة مطاول مفلطح وذو لون زهرى لامع . والحشرة منتشرة في المنطقة بكثـرة .

جدول رقم (٤) يبين عدد البيارات المصابة بحشرة البق الدقيقي الاسترالي والبق القطني

عدد البيارات	البق الدقيقي الاسترالـي	البق القطني	الحشرتان معا
٢٠	٨	١٢	١

من الجدول السابق يتبين ان اصابة البيارات بالبق القطني اكثر من اصابتها بالبق الدقيقي الاسترالي وقلما نجد الحشرتين سويا . ولعل هذه الظاهرة مهمة يجب التركيز عليها

Digitized by Birzeit University Library

ودراسة كافة جوانبها فلربما تو فر الحشرتان سلبيا على بعضهما وبهذا تكون قد وصلنا لعلاج طبيعـــــي .

تصيب حشرة البق القطني معظم اجزاء النبات وبنسب مختلفة وباختـلاف الاصنـاف .

جدول رقم (٥) يبين نسبة اصابة اجزاء شجرة الحمضيات بالبق القطني وحسـب الاصنـــاف

الصنـــف	الاوراق / ٪	الافرع / والجذوع الثمـار / ٪	الســاق ٪
الليمـــون	١٨	٢٠ ٦٢	.
الشموطـي	١٧	٣٥ ٤٥	٣
الكلمنتينا	١٠	٣٧ ٥٨	.
المندلينـا	٢٣	٢٤ ٥١	٢
البومـــل	١٨	٤٥ ٣٧	.

ان الجدول رقم (٥) يشير الى ان حشرة البق القطني تصيب كافة اجزاء شجرة الحمضيات ما عدا الجذور وهي اكثر اصابة للثمار وبنسبة مرتفعة ولكافة الاصناف ما عدا البومل وتأتي الافرع والجذوع في المرتبة الثانية من نسبة الاصابة وهي مرتفعة للبومـل والكلمنتينا والشموطي واقل منها لليمون والمندلينا . اما تجمع الحشرة في مستعمرات فيكون متمركزا عند التقاء غصن بورقة او غصن بغصن وفي الخدوش والتجاعيد . تضع هذه الحشرة من ٢٠٠ – ٢٥٠ بيضة في الكيس القطني للمرة الواحدة وتفقس من ١٥ – ٢٠ جيلا طيلة فترة حياتهـــــا .

تصيب حشرة البق القطني بالاضافة للحمضيات السدر (الدوم) وبعض نباتات الزينة .

يجب ان لا ننسى بأن خطورة هاتين الحشرتين لا تتجلى بنسبة الاصابة في هذه الفترة بالذات حيث تشكل درجة الاصابـــة (١) الاغلبية العظمى للاشجار المصابة وهو ما نسبته اقل من ١٠٪ من اجزاء الشجرة وفي هذه المرحلة يمكن التغلب على الحشرتين ووقف تكاثرهما . أما اذا لم تعالج ويوقف زحفهما فان درجة الاصابة سترتفع الى (٣) اى اصابـة اكثر من ٥٠ ٪ من اجزاء النبات ، حيث سيتحول الامر الى تسميتهما بوباء قد يؤدى الى جفاف نسبة كبيرة من الاشجار في المنطقـــة .

من هنا تنبع الاهمية القصوى لسرعة المقاومـــــة .

Digitized by Birzeit University Library

طـــرق المقاومـــــة :

يجب البدء بمقاومة هاتين الحشرتين في بدايةاشهر الصيف اذار ونيسان حيث تبدأ دورة حياتهما ولوجود الكيس القطني عليهما فانه يمنع وصول الادويةالى اجسامهما. ولذلك فيجب الرش عدة مرات وبتركيز عال ليكونهناك مجالان يأخذ العلاج تأثيره عندما تنتقل اليرقات والحشرات الى اجزاء جديدة من النبات لاصابتها . ولغاية الان لا يوجد علاج ناجع من هاتين الحشرتين ولكن يفضل استعمـــــال :-

١) ميتاسيستولس بنسبة ١سم٣ لكل لتر ماء بمعدل ٤ ــ ٥ لتر للشجرة الواحدة وذلك اعتمادا على حجـم الشجـرة .

٢) سوبراسيد بمعدل ١ر٦ سم٣ لكل ١ لتر ماء ويجب الرش على الاقل ثلاث رشاتبين كل رشه وأخـرى ١٥ يومـــا .

٣) ملايتون بمقدار ٢سم٣ لكل لتر ماء .

ويفضل الرش بعد المرة الثانية بمادة فوليمان ٥٠ ٪ بمقدار ٢ غم لكل لتر ماء وعنـد استعمال هذه الادوية فيجب أخذ الحذر بشكل جيد خاصة وان هذه العلاجات سامة جدا لجسـم الانســـان .

المراجـــــع :

1) В. П. Екимов , Субтропическое Плодоводсть

٢) ارشادات لمكافحة الافات في البستنة والكروم،وزارة الزراعة .

3) К. А. Мамаев и другие , Борьба с Вредителям и Болезнями Плодовых , Ягодных и Овощных Культур .

4) Г. Я. Бей-Биенко , Общая Энтомология

5) Pests Of Israel

Digitized by Birzeit University Library

الشعر الجاهلي بين مطرقتين "الفردية" و "النكران"

بقلم : محمد مهدى الجواهـرى

لم اعثر في كل ما كتبه المعاصرون ـ وعلى ضوء العصر كما يقولون ـ عن الشعر الجاهلي ما يستحق المناقشة، والمحاورة على أهم مما جاء به (أدونيس) في مقدمته لكتابه (ديوان الشعر العربي)، فالدكتور طه حسين في كتابه (الادب الجاهلي) وأهمية مناقشة هذا وذاك منهمـــا .

ان الاول يمثل اتجاها جديدا هو في حقيقته وجوهره أبعد ما يكون ـ كما يفترض ـ عن التراث العربي لانه ـ أى هذا الاتجاه الجديد ـ انما يستمد جذوره قبل كل شيء من مدارس الادب الغربي . والسيد أدونيس أحد الملمين بها الماما واسعا مدخله فيها واليها هو المامه الواسع باللغة الفرنسية، فأن تجمع هذه المدرسة الى ذلك الماما واسعا ايضا بالتراث العربي الاصيل ـ وقبل كل شيء وهو موضوع مناقشتنا اياه ـ فبالشعر العربي شيء أكثر من لطيف، وأكثر من مفيد . وهو لا أقل من أنه هام جدا ـ ومثله أهمية ـ ومن ناحية معكوسة ـ ان يكون الحديث عن هذا الشعرالجاهلي، مدخلا غير مقبول لتشويش أذهان الجيل العربي الناشيء والصاعد على حد سواء، وأكثر هذا الجيل مع الاسف ممن يؤخذون في هذا المجال على حين غرة لبساطة ما يفهمون عنه، ولبساطة ما يفهمونه هو ـ أى الشعر الجاهلي ـ بالذات، وعندمايعلمهم السيد أدونيس ان خير ما يكون هذا الشعر عندما يصبح بعيدا عن (البيئة) بعيدا عن (المجتمع)، بعيدا عن السياسة، بعيدا عن هموم الناس وأفراحهم، وآلامهم،

Digitized by Birzeit University Library

وهو ما ألمعت بمناقشته في كلمتي هذه من (الجمهرة في المختار من الشعر العربي بمختلف عصـــوره) .

والسيد أدونيس لا يقيم الشعر العربي على أساس مواضيعه ، وانما على طريقة التعبير ومدى تجاوبها مع القيم الشعرية المعاصرة ، ومع فهمه الشعـــر .

ويبدو منه هذه المرة أنه يعود ـ مرة أخرى ـ الى الغموض بقصد المغالطة ، أو بقصد التهرب فهو لا يوضح أية قيم شعرية معاصرة يريد ، والحديث هو حديث الشعر العربي طبعا ، ولا بد اذا ان تكون القيم الشعرية عربية ، بلا شك ، ولكن هذه القيم المعاصرة بهذه الصفة تسبب حرجا له اذ لا بد أن تكون قيما شعرية تراثية ، امتدادا لهذا النوع الجميل المنغم ، المعبر عن نفسه ، وعن صاحبه ، وعن عصره ، والذى ألف ـ السيد أدونيس ـ ثلاث مجلدات زاخرة بما اختاره هو منها ، وهذا سيجره حتما الى ما لا يحب ولا يرضى عن ايراد نماذج مختارة منزلة على أحكام هذه القيم الامر الذى جعله يعفى أكثر من ستين صفحة بالحرف الناعم في مقدمته الاولى والثانية من ايراد كلمة واحدة في معرض كل الاراء والنظريات والاستشهادات التي أدلى بها فيهمـا .

اذن فلتكن التعمية والغموض ، والتهرب ، والمغالطة ، ولتكن قيما معاصرة حسب ، فاذا ضويق بشأنها تخلص ـ لو أحسن التخلص ـ الى أنه يريد القيم المعاصرة التي ينسج هو ومن لف لفه ـ عليها خارجين بها على كل ما يمت الى التراث العربي الاصيل الذى يدافع عنه ادونيس نفســـــه .

وهو في مورد آخر ـ يميل الى اعتبار (المدح والهجاء وما يشابهما ، أو يتصل بهما ، جزءا من تاريخنا السياسي أ والاجتماعي أ لا جزءا من تاريخنا الشعرى) .

أى كلام هذا ، و (ما يشابهما) ، أو يتصل بهما ، وأول ما يتصل بالشعر الهجائي ـ ولا شأن لي كما لا شأن له ـ بالتحدث عن المدح والرثاء ، هو الشعر الثورى اذ لا تنفك روح الثورة بين الفرد والفرد أو بين الفرد والجماعة عن ان تكون دلالة على استعداد الشاعر أن يكون ثائرا على (مجتمع) أو نظام ، أو ان يكون ساخرا ـ والشعر السخرى بدوره باب رائع من أبواب الهجاء الثورى ـ من ذلك كله ، ومن الناس ، بل ومن نفسه في أن يوجد رهينة المجتمع أو ذاك النظام ، وهؤلاء الناس أ وفي التراث العربي ، وفي الشعر المعاصر الروائع الكثيرة من هذا وذاك ، فهل يجب ان لايكون ذلك كله من تاريخنا الشعرى ـ وأن يكون التسبب لهذا المسبب أتعسر منه ، وأسوأ وقعا ، أى يجب اهماله لمجرد أنه من تاريخنا السياسي والاجتماعي ولماذا هذا التخوف من هذين التاريخين ، وأنت وأنا ـ وهو ـ وهي محكومون شئنا او ابينا لهما . ولاحكامهما ، والى ذلك فمسؤولون بضمائرنا ، وانتماءاتنا ، وأحاسيسنا عن المشاركة كل على قدره ، وقدره في اقرارهما ، أو شجبهما ، أو الثورة عليهما ، وان بأضعف الايمان .

لشد ما يعجبني ـ وأنا بهذا الصدد ـ وأمامي كتيب صغير متواضع معاصر ، لشد ما يعجبني قول صاحب الكتاب :

Digitized by Birzeit University Library

الهجاء فن أدبي اصيل ، يختلف عن معظم فنون الشعر الاخرى في كونه يصدر عن الذات الشاعرة ، غير متأثرة باعتبارات المصانعة او المصلحة ، وغالبا ما يكون ثمرة لمعاناة شخصية ، تتحدد في معزل عن عوامل الضغط في المجتمع او المعشر او الدولة ، مما قد يعني في حد ذاته قدرا من المجابهة ، تضاعف في ذاتيته ، وبالتالي من حيويته بوصفه فنـــــا .

ويمكن ان يكتسب الهجاء من هذه الناحية مضمونا اجتماعيا او سياسيا يضعه على ملاك الادب الملتزم ، وهو هنا لا يعود شتما شخصيا محضا ، بل انتقادا واعيا لحالة ما ، اجتماعية أو سياسية أو دينية ،وما في حكمها . ويبقى الهجاء في هذا المنحى من اساسيات الموقف الاجتماعي المتقدم ، مكتسبا مصداقه من الضرورة التاريخية للفعل الثوري ، سواءكان هذا الفعل فضحا موجها ضد المؤسسة القائمة التي افتقدت شرعيتها ، أم نقدا موجها ضد المؤسسة الجديدة التي جاء بها الحدث التاريخي لاداء دور ما دام هو يبرر شرعيتها الراهنة ، من دون أن يكسبها الحصانة ضد الهجاء ،وقد برهنت مجريات التاريخ ، ماضيا وحاضرا ، على أن الهجاء أقرب للفعل الثوري منه الى المدح بأشكالـــه .

لقد مارس قدماؤنا بعض حقهم في الهجاء على المستويات والمجالات المختلفة ، وتجاوزوا في أحوال معينة محوره الشخصي الى السياسي والاجتماعي ، فخلفوا لنا قطاعا منه ملموسا وان لم يكن واسعا . أقول ذلك بالنظر الى الثمن الذى كان يقتضيه استعمال هذا الحق ، وبالنظر الى الاتجاه المؤسسي في المعشر الاسلامي القديم الذى وضع أدب الدفاع في صلب مهام المسلم الصالح ، جاريا في ذلك على السنن المنحرف لمعظم المؤسسات المستجدة في التاريخ . ولعل هذا ما يفسر طغيان شعر المدح على شعر الهجاء في ديوان الشعر العربي ، رغم أن الحاجة العامة للاخير كانت أمس وأكثر ضرورة .

لقد رصدت هجاء الموقف في عطاءاته الاكثر غنى بالمضمون الاجتماعي او السياسي ، دون اعتبار لمستوى العنصر الفني ، الذى تركته للهجاء الشخصي او القبلي ومن هنا سيجد القارئ خطين عريضين للاختيار ، روعي في احدهما المضمون الخالص ، وفي ثانيهما الفن الخالص . وهما خطان سيكونان متمايزين ولكن دون ان ينفصلا تماما ، ذلك ان كثيرا من النصوص في هجاء الموقف لن تخلو في الواقع من مقومات فنية متقدمة ، رغم أني لم ألتزم هذا الشرط في اختيارهمـــــا .

xxxxx

والسيد أدونيس يدس على الادب المعاصر دسا ماكرا ، هو وان بدا شبه ضائع بين طيات اصطلاحات جديدة مبطنة لاهوتية ،مطلقة فانه غير خفي على من ذى سابقة بمعرفة اتجاهاته الفكرية والادبية والسياسية اولا ، ثم على كل من يفهم الادب والشعر ، والابداع ، والتجديد انها كلها موظبة لتتعدى حدود الانطوائية الذاتية او الاعتكاف على أهواء محدودة واغراض ضيقة وانها يجب ان تتعدى ذلك الى حدود المشاركة مع اوسع طموحات الناس ، وأعمق خفايا احاسيسهم ومشاعرهم ، وبدون ذلك فكيف يتم التجاوب بين الشاعر وبين الاخرين ، كيف

Digitized by Birzeit University Library

يمكن ردم الهوة التي يحس بها الشاعر بفراغهافي نفسه واحاسيسها لا يتجاوب الا مع اصدائها المكررة المعادة الى نفسه، فهل ان السيد (أدونيس) بؤدى امانة ـ كثر حديث الناس عنها ـ هي ان يشارك (المتهمين) ممن أتمنى من صميم قلبي أن احاشيه عنهم .

ولنبسط الامر أكثر فأكثر ليكون كل على بينة واضحة من أمره فالسيد أدونيس معني كما يرى بالتراث العربي وقد اختار لمجموعته عنوانا هو (ديوان الشعر العربي) مذكرا بذلك مهما حاول اخفاءه الى الكلمة المأثورة : الشعر ديوان العرب ، وهو للمرة الثانية وبحق قد احسن الاختيار فيما اورده من مختارات .

وهو تجاوز في هذا الاختيار حدود (الشعر الجاهلي) وتعداه الى الشعر الاسلامي، والاموى والعباسي وتجاوز كل ذلك الى عهود العصور شبه المظلمة والى خير ما لدى شعراء هذه العصور من شعر هو على كل حال وعلى كل جهد في اختياره ، شعر مزخرف منمق ، أقرب الى النظم منه الى الشعـــــر .

والسيد أدونيس يجيء بهذه المختارات قبل سبع سنوات او ثماني سنوات ليس الا ، ما يشبه (أمس الغائث) ويجيء بها ، وقد بلغ الشعر العربي المعني به السيد أدونيس عناية لم يغفل معها ان يجيء حتى بنماذج من ادنى المستويات فيـــــه .

نقول وقد بلغ الشعر العربي على ألسنة شعرائه الاصائل اعلى مستوى كان عليه ووصل اليه حتى وهو في الذروة من العهد العباسي على لسان المتنبي وأبي العلاء على سبيل المثال فمن هو على وجه الافتراض المنطقي ، أحق منه بأن يكمل هذه الحلقات بما لا يجوز بحال من الاحوال أن تكمل بدونه وهو التعريج على ما وثب اليه الشعر العربي في القرن العشرين ، وما استكمل من روح المعاصرة على أن لا ينسى أنه شعر عربي من مجتمعات عربية قفز قفزات هائلة فوق كل حواجزها واخترق كل حصار مضروب عليه من واقعها المتدني ، وتخلفها الحضاري وانظمتها الرجعية ومقاييسها الادبية ومعاييرها الخلقيـــــة .

كان ذلك منه لا يدين ولا يعترف الا بهذا الوضع الوجودي ـ الذي انبثق من خلاله حسن الدهر أي القوة الخارقة التي لا يمكن مقاومتهـــــا .

هذا الوضع الوجودي الذي ليس المستقبل فيه الا ماضيا مموها وأخيرا فهذا ـ الوضع الوجودي ـ الذي انبثق عنه ، كما يجب ان يصور أدونيس الشاعر الجاهلـي .

أم كان ذلك تجنبا منه لهذا التقليد الطويل العهد والذي أفسده الذائقة الادبية عند العربي ، وهو تقليد "السياسة" والدولة وصراع الحكم وما يرافقه ايضا (ص١٠) .

أم لان الشاعر ،اذ سيطرت عليه الحالة المحيطة به ، اجتماعيا وتاريخيا ،جرفته وصيرته صوتا شاحبا لها وصدى من اصدائها الباهتـــة) (ص ١٤) .

أم لانه لا يصح ان تحدد اثرا شعريا بمحتوى سياسي او عقائدي ولا بمقياس سياسي . وأخيرا أم لان ديوان شعره العربي هذا يضم شعرا لا يخدم مذهبا ولا عقيدة ومع ذلك فهو

Digitized by Birzeit University Library

وحده ـ مجدنا الشعري ، من أجل هذا وذاك وذياك كله قطع سلسلته الشعرية في ديوان الشعر العربي قطعا مفاجئا ، ونابيا ايضا ، تجنبا منه لما قد يفسدها ـ بالتعريج كما قلنا ـ على عصر جديد جاء يخرج ما في التراث العربي الذي يعجب به ادونيس من جديـــد .

طبب حتى لو اعتقدنا هذه الاستهانة منه بكل ما يمت بصلة الى ان يدور الشاعر في فلك اوسع من ذاتيته المحدودة وخارج دائرة احاسيسه ومشاعره ، وهمومه ، وأفراحه الضيقة ، فهل بوسعه الاستهانة بالشاعر المعاصر وهو يدور في ذلك الفلك بالذات وفي اطار تلك الدائرة نفسها ، وهو اذ يفعل ذلك ـ أي اذ يجيء بما يرضي السيد ادونيس ، يبدع فيما يجيء ويحلق فيما يطبـــــر .

أم أنه منزعج كل الانزعاج من أن يكون الشاعر المعاصر ـ الاصيل طبعا ـ نموذجا مختارا له الى جانب ما كان عليه الشاعر الجاهلي نموذجا مختارا له ، ومطمئنا كل الاطمئنان مرتاحا كل الارتياح لمجرد أن السيد أدونيس انما وضع (ديوانه) هذا للشعر العربي في كل عهوده الغابرة ، ليكون مدخلا قويا الى التأثير على الاجيال العربية الصاعدة ، والايماء اليها أن ليس هناك شيء يستحق الذكر من هذا الشعر والحجة أن واضعه شخص مثقف ، متمكن من اسرار اللغة العربية معجب بها بل ومنظر لهـــا .

أما الدكتور طه حسين ، فعلاوة على ضخامة هذا الاسم ، وكثرة معطياته في عالم الشعر ـ وان نفاه عنه السيد العقاد ـ (*) والادب ، والتاريخ ، حتى ليكاد أن يكون في مجال النثر والكتابة بمنزلة "المتنبي" في مجال الشعر شاغل الناس ومالىء الدنيا ، فهو الى ذلك يمثل اتجاها يحاول به جاهدا ان يكون نهجا معاصرا ، بمثابة "الوسيط" او الحد الفاصل بين المدرسة المألوفة ، المقلدة والمنسوخة ، وبين المدرسة الحديثة المتطرفة والناسخة ، القائلة بما تشاء من آراء وأهواء ، دون تبصر بواقع المجتمعات العربية ، ولا بحقيقة أحاسيس الافراد والجماعات فيها ومشاعرهم ، ولا بمدى تشرب دمائهم ، وأذهانهم ، وطبائعهم اصداء الحرف العربي المنغم ، المرقق ، الذي يناغيهم ويناغونه مدى عشرين قرنا ويزيـــد .

فيحاولون وهم يتجاهلون ذلك ، الطفرة السريعة ، شبه المرتجلة على كل هذه البنى الاجتماعية ، والنفسية والفكرية وبالتلخيص فعل التراث العربي الاصيل المنحدر اليهم وذلك عن احدى الطريقتين اما طريقة جلب ما يتيسر لهم من احاسيس ومشاعر ومن اساليب وقوالب ، ومن افكار وخواطر تزخر بها اداب عوالمهم الاجنبية تعيش غير عوالم المجتمعات العربية وتفكر بغير عقولها ويغني غير مشاعرها وأحاسيسهـــا .

وأما طريقة ابتداع القفز بيسر وسهولة على قوانين الاصالة والاحاطة والابداع والتفرد التي تتطلبها موازين الشعر العربي المنغم الموسوق ، والمطور ، الى اسلوب تناول الحرف العربي منطلقا من ضوابطه ، متضائلا في شخصه ، وفي شخوصه متهافتا في نسيجه ، ركيكا في بنيانـــه .

---

* قال السيد العقاد مازحا : اسفحة جاءت لسرب الحر ، وسمعة نص وقف الطهر والشيخ طه " في انشاد الشعر ، تلاثة من مضحكات الدهـــر .

Digitized by Birzeit University Library

والدكتور طه يسخر بحق من النهج العتيق في دراسة الادب العربي والشعر العربي بخاصة في جاهليته وفي امتداده الى شتى العصور المتعاقبة حتى يومنا هـــذا .

وهو يسخر ايضا وبحق من هؤلاء المبتدعين الجدد الذين هم بين من ينهلون ما ينسخون من أدب غربي لا صلة لهم به ، ولا يمت الى مشاعرهم وأحاسيسهم ، ولا مشاعر وأحاسيس بني جلدتهم ولا يلبي حاجة من حاجات قومهم ، ولا يمس بشيء من ماضيهم ، وحاضرهم ومستقبلهم ، وبين هؤلاء الذين يقتحمون ميدان الشعر وهم عزل من كل مقوماته الاصيلة ، ويحاولون قطع مراحله دون زاد من التراث العربي ، فيجيئون به مهلهلا ، ركيكا ، محاولين التستر على هلهلته وركاكته بابتداع صور جديدة ــ كما يزعمون ــ لم ينزل بها من سلطان ، مجدبة ، باهتة ، دون ما نغم ولا انسجام ، ولا ايقـــــاع .

ومع هذا فالدكتور طه عندما يتحدث عن هذا النهج التراثي المعاصر الذي يختاره فانه يغالي كل المغالاة فيما يريده لدارسي الادب العربي على ضوء منه ، وذلك فيما يطرحه عليهم من شروط تعجيزية ، بما يجب عليهم ، ان يلموا به من شتات التاريخ القديم والحديث ، ومن اللغات الاجنبية بما فيها اللغة اللاتينية بوصفها المدخل الى حضارة الاغريق وآدابهم وشعرائهم واساطيرهـــــم .

ثم أنه ــ وهو يدعوهم في مقدمة كتابه عن (الادب الجاهلي) الى التحرر العقلاني في اتخاذ موقف جريء من كل ما في التاريخ العربي عامة ، والادبي بخاصة ، والشعري بوجه اخص وذلك عن طريق اتخاذ الشك ذريعة الى الوصول الى اليقين ، فانه ــ مع الاسف ــ يقدم نفسه بعد صفحات من هذا الكتاب بالذات نموذجا يختلف كل الاختلاف عما يوحي به الى الاخرين فهو يقف موقفا غير محايد لا في تناول الامور ، والاشياء ، والاشخاص ، في كل ما له مساس بالشعر والادب العربي ، ولا من حيث النظرة الشاملة الى مجرى الاحداث ومضاعفاتها ومستلزماتها ولا الى المشمولين بها ، والمأخوذين قسرا بأحكامهـــــا .

كما كان الامر في نظرته الى الفتوحات الاسلامية ، وبخاصة الفتوح التي أطاحت بكثير من الكيانات القومية ، وأزالت معالم ثقافتها ، وأعرافها وديناناتها ، واسترقت الاحرار من بينها ، نساء ورجالا ، شيوخا وشبانا ، فأصبحوا عبيدا و (موالي) والمولى في الجاهلية هو السيد و (المولى) في الاسلام هو العبد .

ان الدكتور طه حسين ، يقف من كل ذلك ، وهو بصدد تأثير هذا وذاك على الاتجاهات الادبية وتياراتها ، ومضاعفاتها موقفا تسوده الافكار الجاهزة والاهواء الخاصة سلفا ، قدر ما يسوده الارتباك والتعثر ، والهلهلة تبعا لذلـــــك .

فهو ينظر مثلا ــ نظرة مختلطة مشوشة الى مدى تأثر الادب العربي ــ والشعري منه على وجه التخصيص والتفصيل ، بالحضارة الفارسية والاغريقية ، فيبدو ذلك مبدى الملم بهذه المرحلة المدرك لاهميتها ، المرحب ، والمؤهل بهـــــا .

ولكن الدكتور طه سرعان مانسي ذلك عندما يتحامل بكل قساوة ، وظلم وتحيز ، على كل

Digitized by Birzeit University Library

شيوخ العلم والادب والرواية ، والحديث والشعر ـ والشعربخاصة ـ من ذوى اصل غير عربي ممن ساهموا مساهمة عظمى في خدمة الحضارة الاسلامية في كل هذه المجالات او في تطعيمها بلمسات رشيقة من الحضارة الفارسية على حد ســـــواء .

فهو في كل تضاعيف سطوره وصفحاته لا ينفك عن التشكيك في امانة هؤلاء الشيوخ وفي صدق ولائهم وفي اتهامهم بالدس على الاسلام ، وعلى الادب ، وعلى الشعر ، من دون سند يذكر ، أو حجة مقنعة ، وهو الى ذلك ، فعندما يتحدث عن "الموالي" من هؤلاء الشيوخ ، فانما يتحدث بلغة الجاهلية نفسها ـ بل انني لا أظلم الجاهلية بذلك ـ فلم يكن العربي الجاهلي يتحدث عن (استرق) بمثل هذا الحقد ، ولا بمثل هذه الغطرسة ، ولا بمثل هذا الاذلال الذى أخـذالسادة العرب في صدر الاسلام وفي العهد الاموى على وجه التخصيص يتحدثون به عن هذا الخلق العظيم الذى دخل الاسلام من كل حدب وصوب لانه رسالة ايمان جديد ، استهواهم . فآمنوا بها ، وليس لان تعود هذه الرسالة عصبية عربية جاهلية من جديد ايضا ، فيسترقون بها ويتعبدون ويذلـــــون .

والدكتور طه حسين يتحدث في كتابه (الادب الجاهلي) وفي صميم القرن العشرين عن الموالي بتلك اللغة نفسها وبنظر اليهم بتلك العين نفسها ، فلا تجد سيدا غير عربي دخل الاسلام طوعا وايمانا ، ثم اصبح عبدا ، ومولى ، حتى وان بلغ أعلى ذروات العلم والادب ، والشعر ، لا تجده لدى الدكتور طه حسين الا وفيه مغمز ولمز ومطعن لقد تصفحتهم كلهم فلم أجده اعفى واحدا منهم من ذلك ، ناهيك بنفي العروبة عن اعظم الشعراء العرب ، وبالانتقاص من منزلتهم الشعرية ، حتى أنه ليلجأ الى اسلوب ـ الازهريين ـ المتزمتين فينتقص البعض من هؤلاء الاعلام لانهم يتعاطون شرب الخمرة مثـــــلا .

فأين هذا كله ، من تعاليم للجيل العربي الجديد ، وتوصياته لهم ، بالابتعاد عن كل مواطن الشك للوصول الى مواطن اليقين ، ثم بالدعوة الى حرية البحث ، وحرية التفكير . ان كل هذا النهج الثاني الذى يسلكه ، "طه حسين" في البحث لا يمت الى نهجه الاول الى تعليم الطرق الموصلة الى نزاهة البحث بل انه نهج مناقض بشكل مفضوح لوجهه الاخر .

ان هذا النمط الذى يتعاطاه "طه حسين" في التعامل مع التاريخ ، في مجالاته العلمية والادبية والفكرية قد سبقه اليه الكثيرون في عصرنا الحاضر من غلاة المتعصبين عرقيا ومذهبيا ، من المتخلفين ـ وحاشاه ـ فكريا ، وأكثرهم مغالاة في ذلك ـ وحاشاه ايضا ـ من يجمع الى ذلك لا حسب صريح ، ولا نسب نظيف ، يمتون به الى الناس في عالم الدنيا العربية ، فلا اسهل عليهم أن يتغطوا بدثار ادعاء العربية ، فقد يكون هذا من تخابثهم وغدرهم ، ولكن بالطعن في انساب الاخرين ايضا ، وبشتم من لا يمت منهم الى العرب والعروبة بأكثر من عشرة أجداد على اقل تقدير أى بما يسمى (بشجرة النسب) ، فماذا عسى أن يبقى للدكتور طه حسين في مجال المزايدات عليهم ثم ماذا يبقى من الدكتور "طه حسين" الجليل نفسه ، وهو يدخل في عوالمهـــــم .

Digitized by Birzeit University Library

كم كان المفكر ـ الافريقي ـ العظيم قبل ثمانية قرون (ابن خلدون) عظيما حقا وهو يعطي العرب حقهم المحقوق في مجالات الاداب والشعر، ثم يعرج على هؤلاء الذين يلذ للدكتور طه ان يعيد صفة (الموالي) الف مرة ومرة بحقهم .. فيقول عنهم ـ ابن خلدون ـ بأعلى صوته " ان حملة العلم في الاسلام هم من غير العرب" ، فأى من الرجلين كان أحق أن يسبق الاخر عصرا ، وقلما ، وفكرا ، أهو طه حسين ، أم ابن خلدون .

ومن هنا تأتي اهمية كتابه (الادب الجاهلي) ، فالذى يسمع بهذا العنوان ـ الادب الجاهلي ـ وللدكتور طه بالذات ،قبل ان يطلع عليه لا يخطر على باله الا انه دفاع عن الادب الجاهلي ، وكشف اسرار جديدة عنه ، وعن عصره وعن شعرائه ، وما الى ذلك مما لم يأت به أحد من قبل ويقدر على مثله أحد من بعد وكما يليق بكتاب يحمل اسم صاحبه الضخم .

ولكن ماذا سيجد وهو يتصفحه من مفاجأة لم يحسب حسابها ، انه سيجد فيه رجلا يحاول جاهدا ـ دون جدوى ـ أن يتنكر للشعر الجاهلي برمته ، ثم ان ينكر الشعراء الجاهليين بقضهم وقضيضهم ، ثم يعرج بعد هذا وذاك في مطاوى كتابه هذا ليجرد الامة العربية كلها وفي أزهى عصورها ، من كل ما عندها من تراث عربي اصيل في الشعر ، هو خير ما تعتد به كل العصور التالية وذلك عندما ينفي عن اعلامها الشوامخ عروبتهم ، ثم يحكم عليهم بافتعال الشعر ، وصناعتـــــه .

ولكيلا أطيل على القارئ دهشته ، فاني اضعه وجها لوجه مع الدكتور طه ، حيث يقول بالحرف الواحد (فأما في العصر العباسي فقد اصبح الشعر شائعا بين العرب من اهل (الشمال والجنوب) والموالي أنفسهم ، فلا ينبغي ان يعتد بالطائفين !! ويقصد بهما أبا تمام والبحترى .ونعيد ولا بالسيد الحميرى ، فهم كأبي نواس ، وابن الرومي ، والمتنبي ـ والمتنبي مرة ثانية" ـ والكلام هنا للدكتور نفسه ، لم يكونوا من العرب في شيء ، وهم قالوا الشعر عن تعلم وصناعة ، وقالوه في غير لغتهم الطبيعية ، وقل أنهم قالوه في هذه اللغة التي أصبحت بحكم الدين ، والسياسة لغة الادب) .

فهل قدرت أن اقرب اليك الدكتور طه في كتابه ـ الادب الجاهلي ـ وعجائبه ؟ وأفظع ما في هذا القول الفظيع (أن المتنبي العظيم عنوان "التاريخ العربي" ومجده الشامخ لم يصبح أعجميا' فحسب بل ومضرب المثل في ذلك ـ كالمتنبي ! أى على قاعدة " ان المشبه به أقوى من كل المشبهيـــن ") .

ومرة أخرى ان "المتنبي " صنو في العجمة ، لابن الرومي الشاعر العبقرى ، العظيم بنفسه بعيدا عن الانساب وجاهليتها ، صنو لمن ولد اعجميا ، وفي بلاد الروم ، وحتى هذه الشبه المنكرة لدى"طه حسين" فهي بفخر جديد الى فخر أن يكون هذا الشاعر الناطق بالعربية من العباقرة الخالدين في جملة أمثاله من ذوى العبقرية والخلود في تاريخ الشعر العربي بل وأنه في الطليعة منهم . أما ابو نواس ـ فهو عربي من الاهواز ـ وموطن القبائل العربية

Digitized by Birzeit University Library

وليس من (الموالي) الذين يحتقرهم الدكتور طه حسيـــــن .

فما هذه (العصبية) الجاهلية من رجل مسؤول عما يقول كالدكتور طه ، ولماذا هؤلاء الشعراء الاعلام الستة ، دون غيرهم وكلهم ذوو نزعة علوية ، لا يناقش فيها ، ولا يرد عليها وهم الى ذلك أعلام الشعر العربي ، أما المتنبي فللدكتور طه حسين معه ـ بالذات دون غيره ـ ثارات جاهلية لا تنسى ، ولم يتشف منها بكتابه (الادب الجاهلي) حتى أضاف اليها كتابه (المتنبي) هذا الكتاب الذى لا يزيد مستواه الادبي والفكرى والتحليلي ،عن هذا (الادب الجاهلي)،وهذه الثارات قبل كل شيء ان المتنبي قد كفرحين قال قبل مائة وألف عام في حاكم أجنبي مملوك غريب في مصر ـ وهو كافور الاخشيدى ، أنه ـ وهو النبطي ـ الانساب والاحساب ، وأنه ـ وهو العبد الاسود ـ يقال له تزلفا ، وتملقا ـ أنه بدر الدجى وأن أمه" النوبية" لم تدر أن " بنيها" النوبيين يعبدون اللـــه .

كل ما للدكتور طه عند المتنبي من ثارات اقليمية أكل الدهر عليها وشرب هو شيء من هذا القبيل . ولم يشفع عنده المتنبي انه الثائر العربي الاصيل على كل ما في امته من عيوب ومن جيوب ، وأن نصيب المحكومين منهم ، بواقعها المرير ، لا يقل عن نصيب الحاكمين المتسلطين ولا أن (حاكميها) أرانب "مفتحة عيونهم نيام" .. فهو اذ يتناسى ويتجاهل كل ذلك عن المتنبي العظيم" ، غير كثير عليه ان ينتقص منه كل الانتقاص في كتابه "المتنبي" وان ينفي عنه حتى عروبته في كتابه ـ الادب الجاهلـــي ـ .

وانك لتعجب أكثر وأكثر من هذه العصبية الجاهلية والاقليمية والعنصرية ، اذا تذكرت ان ابعد ما يمكن ان يكون عن مثل هذه العصبيات ، هو الانسان المصرى ، بالذات ، وقبل أى عربي آخر ، ذلك أن المصرى ـ على وجه التخصيص ـ ومن دون كل البلاد العربية المفتوحة عنوة ، وبحد السيف هو آخر من يحق له تعاطي مثل هذه العصبيات القبلية ، الجاهلية ، أول من ابتعد عنها بحق ايضا ، ففي كل هذه البلاد ـ الا في مصر ـ كانت وما زالت جذور هذه العصبيات تضرب اطنابها حتى يومنا الحاضر ، أى حتى ونحن في نهاية القرن العشرين حيث استبحت الاقمار والنجوم ، واستثمرت اراضيها وصخورها وأحجارها ،وذلك بفعل أنها ـ أى سائر البلاد العربية ـ كانت موطنا لاهم قبائل العرب في الجاهلية ، وأكثر من ذلك فقدكان في أهم هذه البلدان حضارة مشعة ، وخصوبة ، امارات عربية ، ففي العراق (المناذرة) ، وفي الشام (الغساسنة) أما الحجاز وعمان والبحرين وشرقي الاردن ، فقد كانت المواطن الخالصة القحة عروبة وجاهلية ، وعصبيات قبلية واستماتة في الذود عنها بالحق وبالباطل وبالصدق وبالكـــــذب .

وفي هذا دفاع مني عن مصر ،وانتقاص لمثل هذه العصبيات في هذا البلد العربي أو ذاك ، أكثر وأقرب الى المنطق مما يدافع به الدكتور طه حسين عن مصر ، وعن قوميتها ، وعروبتها ، فاذا كان فخر لمصر ـ وما أكثر مفاخرها ـ فهو أنها ذوبت هذه العصبيات الجاهلية ، والدينية والعرقية في زحمة النوازع الطبقية والعرقية المسيطرة عليها ، وعلى

Digitized by Birzeit University Library

تاريخها ، مذ يوم افتتاحها في العصور الاولى من الاسلام ،حتى عهود الملوك والامراء والسلاطين المتعاقبين على حكمها ،وأهم هذه العهود وأعظمها وأكثرها ازدهارا كان عهد الفاطميين .

والحق أهم ما يميز مصر حتى يومنا هذا عن كل البلاد العربية حتى عن أكثرها حضارة هو أن الانسان المصرى في بيته ، وفي شارعه ،وفي مقهاه ، وفي مراقصه ، وفي حانوته ، وفي أسواقه لا يعرف شيئا من بدع هذه (التفرقات) العنصرية ، والنعرات الطائفية والعصبيات الجاهلية ، الاخذة بخناق كل اقطار المشرق العربي ، والتاركة بصماتها وملامحها على كل مرافق الحياة ، وطرق التعامل ، الاخذ والعطاء ، وعلى سلوك الافراد والجماعات منها ، الامر الذى يجيء في الطليعة من أسباب التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي فيها .

وعن قصد واختيار ،قلت كل اقطار المشرق العربي ، فالحقيقة ان الامر في ذلك يختلف كل الاختلاف في أقطار المغرب العربي .

اذن فليس بالامر اليسير ، وفي زحمة هذه النعرات اللئيمة في بعض البلدان العربية والشرقية منها بخاصة أن تجد في مصر مسجد عمرو بن العاص ، وفي قبالته (جامع سيدنا الحسين) وهو المزار الوحيد شبه المقدس ، لدى الجمهور المصرى ، ولدى علية القوم في مصر ولدى حكامها ورؤسائها .

والدكتور طه وهو يجافي كل منطق اذ ينفي عروبة (المتنبي) و (ابي تمام) و (البحترى) هو نفسه الذى يقول عن نفسه وبحق ومنطق وعن كل مصرى آخر أنهم عرب لمجرد أنهم يعيشون بيئة عربية ومجتمعا عربيا ولسانا عربيا ، ولا يعرفون ولا يعترفون بأنساب أخرى .

والان فالى موقف (طه حسين) من الشعر الجاهلي والشعراء الجاهليين ، وسيجد القارئ في هذا الموقف شأنه في موقفه ذاك ، ما لا يكاد يصدق ، فطه حسين يزعم انه يتخذ الشك طريقا الى المعرفة والحقيقة ، كما يقول المنطق ، وكما هو الحق والواقع ،ويطيل الحديث بأكثر ما يجب عن هذا الطريق وعن هذه الطريقة ، ولكنك وبعدهذا كله لا تجده الا وقد اتخذ الشك طريقا الى النكران ، أى الى نكران متعمد أعد له العدة سلفا ، ثم اتخذ الشك ، مطية له .

فهو يعد السبب قبل المسبب ، والمعلول قبل العلة ، والنتيجة ، قبل المقدمة ، ولكنه يتصنع التسبب والتعليل ، والمنطق تبريرا لذلك من جهة واثباتا لمدى تحوطه في الاحكام التي يصدرهامن جهة اخرى ، ومن هذا وذاك فمدى ما هو عليه من المام وعلم واطلاع من جهة ثالثة .

فهو ينكر وجود (امرئ القيس) مثلا لمجرد أنه شك بوجوده ، ولمجرد أن الاغريق قد شكوا بوجود (هوميروس) ولمجرد أن هذا قد كثر الحديث عن تنقله في ربوع اليونان وقبائلها وأن (أمرئ القيس) قد كثر الحديث عنه ، وعن تنقله بين قبائل العرب .

Digitized by Birzeit University Library

أما ما هو موطن الشبه بين امرئ القيس، وبين هوميروس، وأما ما هو وجه المقاربة بين الرجلين في مستوى الفكر والعلم والعبقرية بين رجل لا يعدو كونه شاعرا من بين أكثر من مائتي شاعر في أمته وان قيل عنه رقق حواشي الكلمة أكثر من غيره، أو انه استوقف، وجاء بشيء جديد على كل ما في قصائد الاخرين المجودين .. وبين رجل هو صاحب أكبر ملحمة شعرية .

ثم ما هي العلاقة بين تنقل (الرجلين) فما قيل من ذلك عن هوميروس فانما يقصد به التدليل على مدى تغلغله في الاوساط الاغريقية، وامتزاجه بناسها، والمامه بتقليدها واعرافها وأساطيرها وحكاياتهاوبأبطالهم وأبطالهـــا .

وتنقل (امرئ القيس) كان باجماع الرواة، طلبا للنجدة للاخذ بالثأر من قتلة ابيه (حجر ملك كندة) واذا لم نثبتها هي ايضا فلماذا لا يتطرق بنا ـ الشك ـ الى نكران اثبات غيرها من القبائل العربية، ونكران شعرائها كلهـــم .

وبعد هذا كله، وبعد ان يلف (طه حسين) بنا ويدور طيلة عشرين صفحة فانه يعود بنا الى حيث ابتدأ، من الشك ثم الى شيء يناقضوهو الاثبات، وذلك عن طريق اثبات شيء من شعر امرئ القيس، وهو بطبيعة الحال اثبات لامرئ القيس نفسه، شاء ذلك الدكتور "طه" أو لم يشـــأ .

أما من حيث موقفه من قصيدته اللامية (المعلقة) وتطرق الشك حول بعض ابياتها واثبات بعضها فعلا، مما يدل على ماعرف من مزاج صاحبها (امرئ القيس) وحياته الخاصة . فقد انتهى الى نهاية عجيبـــة .

هي أن (وصفه لخليلة، وزيارته لها، وما كان بينهما من لهو، أشبه بشعر عمر بن ابي ربيعة من أي شيء آخر)، الى آخر ما هناك من ملء فراغ صفحتين تقريبا تبريرا متهافتا لهذا الزعـــم .

في هذه المختارات طائفة مختارة من شعر عمر بن أبي ربيعة، ونحن بحكم الاختصاص ومعاطاة الشعر أكثر من نصف قرن، من حقنا أن نزعم أننا اولى من الدكتور طه حسين، بتمييز هذا الشعر او ذاك من غيرهما وبالحكم على مستواهما، وعلى مضامينهما، وعلى مزاج صاحبيهما، فالدكتور طه لا ينكر، ولا يشك ابدا في أنه ـ في المجال الشعري ـ ليس هو الدكتور طه في المجال النثري والكتابـــي .

فأي جامع يجمع بين هذه القصيدة والقطعة وبين ابيات معدودة مقطوعة عما قبلها وما بعدها لامرئ القيس، حتى وان كانت تدخل في الغزل والتشبب، والتحرش، مدخل عمر بن ابي ربيعة، في ذلك، فكل ما هو من هذا ابيات لدى كل شاعر جاهلي واسلامي، او اموي او عباسي، يصل الى هذا (المدخل) ويوصل اليه ايضا، فهل هو حتى ان يكون أي واحد منهم قد اخذ عن الاخر، والاصح ان نقول قد سرق منه، حتى ولو أن السارق كان قبل أن يخلق

Digitized by Birzeit University Library

المسروق منه بأكثر من مائة وخمسين عاما . كما هو امرئ القيس، مع (عمر بن ابي ربيعة) فلم يبق من هذا التعليل الغريب للدكتور طه لابيات امرئ القيس ــ الا أن يصبح تكئة من النكات ولم يبق الا ان يكون سارقـــا .

والا فمن هو الذى أدخل على معلقته هذه الابيات المنحوله، المفرغة، لو أنها كانت مفرغة، على نفس (ابن ابي ربيعة) وأسلوبه المحتكرين، ما اسمه، وما عصره، وعمن روى، ومن الذى روى عنه ولماذا صنع ذلك، ولا شيء من ذلك لدى الدكتور الا قوله : وأكبـــر الظـــن .....

والانكى من ذلك أن عمر بن أبي ربيعة نفسه لم يأت في كل شعره على شيء مما أتى به امرئ القيس في ابياته تلك، فهو لم يعد الى صاحبته في محمل، ولم يكن من السمنة بحيث يكاد ان يعقر بعير حبيبته فتطلب منه أن ينزل عنه وهو لم يطرق حبلى، ولا مرضعا يلهيها عن ذى تمائم محـــول .

لقد كان شعر عمر بن أبي ربيعة حضاريا بكل معنى الكلمة، وصورة صادقة عن حياته وعيشته وبيئته ،وعصره، ومنسجما كل الانسجام مع نفسه، فما هي العلاقة التي يستوجب ان ينحل الناحلون الى امرئ القيس بعد مائة وخمسين عاما ما لا يشبهه نسجا وصياغة ومعاصرة ولا حضـــارة .

والدكتور طه يشكك حتى في وجود (عبيد بن الابرص) الذى عاش في الجاهلية، ومات في صدر الاسلام، اى في العهد الذى كثر فيه الرواة الموثقون والمحدثون والمؤتمنون ... (اننا نقف من (عبيد) ومن شعره موقفنا من (امرئ القيس) ان كل ما نقرأ من أخبار عبيد لا يعطينا من شخصيته شيئا ولا يبعث الاطمئنان الا في نفس العامة أو أشباه العامـــة) .

هذا وبكل بساطة، وأنت اذا لم تؤمن بشكوك طه حسين هذه، فلا بد أن تكون عاميا او شبه ذلك (وشاعران اخران يتصل ذكرهما بذكر امرئ القيس، كان احدهما ... صديقا له صحبه في رحلته الى القسطنطينية ، ولم يعد من هذه الرحلة كما لم يعد امرئ القيس ، وهو عمرو بن قميئة وكان الاخر خال امرئ القيس ... وهو مهلهل بن ربيعـــة) .

وهكذا أيضا ، وبنفس البساطة فقد حذف هذان الشاعران الجاهليان ، ولك ايها القارئ على ذمتي ومسؤوليتي أن تتذرع بالصبر فتقرأ ثماني صفحات بالحرف الناعم كلها تدور حول محاولة يائسة لنكران وجود هذين الشاعرين ، وطبعا نكران اشعارهما ، وأنا الضمين انك لن تصل الى نتيجة ــ وان شبه مرضية ــ بهذا الصـــدد .

ولم يفت الدكتور "طه" ان يلحق بهما جليلة اخت جساس وزوجة كليب ، وبكل سهولة فقد طارت من على وجه البسيطة ايضـــا .

أما عمر بن كلثوم ، فهو من بين اقل من القلة من الشعراء الذين القى الدكتور طه عليهم بعد تردد (ومع ذلك) فقد يظهر ــ قد يظهر ــ انه وجد حقـــا .

Digitized by Birzeit University Library

أما طرفة فما اشد طرافة حديث الدكتور طه عنه، وعن التشكيك بوجوده، فالمدخل الوحيد الى هذا التشكيك هي قصيدته الشهيرة الدالية، ولا سيما المقطع الاكثر جمالا فيها:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وحقك لم أحفل متى قام عودى
فمنهن بقى العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى اذا نادى المضاف محلأ ... كسيد العضى نبهته المتورد

وما بعد هذا المقطع، وما قبله بقليل لمجرد أن هذا الشرجميل، وقوى فيجب ان يكون مدعاة للشك، الشك فيما دس عليه، والشك في أن يكون صاحبه (طرفة) موجودا، وأخيرا: (فأما صاحب هذه القصيدة فيقول الرواة: انه طرفة، ولست ادرى أهو طرفة، أم غيره، لست أدرى جاهلي، أم اسلامي، وكل ما اعرفه أنه شاعر بدوى، ملحد، شاك).

وبعد، فلكي يتعرف القارئ على مدى تحمل الدكتور طه، وتحامله، وتكلفه في كتابه العجيب (الادب الجاهلي) فلا بد له ان يتعرف ايضا الى حقيقة مذهلة هي أن كل ما يفصل أقدم شاعر جاهلي من الشعراء الاوائل والبارزين عن الشعراء المخضرمين الذين ادركوا الاسلام لا يتجاوز بحال من الاحوال المائة عام، أى أن هذه الكوكبة الهائلة من هؤلاء الشعراء، الشنفرى، المهلهل، بشر بن ابي حازم، عمرو بن قميئة، امرئ القيس، تأبط شرا، المرقش الاكبر، السموءل، طرفة، المتلمس، الحارث بن حلزة، المرقش الاصغر، حاتم الطائي عمر بن كلثوم، عدى بن زيد، ذو الاصبع العدواني، عبيد بن الابرص، اعشى باهلة، المتنخل الهذلي، علقمة الفحل، المنخل اليشكرى، النابغة الذبياني، الحصين بن الحمام الغنوى، صخر بن الشريد، عروة بن الورد. قيس بن الخطيم، امية بن ابي الصلت، الاعشى الكبير، دريد بن الصمة، لا ينفصل بين اقدم واحد منهم وبين صدر الاسلام عمر معمر واحد منهم ـ وما أكثر المعمرين فيهم ـ او عمر واحد ممن عايشهم وقد ادرك المائة عام من حياته وربما كان اميةبن ابي الصلت ـ كما يقول الثقاة ـ انه قد تجاوز عمره كثيرا عمر أى واحد منهم.

ان واحدا من هؤلاء كاف ـ وبزيد ـ ان يقص قصصهم، ويروى حياتهم، ويحفظ حتى ملامح وجوههم بل ان الاعشى الكبير، هذا الطود الشامخ بين هؤلاء الاعلام، ادرك الاسلام وقد أسن كثيرا، وقضى كل عمره، عدا اعوام قليلة جدا، في الجاهلية اى انه كان قد عايش كل تلك الكوكبة والا فاكثرها وكان الشاهد العدل عليها.

ولحسن الحظ، وحسن هذا الحظ قليل، ونادر فيمن ابقى الدكتور طه على وجودهم ان هذا (الاعشى) كان منهم، أى ممن لم يقدر على نفيه من الوجود. ولكنه نفى هذا الوجود عن كل اقران الرجل ولوائه، وسماره من الشعراء الذين عايشهم وعاشوه، وشهدوا عليه وشهد عليهم.

عن مجلة النهج

Digitized by Birzeit University Library

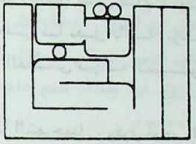

الحرية وأزمة تطور الشخصية

بقلم الاسير : عطا القيمري ـ سجن نفحة الصحراوي

ان الحرية ، بصفتها الحالة الاصيلة للانسان والتي بدونها ينعدم كل معنى للوجود الانساني لهي القيمة الاولى والهدف الاسمى لكل النضال الذى يخوضه الانسان المعاصر، ذلك ان بامتلاك الانسان لحريته ، فانه يمتلك ذاته ويمتلك انسانيته .

وعلى الرغم من التشدق المبتذل لايديولوجيي البرجوازية بالحرية وحقوق الانسان ، فان الواقع المر للحياة في ظل النظام الرأسمالي يدحض هذا الادعاء وتذرو الحقيقة الاليمة ادراج الرياح كل مكان القيم والشعارات التي يتغنى بها المجتمع الرأسمالي بعد ان يفرغها من محتواها. فالانسان في ظل الرأسمالية ، اذ يغترب عن نتاج عمله ، يصبح عبدا لها ، وبتحول العمل الذى هو المجال الارحب لتجلي شخصيته وبروز مواهبه وامكانياته الى وسيلة لاستعباده كما تتحول العلاقات الاجتماعية الى قوة فوقية تمارس تأثيرها العفوى عليه لتحكم به وتسحقه . وفي ظل سيطرة وحوش الغاب الرأسماليين ، يغدو الاغتراب والضياع ، يغدو التمزق وفقدان المعنى هي السمات البارزة للشخصية الانسانية المعاصرة التي تتبدد وينعدم معها كل افاق التطور الحر المستقـــــل .

ولا شك انه في مثل هذه الظروف . فان شعور الانسان بوطأة ازمة الحرية واحساسه المحض بحالة الاغتراب يتناسبان طرديا واتسام شخصيته بالنزعة الانسانية ، كما انهما يتفاقمان كلما تاقت هذه الشخصية للنمو والتطور ، بيد ان حرية الانسان وانطلاق شخصيته في افاق التطور انشامل ليسا ممكنين دون تحويل جذرى للظروف اللاانسانية التي يطحن الانسان بين مجرى رحاها ذلك ان حرية الانسان تستحيل في مجتمع يفتقدهو نفسه الى الحرية ، ولهذا فان

Digitized by Birzeit University Library

حرية المجتمع هنا تغدو شرطا لا غنى عنه لحرية الشخصية الانسانية وتطورها الشامل المستقل وقد اوصى ماركس صائبا انه " ما دامت الظروف هي التي تخلق الانسان فعلينا لاجل خلق الانسان الحر الكريم السعيد والمتطور ان نخلق ظروفا انسانية " نستطيع التطور في حضنها ومع ذلك ، فعلى الظروف اللاانسانية السائدة في ظل المجتمع الرأسمالي ثمة ردا فعل محتملان للشخصية الانسانية ، فاما الاختناق والتبدد والتخلي عن الذات ، اى الانسحاق تحت وطأة الاغتراب واما الانتماء والانخراط في النضال الواعي لاجل الثورة والتغيير .

وفي الخيار الثاني حمايةحقيقيةللشخصية الانسانية وتفتح عميق لها ، ففي اتون النضال التحرري للطبقة الثورية (البروليتاريا) يجد الانسان مجالا رحبا لازدهار شخصيته وتتجلى حريته باسمى صورها انه يغدو حرا ، اذ يناضل من اجل حرية المجتمع وقد قالها ذات مرة الثورى الانسان تشي جيفارا " اكون حيث لا تكون الحرية ؟" فالموت نفسه من اجل هذا الهدف يصبح ذا قيمة عليا ، انه اختيار واع تنطلق فيه الشخصية الانسانية في سماءالسمو اذ تتجرد عن ذانيتها وتعلو عليهـــــا .

وفي اطار النضال في سبيل الحرية بهذا المعنى الواسع ، بمعنى حرية المجتمع بكامله من العسف والاضطهاد ، من الجوع والمرض ، من استغلال الانسان للانسان فان كل تضحية ، تهون ، فالحرية جديرة وعزيزة حتى لو كانت آلام الحرمان ومعاناة القيد ثمنا لها ، حتى لو كانت الحياة نفسها ، وهي اغلى ما يملك الانسان ، ثمنا لها ، فاى حياة تلك التي تدفئ جسدها شمس الحريـــــة .

ولئن كان الاغتراب والضياع هي المظاهر البارزة للشخصية الانسانية في ظل الرأسمالية المتطورة فأن ضياعا ولكن من نوع آخر ، هو الذى يسم هذه الشخصية في ظروف البلدان المتخلفة والتي لم تنفض بعد عن كاهلها ثقل القرون الطويلة من القمع والاضطهاد الاقطاعي وشبه العبودى فالمجتمع الرأسمالي مع انه يشوه الانسان ويمسخ شخصيته ويدحره في زاوية الاهتمام الذاتي ، الا انه ، مع ما يوفره من مساواة شكلية ومن اعتبار الفرد الوحدة الاساسية للانتاج ، يقدم الاساس المادى لبروز وامكانية تطور المفاهيم الديمقراطية والانسانية القاضية باحترام الحرية واعتبار الشخصية الانسانية وتطورها اسمى القيـــم .

هذا في حين ان علاقات ما قبل الرأسمالية (الاقطاعية وشبه الاقطاعية) القائمة على دعامات النظام البطريركي السائدة في مجتمعات البلدان المتخلفة ، تلك العلاقات التي لا تزال تستند الى اعتبار ان الاسرة البطريركية هي الوحدة الاساسية في الانتاج الاقتصادى فانها لا تعبأ بالشخصية الفردية وتخضع مصالح الفرد بالتمام لمصالحها دون اعتبار لحقه الطبيعي في النمو والتفرد .

وقد سبق لماركس ان اشار لهذهالحقيقة عندما تناول المجتمع العشائرى البدائي الذى ساد قديما مؤكدا انالفرد (لم يكن قدانفصلهنا عن اسرة العلاقات الطبيعية ، ولم يكن

Digitized by Birzeit University Library

يدرك وجوده الشخصي الا بصفته عضوا في جماعة معينة ." ولهذا ففي ظروف مثل هذه العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي تمتد الى ما قبل ظهور الرأسمالية ، بل وتسحب نفسها حتى بعد دخول الرأسمالية الى المجتمعات المتخلفة نظرا لاتيانها من قبل الاستعمار في ظروف مثل هذه العلاقات لا يجد الفرد امامه متسعا حقيقيا للتعبير عن شخصيته من ادراك وجوده كشخصية مستقلة تبغي التطور والارتقاء .

من هنا يسبع العديد من المظاهر التي تتسم بها الشخصية الانسانية في المجتمعات المتخلفة والتي تقبع في اساسها تبعية الفرد المطلقة للوحدة الاقتصادية الاساسية في بنية المجتمع الا وهي الاسرة الاقطاعية (البطريركية) القائمة على سيادة الاب المطلقة . ان شخصية الفرد الذى يحيا في ظل هذه العلاقات وفي ظل هذه السيادة لا يمكن الا ان تتسم ببعض السمات الخاصة كالمثالية والتعلق بالقوي، الامّعية والمسايرة ، علاوة على العجز والاتكالية ، السطحية وضيق الافـــق .

ولكل سمة من هذه السمات مبررها وجذرها العميق في طبيعة العلاقات الاجتماعيـــة الاقتصادية السائدة ، فالفرد الذى يستمد قوة استمراره في الحياة والوجود من ارتباطه بالاسرة لا بد ان تصبح التبعية لهذه الاسرة والخضوع لها ، واولا وقبل كل شيء الخضوع لرب هذه الاسرة ،المركب الاساسي في شخصيته وفي شخصية الاب تتجسد قوة الحياة والوجود بالنسبة له ، وقد وجدت هذه الشخصية المتسلطة تجسيدها الفني في السيد احمد عبد الجواد لدى محفوظ في ثلاثيته العبقرية ، كما يتجلى الخضوع والتبعية في شخصيات ابنائه على اوضح ما يكون ولهذا فالشخصية التابعة تجد نفسها متعلقة بالقوى المتسلط فتغدو فريسة سهلة للمثالية التي تضع على رأس هذا ربا كلي القدرة واسع الجبروت .

ان الامعية والمسايرة ،فهي هنا تحصيل حاصل لان من ينشأ ويتربى على التبعية للقوي والتمسك بأذياله سواء من خلال الاعتماد الاقتصادى متمثلا برب الاسرة فانه سيتبع القوي ويخضع له في حياته الاجتماعية ، اذا ما حدث ان وقع تحت تأثير مثل هذه القـــوي .

ولعل هذا ما يفسر ازدهار عبادة الفرد وتأليه الزعامات الفردية والتعلق بالرموز التي تتسم بها المجتمعات المتخلفة وقد يتجاوز التعلق بمثل هؤلاء التعلق بالمبادئ او الافكار او الاحـــــزاب .

وهنا لا بد من الملاحظة انه وبغض النظر عما يمكن ان يكون لهذه الظاهرة من ابعاد ايجابية خاصة حينما تتجسد فكرة الوطن او التحرر الوطني في شخصية الزعيم ، الا ان شخصية الزعيم لم تكن لتنمو هذا النمو المتضخم والذى قد يكون وغالبا ما يكون له عواقبه الوخيمة لا على حساب نمو شخصية مقابلة للجماهير هي " شخصية" القطيع الذى يجرى وراء الزعيم حيثما شاء ، فتتعطل العقول ، ولم لا ١١ ما دام الزعيم يفكر بدلا عنهـــا ؟

Digitized by Birzeit University Library

وحينما يبرز مثل هذا القوي، فان الناس يتعلقون به، ويأخذون في الاتكال عليه بصفته المخلص، فتتجسد في شخصيته كل حياتهم وآمالهم، ويغدو هو بديلا عنهم، وتغدو اعماله واقواله بديلا عن عملهم الفعلي المنظم لاجل خلاصهم وتطور حياتهم. وان من يتتبع نشرات الاخبار في اى بلد من البلدان المسماة بالنامية فان ما يسمعه سينبؤه بحقيقة ما نقول، اذ ان هذه النشرات هي عبارة عن تسجيل شبه بروتوكولي لكل ما يقوله ويفعله زعيم الامة الاوحـــــد.

وحتى نعطل مسبقا كل سوء فهم فاننا نؤكد بحزم ونضع الفواصل القاطعة بين ما نطرحه هنا استنكارا ورفضا لواقع اليم بهدف تغييره وتجاوزه وبين النظرة الاستشراقية المتعالية التي تعيد مظاهر معينة تسود في المجتمعات المتخلفة لاسباب سطحية ومضللة تكرس هذه المظاهر وتخلدهـــــا.

ونحن في اطار نضالنا التحرري الوطني ذى الافاق الاجتماعية نواجه هذا الاشكال يوميا اذ ان تربية الشخصية المناضلة التي ترتقي لمستواها الفكري والثقافي، بل والانساني هي احد المهام المركزية في حياتنا اليومية كحركة تحرر وطني وكفصيلة طليعية للطبقة العاملة الفلسطينيـــــة.

فنحن وان كنا على قناعة راسخة بأن حرية شعبنا من التشرد والتبدد الوطني ومن الاضطهاد المتعدد الاشكال، شرط ضروري لا غنى عنه لاجل تطور كل فرد منا ونحو تلك الشخصية الانسانية المتطورة، فاننا نرى في كل اسهام في تطوير مثل هذه الشخصية وفي احياء الشخصية الوطنيةالعامةلشعبنا، اسهاما يصب في النضال العام لاجل استعادة هذا الشعب لحريتـه وكرامتـــــه.

لقد واجه شعبنا اشرس حملة نفي وتبديد تعرض له اى شعب على مدى العصور، اذ ان الصهيونية لم تستهدف استعمارنا او نهب خيراتنا وحسب، بل استهدفتنا بالذات، استهدفت الانسان والحضارة فينا. فهي عندما سلبت ارضنا وشردتنا عنها محطمة ومبددة الاساس المادي الذي تقوم عليه شخصيتنا كشعب، فقد حطمت وبددت شخصية كل واحد فينا فبات الضياع والهيام الجسدى والروحي في صحراء المنفى هو نصيب كل فرد منـــا.

ان النضال الذى يخوضه شعبنا لاجل استعادته لحقوقه المشروعة في وطنه كان لا بد ان يمر عبر مرحلةاولية يجرى خلالها بلورة وبناء شخصيته الوطنية المستقلة التي بددتها الصهيونية واجهزت عليها انظمة الحكم العربية الرجعية وغير الرجعية، وقد بدأ هذا النضال عندما حمل هذا الشعب رايـة النضـال معلنا عن ولادة جديدة لشخصيته ومؤكدا على الطريق الذى سيقوده الى ايجاد المرتكزات الحقيقية لتطورها وذلك في اطار وطن حر سعيد وبهذا فقد وجد الفلسطيني المشرد والمبدد الشخصية في النضال الوطني لاجل العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الوطنية المستقلة. تحقيقا لذاته وتجسيدا لشخصيته كانسـان

Digitized by Birzeit University Library

أبـي يطمـح للحريـة والتطـور .

اما نحن في سجننا ، وكجزء من الضريبة الكبيرة التي يدفعها شعبنا لاجل الحرية والكرامة فاننا نعاني ليس فقط من ازمة الحرية الشخصية اذ نرسف في القيود ، بل نعاني استهدافا بشعا يجرى بشكل ممنهج وعلى اسس اكثر النظريات فظاعة في علم ارادة الانسان وسحق شخصيتـــــه .

ان سياسة التعطيل والعزل ،سياسة المحو الثقافي وتنفية الاهتمام بسياسة الملاحقة النفسية والاستفزاز ، بل سياسة التجويع والحرمان هي بعض من عناوين هذا الاستهداف .

ونحن في سجننا اذ نناضل ضد هذه السياسة فاننا نناضل اولا وقبل كل شيء لحمايـة ذاتنا الوطنية والانسانية المستهدفـــــة .

نناضل ضدها فنواجه التعطيل بالفعالية والنشاط، نواجه العزل باختراق الجدار ورفع الصوت عاليا مدويا ،بالنضال والتضامن ، نواجه المحو الثقافي باكتساب الثقافة والاستنارة بمنجزات العلم وذلك بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، نواجه المحاولات التي تستهدف حصر الاهتمام بنيل متطلبات العيش والجري وراءها .

اما سياسة الاستفزاز فاننا نواجهها بالنضال وبالغضب الثورى المتفجر وكلنا يذكر اى حمية للنضال اصابتنا ، حتى انها اخافت سجانينا واجبرتهم على التراجع عندما قرروا استفزازنا واشعارنا بانهم سيلبون مطلب الهواء ، الذى ناضلنا من اجله ودفعنا مقابله الدم الثمين ، من خلال تنفيهه وتقزيمه وذلك يفتح فوهات ضيقة قليلة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة في الابواب الموصدة المحكمة الاغلاق . اما الحرمان والتجويع الجسدى والروحي فاننا نواجهه بالصبر والجلد الذى لا يكل ، ضاربين مثلا عاليا في التحدى والصمود ومثبتين بالمثل الحي ان لدى الانسان من الارادة ومن طاقة الاحتمال ما لا يستطيع "علمهم" الرجعي وضيق الافق ان يعرفه او يتوقعه .

ان الشخصية التي تتبلور في أتون هذه المواجهة ،في أتون هذا النضال لا ينبغي ان يعطلها اى شيء ، فلا ينبغي لضيق افق فينا او لجذور عفنة عالقة في نفوسنا ان تشوه الشخصية التي سيصهرها واقع التحدى والنضال هذا . ان من حق السجون ومن واجبها ان تخلق هذه الشخصية المتطورة الشخصية البالغة التطور في شعورها الانساني وفي قدرتها على التفكير المستقل الواعي او المتطور بقدر ذوبانها في الذات النضالية الكبرى لشعبها وجماهيرها الكادحة المسحوقـــــة .

وليست ثمة هنا اى تناقض ،فانكار الشخصية لذاتها ليس تبددها ، كما ان تفردها واحساسها بوجودها الذاتي ليس فردية انعزالية ، فكلما كانت الشخصية على احساس اكثر

Digitized by Birzeit University Library

رهافة بوجودها فانها ستكون الاكثر احساسا بضرورة التجرد عن ذاتيتها والذوبان في القضية الجماعية للانسان ، ذلك انها تدرك اكثر من غيرها ان حريتها لا يمكن ان تكون او تكتمل دون حرية المجتمع الذى تحيا فيـــــــه .

ان شخصية ذات شعور انساني رهيف هي وحدها التي تمتلك القدرة على مثل هذا العطاء الكبير وتغدو كلمة "مكارينكو" هنا مكملة للموقف اذ يتساءل ويجيب : " ما هي التربية السياسية للطباع .. ان تربية بلشفي حقا تعني تربية الشعور الانساني ، فأنا او انت من بأننا اذا لم نرب الشعور الانساني كما ينبغي فهذا يعني اننا لا نربي احـــــدا " .

ان خلق هذه الشخصية المتطورة هي مهمتنا وهي مهمة صعبة شاقة سندفع خلالها من العرق والدم بقدر لا يعوضه الا الثمار المرجوة التي سنجنيها نحن ويجنيها شعبنا ... واذا نجحنا في ذلك فستكون هذه اجمل هدية لشعبنا كما ستكون الرد الناجع على الممارسات الصهيونية تجاه شعبنا وشخصيته الانسانية الوطنيـــــــة .

Digitized by Birzeit University Library

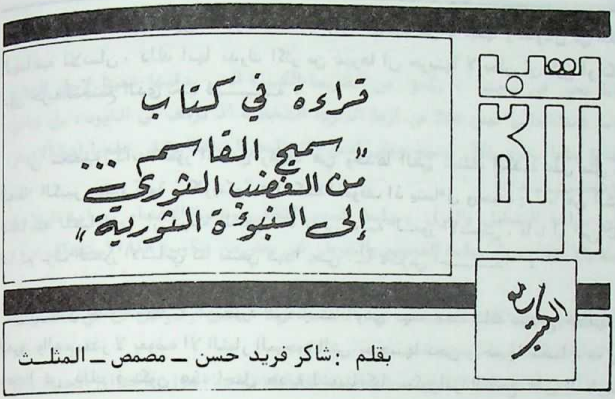

بقلم : شاكر فريد حسن ـ مصمص ـ المثلث

عن دار الاسوار العكية صدر مؤخرا كتاب "سميح القاسم من الغضب الثورى الى النبوءة الثورية" . وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات النقدية الموضوعية والرصينة في عدد من اعمال شاعرنا الفلسطيني سميح القاسم اختارها وقدم لها الناقد والصحفي انطوان شلحـــت .

وهذا الكتاب يكتسب اهمية قصوى في المرحلة الراهنة ، مرحلة ركود الحركة الثقافية الفلسطينية داخل الخط الاخضر وذلك لكونه يتناول ابداع واحد من شعراء الشعب الذين ساهموا في ترسيخ دعائم هذه الحركة التي تعتبر من ابرز مظاهر صمود الجماهير العربية في هذا الوطن الذى لا وطن لنا ســـواه .

ان الميزة الاساسية لهذا الكتاب هو ذلك الجهد التجميعي الدؤوب الذى بذله الرفيق انطوان ، فجاء الكتاب مرجعا هاما نهتدى من خلاله الى العديد من المقالات النقدية المتناثرة في الصحف والمجلات الصادرة هنا وفي العالم العربي وتناول فكر وكفاح وابداع القاسم والتحولات التي طرأت على شعره ضمن مساره الادبي . وهذا التحول كما يؤكد انطوان في المقدمة حدث بفعـــل قوى الحياة وقدرة التوهج الكامنة كلها في الجذر نفسه وهو لا يأتي بجبرية متقادة بل بطوعية مدهشة لها اساسها الراسخ في طبيعة العلاقة الداخلية الشاعرية للقاسم مجملة العلاقات البشرية القائمة خارج عالمه الشعرى بالانسان وذرة التراب ، بالارض والوطن ، بالطبيعة واشيائها وبتفاصيل الحالات والاحداث (ص٥) . وفي البداية يكشف انطوان هوية سميح القاسم ويحصي اعماله الادبية التي بلغ عددها ٣٠ عملا تراوحت بين الشعر والمسرحية والقصة ، ثم يقسم الكتاب الى ثلاثة فصول وهي على النحو التالي :

× الفصل الاول : التجربة الشعرية ـ ويضم دراسات باقلام غالي شكرى واميل توما وانطوان شلحت ومصطفى زين وسهيل سليمان ورجاء النقاش وحاتم محمد صقر وعادل الاسطة واحمد

Digitized by Birzeit University Library

عبد المعطي حجازى وياسين رفاعية وعصام محفوظ وسليمان زين الدين ومطاع الصفدى .

× الفصل الثاني : التجربة القصصية ـ ويضم مقالات لحنا ابراهيم وتوفيق حسن وانطوان شلحـــــت .

× الفصل الثالث : ويشمل مقتطفات نقدية عن التجربة الشعرية والبناء الفني في اعمال سميح القاسم لايليا الحاوى والياس شاكر وفاروق شوشة ويوسف الخطيب وعبد الرحمن ياغي وعصام محفوظ وانعام الجندى ومحمد ال رضوان وسالم جبران وحبيب صادق ومحمود درويش ونبيه القاسم وميشال سليمان وشوقي خميـــــس .

ومن ابرز دراسات الفصل الاول دراسة الناقد المصرى غالي شكرى والتي يتناول فيها قصيدة " تغريبة" . ويؤكد فيها ان هذه القصيدة لا تكمن اهميتها في انها تحكي من السطح قصة محبة فخصام فمحبة بين شاعرين كبيرين ، وانها مسك الختام في رحلة العذاب الشخصي بين القاسم ومحمود درويش وانما تكمن اهميتها فيكونها تجسيدا عميقا للجرح الفلسطيني الغائرفي وجه زماننا . كما ويؤكد غالي ان سميح القاسم كشاعر اصيل ورائد قد استطاع في هذه القصيدة المقررة ان يحقق التوازن المنسجم بين معطيات الشعور وتجليات الشعر ، فلم يكتب ما اصاب غيره بالجنون والانتحار او الموت عمدا ، بل تفجر ينبوعه الداخلي بسخاء وغنى ،وتأزرت مواهبه المتميزة ونضالبته في شبح هذه القصيدة الملحمية التي تضيف لا الى الشعر العربي ، بل الى الحياة العربية كلها سؤالا ما اوجعه .. متى وكيف واين يلتقي الزمان بالمكان في الوجود العربي المعاصر؟ متى وكيف واين تصبح "نحن" ، "هنا" الان معا والجواب ليس في الشعر انه في نثر حياتنا . يكفي الشاعر انه جرؤ على طرح السؤال ص (٢٠)

كما وتبرز دراسة رجاء النقاش التي جاءت تحت عنوان "مسرحية قرقاش ـ الحب والعدل والسلطان الجديد" وهو يرى ان هذه القصيدة ليست نموذجا شاذا في شعر سميح القاسم ، بل على العكس فانها نموذج يتكرر كثيرا بصور مختلفة ، حيث يميل سميح بشكل واضح الى استخدام الشخصيات التي يبتكرها من خياله الفني ، ويستمدها من التاريخ او من الاساطير ، في بناء قصائده المختلفة . ثم يهتم بتقديم هذه الشخصيات في بناء قصصي يرمي الى معنى كبير يتصل باهتمامات الشاعر ، ومعظم هذه الاهتمامات بالطبع يدور حول النضال والثورة والحرية والكرامة الانسانية وهي الموضوعات التي تملأ قلب الشاعر وتشغل حياته العملية كما تشغل عقله ووجدانه . على ان سميح القاسم لا يعتمد على "السرد المباشر" في تقديم شخصياته ومواقفه القصصية بل يعتمد غالبا على الحوار وتصوير الصراع بين الخير والشر بين الحرية والطغيان ، بين انصار الانسان واعدائـــه (ص ٦٠) .

ومن دراسات الفصل الثاني تتوجه مقالة انطوان شلحت التي تعالج مجموعة "الصورة الاخيرة في الالبوم" . ويرى انطوان ان الفصل الروائي في هذه القصة هو ذلك الالتقاء بين المضطهد (بالفتح) والمضطهد (بالكسر) .وهو التقاء تحتمه الظروف الموضوعية والواقع المعاشي لجماهيرنا وشبيبتنا العربية ويتجاوز في حجمه وبعده كل الازمنه والاماكن المتعارف عليها باللغة المتداولة ،من خلال هذا الالتقاء يطرح سميح القاسم رؤيته الثورية والانسانية

Digitized by Birzeit University Library

وموقفه من مجمل قضايا شعبنا الحياتية، القومية والبوصية، بمنظار متفحص ـ راصد من مواقع الموضوعية ومسجل امين ـ وبرؤيا ترى الى الامور بالتزام ووعي بمعناها الرحب والشامل (ص ١٢٧).

ومن المقتطفات النقدية التي تؤكد على اصالة ادب القاسم لكونه ادبا جماهيريا، ثوريا مقاوما يجسد واقع الجماهير الفلسطينية الكادحة ويستنفرها الى الكفاح ضد مستغليها ومستثمريها ومصاصي دمائها وضد سياسة التمييز العنصري والاضطهاد القومي والقمع الفكري التي ينتهجها حكام هذه البلاد .. ومن اجل البقاء والحياة والتطور الحضاري والسلام . من هذه المقتطفات نقرأ قول الشاعر سالم جبران : في قصائد سميح القاسم لون خاص، لا هو الثقة التامة (عائدون عائدون) على نحو ما تميز به ادب النكبة خلال فترة طويلة، ولا هو الحزن بل هو مزيج رائع لهما معا .. تحس في القصائد بكل مرارة النكبة من حيث هي انهيار احلام وطمأنينة ، الى رحيل وضياع وجوع ،وتحس بالقيمة الحقيقية للوطن ، لا من حيث الطنين الفارغ للكلمات ، بل من حيث مضمونها الحقيقي العميـــق (ص ١٤٢).

ثم نقرأ شهادة ناقدنا الكرماوي نبيه القاسم : "تميز سميح عن غيره من شعرائنا المحليين بأنه كان ولا يزال المجدد الدائم .. والمستفيد ابدا من قراءاته وتجاربه، ولن تجد له الاسلوب الواحد .. او الرموز المقررة .. فهو دائما يغير اساليبه واداته .. مع المحافظة على المضامين الثورية .. وفي الليلك نراه يقوم بمحاولة لانتاج عمل ادبي يحمل النهج الصوفي الاسلامي بأداة سريالية مع المحافظة على المضمون الثوري الانساني . وهو بهذا العمل يحطم القوالب المتعارف عليها في عالم الادب .. ويسعى لبدء منهج جديد .. تذوب فيه الفوارق بين مختلف جوانب الادب .. وتندمج القصيدة والقصة والمقالة في تشكيل فني واحـــد (ص ١٤٥).

ونطالع ايضا رأي الياس شاكر : " نجد في معظم قصائد سميح القاسم ذلك الرجوع الى الماضي والانطلاق مع حركة التاريخ الى المستقبل في رؤيا اسطورية يرى فيها عروبته وانسانيته ويرى المستقبل فردوسا ارضيا من تكوين يديه يراه في صورة موجودة من البدء في حتمية التاريخ صورة نفض عنها الغبار عندما تحطمت المرايا ، فنبتت فيها جنة الاشتراكية التي تختلف عن جنة المرايا اختلاف الطوباوية عن العلم . ويثور الشاعر على كل المرايا الموروثة ،ويعبث في مكتبة البيت القديمة ،متنكرا لكل ما فيها من اوهام رغم انه فيها وجد هويته العربية. وتتناثر المرايا ، ويواجه الشاعر الثائر ما بقي من دنياه بعد زوال الوهم ، ويشعر سميح القاسم انه اله ، لانه يسيطر على قدره (ص ١٣٠).

ان كتاب انطوان شلحت "سميح القاسم من الغضب الثوري الى النبوءة الثورية" اضافة كمية ونوعية لادبنا الفلسطيني الانساني ، ويسهم في تأطير ونهوض حركة النقد المحلي التي تسير ببطء ، رغم السنوات الطويلة التي انقضت من عمر حركتنا الثقافية الفلسطينية الواعية، ونحن اذ نحيي انطوان على هذا الجهد وعلى جهوده النقدية الاخرى التي يطلع بها علينا عبر صفحات مجلاتنا وصحفنا التقدمية بين الحين والاخر ، نرجو له دوام العطـــاء .

Digitized by Birzeit University Library

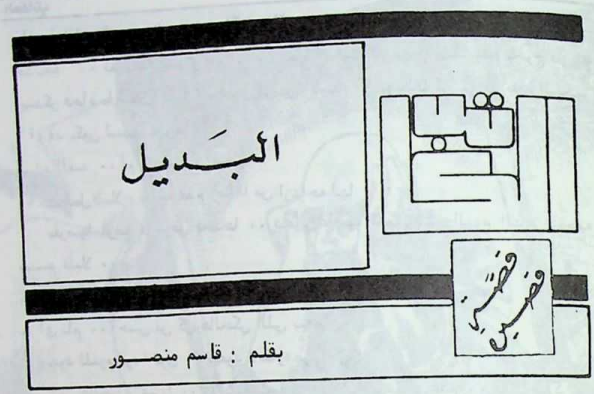

مقدمة

"في ذلك اليوم .. اكتشفت "أم خضر" وجود أحد اولاد الجيران . "علي" .. بين الجرحى .. كان في السابعة من عمره .. كان مبتا . صرخت شيشانا " زوجة ابنها خضر" .. بدون وعي :-

- الله يخرب بيت اليهود ..

وما زلت أذكر " ام خضر" وهي تنهرها قائلة :-

- " قولي الصهاينة يا قليلة الخيـــر "!."

تنويه : حدثت الحادثة عام ١٩٤٨م . ورواها الشاعر اليهودى النمساوى التقدمي " اريش فريـد ".

حـــدث

جلس في فراشه مضطربا .. حائرا .. يفكر ويفكر .. ولكنه لم يصل الى نتيجة من كل افكاره هذه .. هذه هي السيجارة العاشرة خلال ساعة .. زوجته مستلقية بجانبه تغط في نوم عميق .. شخيرها ينرفزه ويقطع عليه افكاره .. وبحركة غير ارادية تشد على نفسها "اللحاف" .. ولكن سرعة الحركة نقلت معظمه الى الجزء الاخر من جسدها .. فيكشف عن

Digitized by Birzeit University Library

باقيها اللتين بدأ يظهر عليهما آثار الكبر .. متجعدتين قليلا" والله وبديتي بكبرى يا خدجة ".. ثم يبدأ يتذكر .. "كانت احمل بنات البلد" .. تنهيدة تخرج دون وعي .. ويتذكر فجأة ما يشغل فكره .. فيرى بأنه من الاجدر ان يوقظها كي يوقف هذا الشخير المزعج " أو قد يكون لسبب غير ذلك ".

ـ أم العبد .. أم العبد .. أصحي .

تتململ قليلا ، معلنة عدم رضاها من ازعاجه لها ...

يقرصها قرصة قوية في فخذها .. فتقوم غاضبة عليه تشتم اليوم الذى تزوجته به .. يبتسم قليلا ...

ـ يا حرمة شحرك متى مخلصني أفكـــــر .

ـ أي نام .. أحسن من كل هالحكي اللي بنعمله .

وتعود للنوم مرة اخرى .. وبعود لافكاره مرة اخرى .

" اين هالحرام عزرا .. ولا كأنه بهودى .. دايما بسب ويشتم .. بس لم أكن اتوقع منه ان يطلب مني ان اصرب عن العمل اليوم .. لقد فاجأني بسوءاله عندما قال : ايش ابو العبد اساءالله بكرة جاى عالشغـــل ؟

ـ ليش شو فـي ؟

ـ يا زلمة .. الناس عندكم بتموت والبلد مخبوطة .. وانت ولا انت هون .

ـ طب شو بدك مني انا اعمل .

ـ اصرب مثل ما هم مضربين .

واذكر جيدا كيف ان ابراهيم الحاج اسماعيل " ابرام كما يسمونه في العمل" وقف محتدا وعلامات الخوف على وجهه يصرخ :ـ

ـ احنا لا دخل لنا بالاضرابات .. خلي السياسة لاهل السياسة .. احنا يا عمي بدنا نعيش ورانا عيال بدهم ياكلوا .

وما زلت اذكر نظرات عزرا اليه باحتقار واشمئزاز وانسحابه بدون ان ينبس بكلمة .

وبعد ساعة من الحادثة وقعت مشكلة بين "عزرا " و"دافيد" الذى وبخه لتحريضه العمال على الاضراب . ثم حضر " دافيد " الى العمال القى فيهم خطابا يفيض بالانسانية والمحبة والمساواة،وبأن "هؤلاء الزعماء بيتقاتلوا مع بعض .. واحنا خلينا لشغلنا" . وانهى دافيد محاضرته بالتهديد والوعيد لكل من يتغيب غدا عن العمل وتحذيرنا من الاتصال بعيزرا لان هذا " شيء .." .. ولم يكمل الكلمة حتى انقض عليه عيزرا وضربه لكمة أسالت الدم من فمه وترك عيزرا العمل مؤمنا بأنه لن يعود اليه" .

مر هذا الشريط كاملا امام ابو العبد وهو ما زال مستلقيا في فراشه والسيجارة بيده . انه في حيره ..تساؤلات كثيرة تتردد في خاطره .

" لماذا يشجعني عزرا على الاضراب ؟

" لماذا دافيد يتشاجر مع عزرا ؟

"ولماذا يعاملنا عزرا معاملة افضل من دافيد ؟

Digitized by Birzeit University Library

" ولماذا ابراهيم الحاج اسماعيل وقف محتدا ضد الاضراب ؟
" ماذا يمكنني ان افعل ؟ وهل اضرابي انا " ابو العبد " هوالذى سوف يحل المشكلة ؟"

لم أكن في يوم من الايام لافكر بكل هذه القضايا .. وكنت اشعر دائما بأنني لست مسؤولا عما يحدث .. كنت اشعر بأني خلقت فقط من اجل العمل .. بالرغم من ان جارنا ابو سمير كان يهمس في اذني دائما " سأتي اليوم الذى ترى فيه نفسك مجبرا على التفكير بهذه القضايا " " فأنا كنت مثلك لا افكر بشيء .. نعم وسأتي اليوم الذى يكون لرأيك اهمية .. أمثالك يا ابو العبد غيروا بلاد بحالهـا ".

وكنت اضحك من هذه الاقوال واقول لنفسي:
أنه يجبر بخاطرى الله يجبر بخاطره ".

ولكن مالي الان افكر جديا بهذه القضايا ؟ هل صحيح انهم بحاجة لي ؟ ولم يعرف ان ينام الا بعد ان هدأ باله ووصل الى قناعات خاصة .. أخذ نفسا عميقا من سيجارته وفركها في علبة سجائره الفارغة وقال لنفسه :ـ
" الان استطيع ان انام " .

أزاح زوجته قليلا حتى يجد متسعاً له كي ينام بجانبها .. مرت لحظات حتى بدأ شخيره ينافس شخير زوجته في القوة فكونا من شخيرهما سيمفونية ارهاق وتعب تقول " كفانا اليوم "

Digitized by Birzeit University Library

كانت بداية مأساة عائلتنا الرحيل عن القرية ... العائلة الكبيرة ذات النفوذ والسيادة ... ترحل في منتصف الليل دون كلمة وداع او تحية للجيران ... لم اعرف السبب الذى جعل والدى يحملني بقسوة ويلقي بي في حضن امي المترهل ... انا طفله المدلل يفعل بي هذا الشيء ... لم يستوعب عقلي الصغير هذا التصرف ولكن سرعان ما نمت ولم افق الا والشمس تضرب باشعتها صفحة وجهي ...

استقرت عائلتنا في بيت صغير في بلد غريب .. الوجوه غريبة ، البيوت غريبة ... كلما حاولت سؤال ابي عن السبب الذى جعلنا نترك قريتنا يصمت ويهرب بوجهه من امامي ويحدق بسقف الغرفة ثم يضربني برقة ولطف فوق خدى ...

بدأت حياتنا تسير بمجراها الطبيعي ولكن بدون قوة ... بدون سيادة ... تصرفات ابي تغيرت. ابي رافع الرأس دائما يمشي وهو مطأطىء وشارباه الكثيفان اللذان يعتز بهما يتدليان الآن بعدم اكتراث ومذلة ... نسيت فضولي . وقبلت مشاركة الاولاد في اللعب ، لاول مرة اشعر بالفارق بيني وبينهم ، لهم بيت وعالم وطفولة ... وانا احمل في داخلي هموم ابي وعيون امي القلقة في داخلي ... حتى طفولتي نزعت مني يوم اجبرتني امي على ان اشتغل عند صاحب البيت الذى نسكن فيه .. ومع الايام كان الزمن يتسلق عمرى المشوه ... اصبحت الان كبيراءمن حقي ان اعرف كل جواب عن اى سؤال يدور في رأسي ... عندما حاصرت ابي بأسئلتي حاول التملص ولكن الغضب الذى اخذ يرتسم فوق تعابير وجهي جعله يطلق العنان للسانه ...

– كان عمك مع الثوار قتل اثر عملية قام بها مع بعض اصدقائه ... ورحلنا في الليل لاننا

Digitized by Birzeit University Library

عرفنا بأن الجيش سيدخل القرية في الصباح وسيبطش بعائلتنا انتقاما منها ... فقد قيل ان اسماء الثـــوار لديهـــم ...

xxxxxxx

السواد الذى ترتديه امي اصبح جزءا منها وأخذت تتشكل امامي دوائر وحلقات عبارة عن سنين طوقت عنقي وزرعت الغربة في دربي .. ويموت اخي الاكبر ... لا اعرف كيف كل ما ادريه بأن التابوت كان مقفلا ... لم أر جثمانه واختلفت الروايات في سبب موته ...منهم من قال انه قتل اثر مشاجرة ومنهم من قال مات خنقا .. او حتى وصل بهم الامر بأن قالوا انه لم يمت . فان احدالم ير جثمانـــه .

ورحلنا مرة اخرى من القرية التي امتصت آلامنا وسطرت فوق جدران بيتنا الوان العذاب بعد تصميم من امي فقد اقسمت بأنها لن تعيش في هذه القرية اللعينة بعد ان مات ولدها البكر وبعد ان ذاقت الذل بعد العز ...

- بلاد الله واسعـــه

- ولكـن لن يضمـك تراب بحنان قدر تراب وطـــنك ...

كأنها اصابت ابي،الصميم ..اهتزت اهدابه ... الصمت الاخرس اصبح لغتنا المفضلة الان ... ونحن هنا نعاني للمرة الثانية ... نبني بيتا جديدا ونفوسا جديدة ... وعواطف جديدة وغربة جديدة تقصم ظهرنا مرة اخـــرى ...

xxxxxx

Digitized by Birzeit University Library

الشيب غزا شعرى مبكرا ... ضحكت امي عندما رأت اول شعرة بيضاء

- ما بال الزمن يحملك همومه مبكـــرا .

لم تعرف امي بأن الزمن قد ربطنا بخيوط خفية لا نعرف اين بدايتها واين نهايتها ولكن خيطي عرفت بدايته ولم اعرف نهايتـــه ...

xxxxxx

ابي يصاب بمرض غريب . الاطباء عجزوا عن تفسيره واسبابه ... رغم اننا لا نملك المال ولكن استطعنا ان ندبر امورنا ونأتي بأمهر الاطبـــــاء .....

درسنا الطب في ارقى الجامعات ولكن لم نقرأ عن هذا المرض ... هكذا اتفقوا جميعا وشعرت بأني سأختنق .. فعلا مرض ابي غريب تراه من بعيد سليما معافى وعندما تقترب منه وتتكلم معه سرعان ما تتساقط اعضاء جسمه ، يده ، رجله ، لسانه ، كلها تسقط على الارض بصورة منفـــــرة ...

يصيبك القرف والخوف والدوار .. لكن سرعان ما تنبت لديه رجل ثانية ، ويد ثانية ، ولسان "ثان" ، كيف ذلك لست ادرى ...

xxxxx

هذه الليلة شعرت بأنه سيموت اقتربت من سريره على امل تكذيب حدســـي ...

- هل تشعر بشيء ،

حدق بـــي كأنه لا يعرفنـــي ...

- أنا ابنـــك

- اولادى كثيـــرون ... هل تعرف ان اخاك لم يمـــت ...

اصابتني الدهشة وشعرت بأن لساني ثقيل كالرصاص لا استطيع تحريكه .. بصعوبة استطعت التكلـــم ...

- كيـــف ذلـــــك

- هـــذا ســـر ... لن تعرفـــه الان ...

ادار وجهه للحائط اخترقت عيناى ظهره المنحني بكبرياء ... اخاف ان يموت دون أن اعرف مكان اخي ... اقتربت منه هززته برفق ولكن وجدت جسده باردا كالثلج ، ولم اعرف حتى الان مكان اخي ... رغم انني متأكد بأن خيطا لا مرئيا " يشدني اليه ويشده لـــي .

Digitized by Birzeit University Library

ذاكرة ذلك ... كله

قاسم حداد ـ البحرين

بوسعهم ان يمتعوا القهوة
والنوافذ والدفاتر
بوسعهم ان يسجوا الاشجار
والنهر والاساطير
بوسعهم ان يبيعوا الغابات في القوارير
والاحزمة
بوسعهم أن يغطوا الطرق في وجه
البريد والمحامل
وهذه السواحل الرشيقة
ليس ان يحيلوها حمامات
ومواقف للعناكب
ولفضائهم حربة الاستمال بين الريح
والعريش والمواكب
بوسعهم ان يفعلوا ذلك كله
ولكن بوسعنا ان لا ننسى
انهم فعلوا ذلك كله

عن ٥ مارس ـ البحرين

Digitized by Birzeit University Library

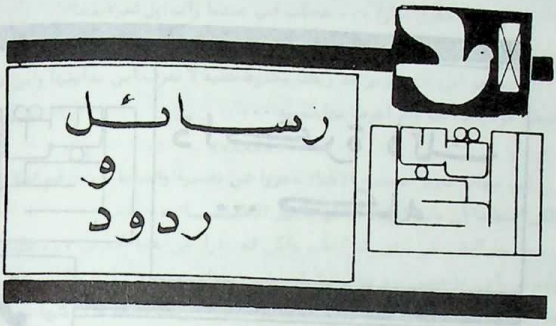

كتبها : جمال بنـــورة

الصديق خ ث صاحب قصة "القوة في صلابة المبدأ"

يؤسفنا عدم نشر قصتك رغم انها تعبر عن تجربة واقعية ،ولكنها كتبت باسلوب ساذج يفتقر كثيرا الى مقومات القصة الجيدة، بالاضافة الى الاخطاء اللغوية والاملائية الكثيرة، وللاهمية فسوف نركز ردنا على هذا الموضوع.لعل فيه بعض الفائدة للكتاب الناشئين الذين تمتلئ كتاباتهم بمثل هذه الاخطاء... وتخطر في اغلب الاحيان لتصحيحها بأنفسنـــا .

لقد ورد في قصتك عدد من الاخطاء الاملائية وهـــي :

الخطأ	الصواب
تكافؤه	تكافِئه حيث توضع الهمزة على نبرة اذا سبقها كســر
روؤوك	رأوك الهمزة على الف اذا سبقها فتـــح .
تستجوبيوني	تستجوبونني
فشلـــو	فشلوا الالف تتبع واو الجماعة في الفعـــل
هُبـــأت	هيئـــت

الاخطاء اللغويـــة :

(لا تتغفل) والصحيح لا تتغافـــل

(نحن متأكدين) والصحيح نحن متأكدون فكلمة "متأكدون" خبر نحن مرفوع بالواو لانها جمع مذكر سالـــم .

(شيء لم أفعله) والصحيح شيئا لم افعلـــه على اعتبار ان شيئا بدل منصوب عن الضمير المفعول به في كلمة أفعله وكذلك (ان شيء لم أفعله) والصحيح شيئا وهي هنا اسم ان منصوب

(يديك بالخلف مقيدتان) والصحيح يداك لانها مبتدأ مرفوع بالالف لانها مثنى .

(لماذا لا يعتقلوني) والصحيح يعتقلونني فلا يجوز حذف النون الا اذا سبق الفعل حرف جزم او نصب ومثلها كلمة (يضعوا) والصحيح يضعـون اما اذا سبقها حرف نصب او جزم فتحذف النون مثل (لم يضعوا) او (لـن يضعـــوا)

Digitized by Birzeit University Library

(كان اخيه)والصحيح كان اخوه لان كلمة أخ من الاسماء الخمسة وهي ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجر بالياء فتقول :
كان اخوه حاضرا
رأيت اخـــاه
مررت بأخيـــه
(ستبقى هنا الا ان اعود من القدس)
والصحيح : الى ان اعود من القدس بمعنى حتى اعود من القدس
(لم تستطيع) والصحيح لم تستطع حيث تحذف الياء لالتقاء الساكنين لانه مجزوم فوجب حذف اليـــاء .
(ثمانية عشر يوم) والصحيح يوما لانهامنصوبة على التمييـــز .
(ليسطر سطرأجديد) والصحيح جديدا لانها نعت منصـوب .
(ان تكون رسالتي آهلة لاغناء القارئ) والصحيح أهلا لاغناء القارئ .

قصة "حلم لم يتحقق" بقلم صافي صافي

اول شيء يلفت النظر ان عنوان القصة لا يلائم مضمونها ، فالقصة تدور احداثها اثناء احصاء السكان بعد الاحتلال الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ ورغم ذلك فالوالد يعامل الجنود وكأنهم ضيوف عنده !! ويقول لهم ان هذه ليست قريته وانه يريد ان يعود الى اللد حيث ارضه وزيتونه وقبور اجداده . فلا المناسبة ملائمة لمثل هذا الحديث ولا ظرف الاحتلال في الوقت الذى كان الناس يفكرون بالهرب وابعاد بناتهم عن القرية خشية اغتصابهن من جنود الاحتـــلال .

فالقصة في مجملها ساذجة وغير مقنعة واحداثها غير مترابطة .. رغم ان الكاتب كان بامكانه ان يجعل من موضوعها قصه جيدة .. فهو بحاجة الى تطوير اداته الفنية والتحكم باسلوب القصة ، بالاضافة الى الاطلاع الواسع على النتاج القصصي الجيـــد .

اللحن الحزين ـ ماجد ابو عجمية ـ الخليل

القصيدة تفتقر الى الصور الموحية والفكرة الاصيلة كما تخلو من الايقاع الموسيقي حتى نتمكن من تسميتها شعرا ، وهي ليست اكثر من جمل نثرية متهافتة كتبت على صورة شعـر :

" لكن لا ترزقه الهي نكبات
فاللحن يتيـــم
هل تعلم ان اللحن يتيم
انت العالـــــم
فلماذا تجهل ان اللحـن حزيـن !!
لماذا تجهـــل ..."

نأمل ايها الصديق ان تثابر على قراءة الشعر وحاول الكتابة ثانية ، ونأمل ان تنشر لك في المستقبـــل .

الى صاحب قصيدة" الى متـــى"

"الى متى يظل شعبنا يعيش في الخيال
الى متـى يظـل يستغيـث
نهاره عـــذاب
وليلـــه اكتئـــاب
يعايـــش الربـــاء
ويعشق السمـــاء
ويشتهي روائع الحيـــاة؟"

Digitized by Birzeit University Library

والقصيدة تسير على هذا المنوال من السجع. ان مثل هذا الكلام حتى لو سمي تجاوزا شعرا، فانه لا يثير اى احساس لدى القارئ .. وهي عبارة عن جمل متهافتة مستهلكة .. عن معاناة شعبنا ولا تقدم اى صور فنية موحية"

الصديق أبو حاتم ـ تشيكوسلوفاكيا

وصلت رسالتك الى مجلة الكاتب، والتي تتحدث فيها عن المقالة المنشورة في العدد ٤١ من مجلة الكاتب بعنوان "التعذيب في رواية شرق المتوسط". ونحن اذ نشكر لك اهتمامك بالمجلة، ونعتز بمراسلتك، وتوضيح رأيك حول مسألة الصمود تحت التعذيب، فلا شك ان الكاتب عبد الرحمن منيف عالج هذه المشكلة باسلوب موضوعي واقعي، ونحن نشاركك الرأى بوجوب توفر مقومات هذا الصمود .. ولدينا من الامثلة على ذلك الكثير خاصة والاحتلال الاسرائيلي يخيم على الارض الفلسطينية، ويتعرض يوميا العشرات من ابناء شعبنا لمثل هذه الظروف التي تتحدث عنها رسالتك،

نأمل منك استمرار المراسلة وابداء الرأى مع تحيات اسرة تحرير مجلة الكاتب .

الى صاحب قصة "الصنم"

أيها الصديق

من يقرأ قصتك يتبين له انه امام كاتب يمتلك موهبة الكتابة القصصية، الا ان القصة من حيث المضمون تسقط في مبالغات تجعل احداثها غير مقنعة للقارئ .

تقول القصة" وكان يقدس الصورة ويعبدها ويرنو اليها بخشوع الناسك المتبتل، فلو هبطت ذبابة على زجاجها، لانتفض يرجف وهو يسحقها كأنه يصد مؤامرة على حياة القائد، ولو علاها جبل من الغبار لانتزع منديله واخذ ينفضه بايمان الوصيفة المسحورة بجمال سيدتها "

اذ كيف لا يسمح لذبابة ان تهبط على زجاجها ثم ينتظر حتى يعلوها جبل من الغبار لينتزع منديله وينفض جبل الغبار.

وفي مكان آخر من القصة ورد ما يلي" وجاء من يدس في اذنه ان صاحب الصورة يتردد على ناد للعراه، فغلى دمه واحمر وجهه وكاد يجدع انف المخبر، ورفض قلبه ان يصدق"

وفي موقع آخر "وباذنيه سمع الرجل يبرر زيارته لنادى العراه بحماس ملتهب كما يفعل متهم مخضرم امام قاض حديث التعيين"

بعد قراءة هذه المقاطع تثور تساؤلات... هل القائد لثورة لديه الوقت لزيارة ناد للعراه؟؟ واذا كان ذلك صحيحا فهل القائد يسمح لنفسه ان يدين نفسه بنفسه، ويعترف صراحة بما فعل، مما يفقده جماهيريته وقيادته للثورة ؟؟ ان الفكرة التي تطرحها القصة فكرة جيدة، لا صنمية في العمل الوطني ولا عبادة لافراد فيه. هذا صحيح، ولكن المهم اللجوء الى اسلوب او اساليب فنية تعمق وعينا بالواقع وتزيدنا اقتناعا بصحة العمل القصصي وقدرته على الاقناع والتغيير بعدما يتغلغل في وعينا ويسهم في تحويله نحو الافضل .

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

● حركة غوش ايمونيم

صدر بأوائل شهر تشرين اول عن جمعية الدراسات العربية بالقدس كتاب " حركة غوش ايمونيم" لمؤلفيه مسعود غبارية ومحمود ابو غزالة ويحوى دراسة علمية حول هذه الحركة بين النظرية والتطبيق ويقع في ٣٤٦ صفحة من الحجم الكبير، معتمدين على العديد من المراجع والمصادر الاسرائيلية والكتب والمقالات الصادرة عن الحركة نفسها.

ويقع الكتاب في اربعة ابواب تضم بين ثناياها الخلفية التاريخية والدينية لنشأتها وتنظيمها وعلاقتها بالحكومة ونشاطاتها الاستيطانية وفعاليتها في الداخل والخارج وافكارها الايديولوجية ومدى تأثرها بافكار بن غوريون، كما يضم الكتاب موقف الحركة من غير اليهود والديانات الاخرى. ودورها في الاحداث التي وقعت في الضفة الغربية من اعتقال وطرد واعتداء على المقدسات، كما يتم التركيز في الباب الرابع على رؤيا الحركة الاستيطانية المطالبة بتكثيف استيطان الاراضي المحتلة وبأعتباره واجبا دينيا.

● "الرماد الحار"

يتحدث هذا الكتاب عن الصفحات المأساوية لتاريخ السباق من اجل امتلاك الاسلحة الذرية، ويوضح الكتاب السياسة العدوانية التي انتهجتها وتنتهجها الادارات الامريكية المتعاقبة من اجل التفوق العسكري ولو كان ذلك على حساب حياة الشعوب. صدر الكتاب عن دار "نوفوستي" للنشر ومؤلفه الكاتب السوفييتي المعروف "فسيفولود أوفتشينينكوف".

● "صبرا وشاتيلا"

توثيق فوتوغرافي، يضم العديد من الصور التي التقطت لبيروت تحت القصف ورحيل المقاتلين الفلسطينيين وبدايات المذبحة ويضم الكتاب اشعارا مترجمة الى الايطالية للشعراء محمود درويش، سميح القاسم وتوفيق زياد، الكتاب صادر عن دار "روبيرتو تابوليوني" للنشر في روما".

● "الارض في الفكر الاجتماعي الصهيوني"

كتاب يعالج قضايا من عام ١٩٤٨ - ١٩٧٣ السياسية مؤلف الكتاب جمال الخالدى وهو صادر عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

علوم طبيعة

● "الميكانيكا" لعميد كلية الميكانيكا النظرية التكنيكية في موسكو، كتاب مفيد جدا لطلاب المعاهد والجامعات ذوى التخصص في هذا الفرع. حيث يستعرض المؤلف في كتابه موضوع الميكانيكا النظرية واستاتيكا الجسم وديناميكا النقطة والحركة في مجال الجاذبية الارضية والاقمار الاصطناعية والمسارات الاهليجية وحركة الجسم المتغير والكتلة وحركة الصواريخ والنظرية الاولية للظواهر الجيروسكوبية.

Digitized by Birzeit University Library

● "مسائل في الفيزياء"

تأليف أ .ايردوف وآخرين ويتضمن الكتاب أكثر من ١٣٠٠ مسألة حول الفيزياء مثل – الميكانيكا والفيزياء الجزئية والترموديناميكا والكهرباء والضوء والفيزياء الذرية وتوجد جميع الحلول للمسائل المطروحة في نهاية الكتاب.

● الفيزياء المسلية"

لياكوف بيرمان ،ويعالج الكتاب قضية ادراك تأثير القوانين الفيزيائية على العمليات والظواهر التي تصادف الانسان في الحياة اليومية.

● جغرافيا الاتحاد السوفييتي

تأليف مجموعة من العلماء السوفييت . كتاب اقتصادي يشرح التقسيم الجغرافي في الاتحاد السوفييتي ووصفا شاملا للاقتصاد السوفييتي .

قصص.

● الصدع"

مجموعة قصصية تقع في ١٢٠ صفحة من القطع المتوسط للقاص الفلسطيني "محمود قدرى" وتضم احدى عشرة قصة قصيرة تستمد احداثها من الحياة المأساوية التي عكسها الغزو الاسرائيلي للبنان.

● "الانتظار"

مجموعة قصصية اخرى تتناول المعاناة التي عاشها الناس في لبنان في ظل الحرب والدمار الذى سببه الغزو الاسرائيلي للبنان. المجموعة القصصية من تأليف "سلمى اللحام" وصدرت عن "دار الجليل" في دمشق.

"مجلات"

● مسلم الشرق السوفييتي: تصدر هذه المجلة في جمهورية اوزبكستان السوفييتية منذ ١٥ سنةوتوزع في ٨٥ بلدا من بلدان العالم وقد نشر في العدد الاول لهذا العام مقالا بعنوان "الاجتهاد وأهميته في عصرنا الراهن"، وضم العدد الثاني مقالين بعنوان" الاحتفال بالمولد النبوىتعبيرا عن التقدير والاحترام للرسول الكريم" و" اهلا وسهلا برمضان" بالاضافة الى مواعظ رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان المفتي شمس الدين ضياء الدين خان قبل صلاة الجمعة كذلك تهتم المجلة بالتاريخ الاسلامي واحتفالات المسلمين السوفييت بالمناسبات الدينية.

● "الثقافة العربية في الوقت الحاضر

عن دار" أكاديمي" للنشر في جمهورية المانيا الديمقراطية صدر كتاب بعنوان "الثقافة العربية في الوقت الحاضر" من تأليف المستشرق الالماني في جامعة كارل ماركس (ديتربيلمان) ويتضمن الكتاب تحليلا لاهم جوانب التطور الثقافي والفكرى للشعوب العربية ويركز المؤلف في تحليله على الكثير من الحقائق والبيانات والتقارير الاحصائية حول المؤسسات الثقافية واتحادات الفنانين بأنواعها بالاضافة الى مختلف اتجاهات بلاغة الاساليب وممثليها ومستوى محو الامية.

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

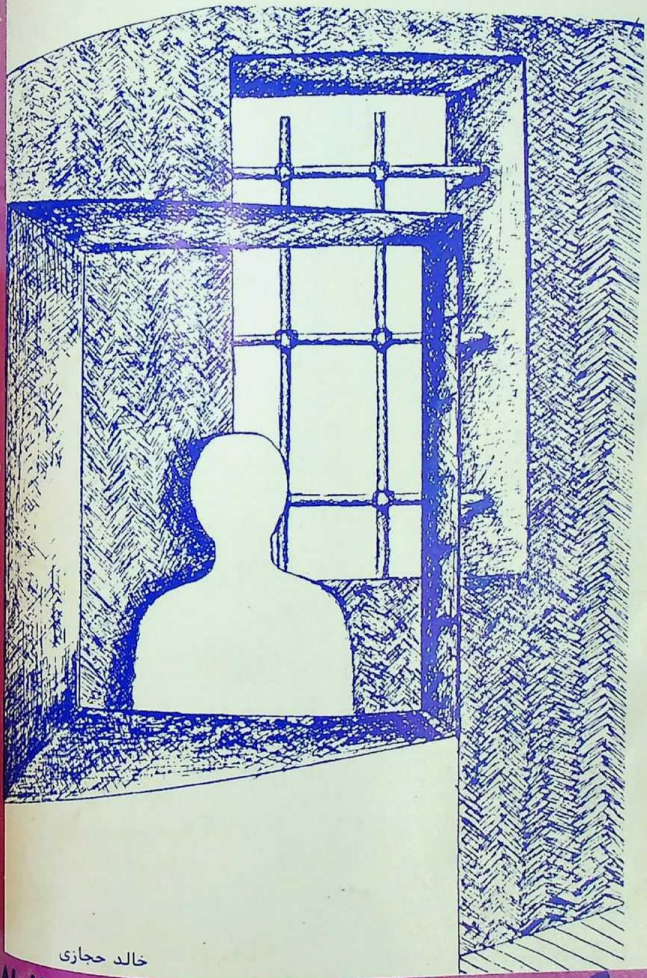

خالد حجازى

AL-KATEB
or human culture
and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

55

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library